حقيبة الداعية في رمضان لعام ١٤٤٠هـ



جمعت الحقيبة من مواد رمضانية ألقاها /

فضيلة الشيخ د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

حفظه الله ورعاه

آداب قراءة القرآن

ينبغي للمسلم إذا قرأ القرآن: أن يخلص نيته لله تعالى،[1] ولا يقصد التكسب به،[2] ويكثر من قراءته؛[3]

---

(١) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يُدعى به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت بما علمت؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ... يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة"، أخرجه الترمذي .

فيحرص القارئ أن ينوي بقراءته: أن يقوم به على ما يرضي الله في الليل والنهار، وأن يعمل به، وأن يكون ذلك خالصًا لوجه الله تعالى، لا ليمدح ويُثنى عليه.

(٢) لحديث عبد الرحمن بن شبل ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "اقرءوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به"، أخرجه أحمد، وفي حديث عمران بن حصين ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من قرأ القرآن فليسأل الله به؛ فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس"، أخرجه الترمذي.

وأما من علّم الناس القرآن فهو محمود إن أخذ المال ليتفرغ ليُعلّم القرآن، وهو مذموم أن علّم القرآن لقصد أن يأخذ المال، فالعبرة بالغاية والمقصد، وقد نقل السيوطي الإجماع على عدم جواز أخذ المقرئ المال ليُجيز في القرآن، بل من كان أهلاً للإجازة أجازه بلا مال، ومن لم يكن أهلاً لم يجزه، وإن دفع المال.

(٣) لحديث أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"، أخرجه مسلم، وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، و عليك بالجهاد؛ فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض"، أخرجه أحمد .

ويصبح الرجل من أصحاب القرآن، ومن أهل القرآن: إذا أكثر من قراءته، وعمل به؛ كما في حديث النواس ابن سمعان ﷺ، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران"، أخرجه مسلم.

خاصةً بالليل،[٤] ويحزب القرآن،[٥]

---

(٤) لقول الله تعالى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: ١١٣]، وحديث عن حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"، أخرجه البخاري ومسلم.

ويحصل بذلك على فوائد منها: تثبيت حفظه، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه"، أخرجه مسلم، ومنها أن يشفع القرآن له، ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أيّ رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه"، قال: "فيشفعان"، أخرجه أحمد.

(٥) ففي حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من نام عن حزبه، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل"، أخرجه مسلم، وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ، فقال لرجل: "اقرأ القرآن في أربعين"، أخرجه الترمذي، وهو أكثر ما ورد، ولحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: "اقرأه في كل شهر"، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "اقرأه في خمس وعشرين"، قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "اقرأه في عشرين"، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "اقرأه في خمس عشرة"، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "اقرأه في عشر"، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "اقرأه في سبع"، قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك، قال: "لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث"، أخرجه أحمد، وفي رواية: قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوتي وشبابي.

وقد كان أكثر السلف يختمون في كل سبع؛ كما حكاه النووي في الأذكار، ويختار من ذلك ما يناسبه، ويضبط ذلك بثلاثة أمور: (١) بحسب سرعة فهمه؛ لقوله ﷺ: "لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث". (٢)بحيث لا يخل بشغله؛ لقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في نفس القصة: قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: "فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك – أي لضيفك – عليك حقًا، ولجسدك عليك حقا"، أخرجه مسلم. (٣) بحيث لا يخرجه إلى الملل، ويؤدي به إلى الانقطاع؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: "يا أيها الناس، عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل"، متفق عليه.

ولا يختمه في أقل من ثلاث ليال،[٦] وإذا ختم استحب أن يجمع أهله ويدعو،[٧] ويجتمع مع غيره لتلاوته ومدارسته،[٨] ولا يجادل في القرآن،[٩] ولا يشوش به على غيره،[١٠] ويستحب له أن يستاك قبل القراءة،[١١]

واستحب أهل العلم إذا حزّب القرآن ألا ينكسه، بل يقرأه على حسب ترتيب سوره؛ من فاتحته إلى سورة الناس، وقد قال ابن مسعود ﷺ فيمن نكس القرآن: ذاك منكوس القلب، أخرجه الطبراني.

(٦) للحديث السابق: "لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث".

وإذا ختم القرآن، فلم يصح أنه يبدأ مباشرة بختمة جديدة، أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رجل: يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: "الحال المرتحل"، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: "الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره، كلما حلّ ارتحل"، أخرجه الترمذي، وحكم عليه بالإرسال، وفيه صالح المري وهو متروك.

(٧) لما روي عن أنس ﷺ أنه كان إذا ختم جمع أهله، ودعا، أخرجه ابن أبي شيبة، ولم يرد في ختم القرآن دعاء مخصوص، بل يدعو بما شاء.

ولم يصح التكبير بعد صلاة الضحى، ومع كل سورة بعدها، وورد فيه حديث في سنده البزيّ، وهو ضعيف.

(٨) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"، أخرجه مسلم، والمدارسة: أن يقرأ القارئ، ثم يعيد الذي بعده ما قرأه.

(٩) لحديث جندب بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا"، أخرجه مسلم .

(١٠) لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن"، أخرجه الطبراني .

فلا يجهر بالقرآن، فيشوش على قارئ، ولا على مصلٍ، وله أن يسلم على القارئ؛ قياسًا على سلامه على المصلي؛ ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت لبلال: كيف رأيت رسول الله ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه، وهو يصلي؟، قال: يقول هكذا، وبسط كفه، وبسط جعفر بن عون كفه، وجعل بطنه أسفل، وجعل ظهره إلى فوق، أخرجه أبو داود والترمذي.

(١١) لحديث علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيبوها بالسواك"، أخرجه ابن ماجه .

ويقرأه على طهارة،[١٢] ويجلس مستقبل القبلة،[١٣] ويقرأ من حفظه أو من المصحف بحسب الأخشع له،[١٤] ولا يهجر النظر في المصحف،[١٥] ويستعيذ أولاً،[١٦] ثم يبسمل إن كان في أول السورة،[١٧] ويقرأه بترتيل،[١٨]

---

(١٢) استحبابًا؛ لحديث المهاجر بن قنفذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر"، أخرجه أبو داود والنسائي، وتجوز قراءته بغير طهارة؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند النبي ﷺ ذات ليلة، فقام نبي الله ﷺ من آخر الليل، فخرج فنظر في السماء، ثم تلا هذه الآية في آل عمران: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار)، حتى بلغ: (فقنا عذاب النار)، ثم رجع إلى البيت، فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى، ثم اضطجع ثم قام، فخرج فنظر إلى السماء فتلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك فتوضأ، ثم قام، فصلى، أخرجه مسلم.

(١٣) لعموم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أكرم المجالس ما استقبل به القبلة"، أخرجه الطبراني.

ويترك الاهتزاز أثناء القراءة؛ لئلا يتشبه باليهود في قراءتهم، تفسير أبي حيان (٢١٨/٥)، فتاوى اللجنة الدائمة رقم ١٩٥٨٨.

(١٤) كما اختاره النووي وغيره؛ لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)، [الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩].

(١٥) لحديث ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف"، أخرجه البيهقي .

وحدّ المصحف كل ما كتب فيه القرآن أو بعضه، وكان ظاهرًا ثابتًا، وعليه فلا يعد الجوال مصحفًا.

(١٦) لقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، النحل: ٩٨.

فإن كان المعنى لا يليق عند وصل الاستعاذة بالآية؛ كما في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)، [فصلت: ٤٧]، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ)، [الأنعام: ١٤١] أتى بالبسملة.

(١٧) لحديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أنزلت علي آنفًا سورة (بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك و انحر إن شانئك هو الأبتر)"، أخرجه مسلم .

(١٨) لقوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)، المزمل: ٤ .

قراءة واضحة حرفًا حرفًا،[١٩] يقف عند كل آية،[٢٠] بخشوع وتدبر،[٢١] مع البكاء،[٢٢] وأفضلها قراءة الذي يخشى الله،[٢٣] ويتعلم تجويده من المجودين له،[٢٤]

وله أن يقرأ بالحدر، وكلاهما له أفضيلة؛ للأمر في الأول، ولكثرة ما يقرأ في الثاني، ولا تجوز قراءة القرآن بسرعة تخل بإخراج الحروف من مخارجها، أو تؤدي إلى تغيير حركاتها.

(١٩) لحديث أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة النبي ﷺ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا، أخرجه أحمد والترمذي والنسائي .

(٢٠) لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقطع قراءته آية آية: (الحمد لله رب العالمين)، ثم يقف: (الرحمن الرحيم)، ثم يقف، أخرجه الترمذي .

(٢١) لقول الله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)، ص: ٢٩، وذمّ الله تعالى الذين لا يتدبرون القرآن، قال سبحانه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد: ٢٤].

وثلاثيات التدبر ثلاث: (١) أن تستحضر أن الله تعالى يكلمك، وأن القرآن رسائل الله إليك؛ فتتفقدها، (٢)وأن تتفاعل معها؛ فتسأل الله من فضله، وتستعيذ إذ ذُكر عذابه، وتحمده عند ذكر نعمه، وتسبحه في مواضع التسبيح، (٣) وأن تعرض عملك على القرآن، فتحاسب نفسك بعد كل مقطع منه.

(٢٢) لقوله تعالى: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)، الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩، وفي حديث عبد الله بن الشخير ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

فدلّ على أن صوته بكائه ﷺ كان مكتومًا في صدره.

(٢٣) لحديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله"، أخرجه ابن ماجه .

ويجوز أن يتنقل من قراءة معتمدة إلى أخرى إذا انقضى ارتباط الكلام بما قبله، والأولى المداومة على القراءة الأولى في المجلس، التبيان، للنووي، ص(٩٨).

(٢٤) لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد فبدأ به، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة "، أخرجه مسلم .

ولو شق عليه،[٢٥] ويزين صوته،[٢٦] ويجهر به،[٢٧] والإسرار به أفضل،[٢٨] أو يقرأه بين ذلك،[٢٩] وإذا مر بآية تسبيح سبح، أو آية استعاذة استعاذ، أو أية رحمة سأل الله،[٣٠] وله أن يردد آية؛ ليتدبرها،[٣١]

---

(٢٥) لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران"، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي .

(٢٦) لحديث البراء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "زينوا القرآن بأصواتكم"، أخرجه الخمسة إلا الترمذي، ولحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن"، وفي رواية: "يجهر به"، أخرجه البخاري .

ويؤجر إن قصد تحسين صوته ليؤثر في السامعين له؛ لأنه مقصد حسن، لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: استمع رسول الله ﷺ قراءتي من الليل، فلما أصبحتُ قال: "يا أبا موسى، استمعتُ قراءتك الليلة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود"، قلت: يا رسول الله، لو علمت مكانك لحبرتُ لك تحبيرا، أخرجه ابن حبان.

ولا يقرأ بالألحان التي تُخرج القرآن عن صفة قراءته، وتخلّ بأحكام التجويد؛ كأن يمد ما لا بد فيه.

(٢٧) لحديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: "مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ"، أخرجه البخاري ومسلم.

(٢٨) لحديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة"، أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه.

(٢٩) لقوله تعالى: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)، [الإسراء: ١١٠]، ولحديث أبي قتادة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر يصلي، يخفض من صوته، ومرّ بعمر، وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: "يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك"، قال: قد أسمعتُ من ناجيت يا رسول الله، وقال لعمر: "مررت بك وأنت تصلي رافعًا صوتك"، فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: "يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئًا"، وقال لعمر: "اخفض من صوتك شيئًا"، أخرجه أبو داود.

(٣٠) لحديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: صليتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة... يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، أخرجه مسلم.

(٣١) لحديث أبي ذر ﷺ قال: قام النبي ﷺ بآية، يرددها حتى أصبح، والآية: (إن تعذبهم فإنهم عبادك)، الآية، أخرجه النسائي وابن ماجه.

وإذا فرغ من التلاوة دعا بكفارة المجلس،[٣٢] ويكثر من تلاوة السور التي ورد لها فضل؛[٣٣] كالفاتحة،[٣٤] والبقرة،[٣٥]

---

(٣٢) لما أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب: ما يختم تلاوة القرآن عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلسًا قط، ولا تلى قرآنًا، ولا صلى صلاةً إلا ختم ذلك بكلمات، قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك ما تجلس مجلساً، ولا تتلو قرآنًا، ولا تصلى صلاةً إلا ختمت بهؤلاء الكلمات، قال: "نعم، من قال خيرًا ختم له طابع على ذلك الخير، ومن قال شرًا كن له كفارة: سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك".

(٣٣) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "احشدوا؛ فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ثم قرأ عليهم سورة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)"، أخرجه مسلم.

(٣٤) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلّم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أعطيته، أخرجه مسلم، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل و لا في الزبور ولا في الفرقان مثلها – يعني أم القرآن –، وإنها لسبع من المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيته"، أخرجه أحمد والترمذي، وعنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال : أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: (مالك يوم الدين)، قال: مجدني عبدي، وإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين)، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل"، أخرجه مسلم، ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: قول النبي ﷺ: "وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لي بسهم"، متفق عليه.

(٣٥) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"، أخرجه مسلم، وحديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"، أخرجه مسلم .

خاصة آية الكرسي،[٣٦] وآخر آيتين منها،[٣٧] وآل عمران،[٣٨] والإسراء، والزمر،[٣٩] والكهف،[٤٠] وهود، وأخواتها،[٤١]

---

(٣٦) لحديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت"، أخرجه النسائي، وهي أعظم آية في كتاب الله؛ كما في حديث أبي بن كعب ﷺ الذي أخرجه مسلم .

(٣٧) لحديث أبي مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"، أخرجه البخاري، ولحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دارٍ ثلاث ليال فيقربها شيطان"، أخرجه الترمذي والنسائي .

(٣٨) لحديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين؛ البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما"، أخرجه مسلم، والغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه؛ كسحابة وغيرها، وفرقان: قطيعان وجماعتان من الطيور التي تبسط أجنحتها في الهواء.

(٣٩) لحديث عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل – أي سورة الإسراء–، أخرجه الترمذي، ولحديث العرباض بن سارية ﷺ أن النبي ﷺ: كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات، ويقول فيها آية خير من ألف آية، أخرجه الترمذي، والمسبحات: هي السور التي تفتتح بقوله تعالى: "سبح" أو "يسبح"، أو "سبحان"، وهن سور الإسراء ، الحديد ، الحشر ، الصف ، الجمعة ، التغابن ، والأعلى.

(٤٠) لحديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال"، وفي رواية: من آخر سورة الكهف، أخرجه مسلم، ولحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق"، وفي لفظ: "أضاء له من النور ما بين الجمعتين"، صححهما الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤١) لحديث أبي بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، قد شبت، قال: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت"، أخرجه الترمذي.

والفتح،[٤٢] والملك،[٤٣] والسجدة،[٤٤] والكافرون،[٤٥] والإخلاص،[٤٦] والمعوذتين،[٤٧]

---

(٤٢) لحديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لقد أنزلتُ عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)، أخرجه البخاري.

(٤٣) لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجلٍ حتى غفر له وهي: (تبارك الذي بيده الملك)"، أخرجه الخمسة.

(٤٤) لحديث جابر ﷺ كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ " آلم " تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك"، أخرجه الترمذي .

(٤٥) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن"، أخرجه الطبراني، ولحديث فروة بن نوفل ﷺ أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أويت إلى فراشي، فقال: " اقرأ قل يا أيها الكافرون؛ فإنها براءة من الشرك"، أخرجه الترمذي .

(٤٦) لحديث أبي أيوب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة! فإنه من قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ) [الإخلاص:١ – ٢] في ليلة فقد قرأ في ليلته ثلث القرآن)، أخرجه أحمد، وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "احشدوا؛ فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ثم قرأ عليهم سورة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)"، أخرجه مسلم، ولحديث أنس ﷺ أن رجلاً قال: إني أحبها، فقال: "حبك إياها أدخلك الجنة"، أخرجه البخاري، ولحديث معاذ الجهني ﷺ أن النبي ﷺ قال: "من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة"، ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلاً يقرأ "قل هو الله أحد الله الصمد"، فقال رسول الله ﷺ: "وجبت"، قلت: وما وجبت؟، قال: "الجنة"، أخرجه مسلم.

(٤٧) لحديث معاذ بن عبد الله ﷺ : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة، نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: "قل"، فلم أقل شيئًا، ثم قال: "قل"، فلم أقل شيئًا، قال: "قل"، فقلت ما أقول، قال: "قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"، أخرجه الترمذي، ولحديث عقبة بن عامر ﷺ قال رسول الله ﷺ: "يا عقبة، ألا أعلمك سورًا ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهن، لا يأتين عليك ليلة إلا قرأتهن فيها، قل (هوالله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)"، أخرجه أحمد.

ويستحب أن يسجد عند سجدات التلاوة،[٤٨] ويدعو بالوارد،[٤٩] ولا يقرأه حال الركوع والسجود،[٥٠] ولا حال استعجامه؛ لغلبة نوم،[٥١] ويستحب أن يسمعه من غيره،[٥٢] وينصت لتلاوته،[٥٣] ويتدبرها،[٥٤] ويسعى في حفظ ما استطاع منه،[٥٥]

---

(٤٨) لحديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا أيها الناس إنما نمر بالسجود؛ فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، أخرجه البخاري.

(٤٩) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله! إني رأيت الليلة أصلي خلف شجرة، فقرأتُ السجدة، فسجدت الشجرة بسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود"، قال ابن عباس: فقرأ النبي ﷺ سجدة، ثم سجد، فسمعته، وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة، أخرجه الترمذي.

ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجود القرآن بالليل، يقوله في السجدة مرارًا: "سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته"، أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه.

(٥٠) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "ألا وإني نهيتُ أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم"، أخرجه مسلم.

وقد علل شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بكونها مواطن ذلٍ؛ فلا يليق فيها قراءة القرآن العظيم.

(٥١) لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدرِ ما يقول فليضطجع"، أخرجه مسلم.

(٥٢) لحديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال له: "اقرأ عليّ"، قال: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟، قال: "إني أحب أن أسمعه من غيري"، قال: فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا)، فبكى، متفق عليه.

وفيه أن من أراد أن يوقف القارئ عن قراءته، قال له: حسبك.

(٥٣) لقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، [الأعراف: ٢٠٤].

(٥٤) لقوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}.

(٥٥) لحديث عصمة بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار"، أخرجه البيهقي، والمقصود بالإهاب: جلد حافظ القرآن.

ويراجع حفظه؛ لئلا ينساه،[٥٦] فإذا نسي آية قال: أنسيتها، ولا يقول: نسيتها.[٥٧]
ويجلّ المصحف،[٥٨] ولا يمسه إلا وهو متوضئ،[٥٩] ولا يسافر به إلى أرض العدو؛ لئلا يقع بأيديهم؛ فيهينوه.[٦٠]

ولا يجب على العبد أن يحفظ من القرآن إلا سورة الفاتحة.

(٥٦) لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تعاهدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا – أي تفلتًا – من الإبل في عقلها"، متفق عليه.

(٥٧) لحديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "بئسما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسيّ"، متفق عليه، وثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ، فقال: "رحمه الله، لقد ذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا"، وفي رواية: "كنت أُنسيتها"، متفق عليه .

أما غير القرآن – كالصلاة – فيجوز أن يقول: نسيتها؛ لحديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، فليتم عليه، ثم ليسجد سجدتين"، متفق عليه.

(٥٨) لقوله تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}، [الحج: ٣٢].

ويقبح أن يُقلّب أوراق المصحف بريقه؛ لما في الريق من استقذار.

(٥٩) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لا يمس القرآن إلا طاهر"، أخرجه الطبراني.

وأما مسّ الجوال الذي فيه القرآن، فلا حرج فيه؛ لأنه ليس في حكم المصحف.

(٦٠) لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، متفق عليه، وفي رواية لمسلم: "لا تسافروا بالقرآن؛ فإني لا آمن أن يناله العدو".

سلسلة مواعظ: مؤشرات قرآنية إيمانية

(١) مؤشر الإخلاص:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين ثم أما بعد:

سنتحدث أخوة الإيمان فهذه السلسلة الرمضانية عن مؤشرات إيمانية قرآنية لبعض الصفات الجليلة العظيمة التي يتمناها كل واحد منا.

وها أنا أحدثكم عن مؤشرات الإخلاص لله رب العالمين. لا نجاة إلا بالإخلاص و الإخلاص فيه الخلاص. قال تعالى:{ **إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ *فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** }

هنيئا لمن فاز بالإخلاص، من أخلص تخلص. من أخلص قُبل عمله. و هل يخيف الصالحين إلا عدم الإخلاص! فما هي المؤشرات التي تدلنا على أننا من أهل الإخلاص أحبة الإيمان ؟.

المؤشر الأول: نفرة قلبك من المعصية، و خصوصاً الفاحشة. كيف حال قلبك و الفحشاء؟! أما الذين أخلصوا لله، فتجدهم من أبعد الناس عن هذه الأمور قال تعالى: { **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** } قالوا: هذه ليوسف و لكل من أخلص لله سبحانه و تعالى في عمله. سيصرف الله عنه هذا لأن الله استخلصه لنفسه لما أخلص العبادة لوجه. فهذه علامة الإخلاص أن ينفر الإنسان من الفحشاء، أن ينفر من السوء. المخلص لا يستطيع أن يتسلط عليه الشيطان قال تعالى: { **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** } لم يجعل الله له سلطان أي: تسلط على أهل الإخلاص. قد يأتي العارض قد يأتي الطائف. لكن سرعان ما يتذكر المخلص و يدفعه، قال تعالى: { **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ** }، و قال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** } هذه علامة أهل الإخلاص فأين نحن منها أيها الإخوة، الذي أسكن حب الله في قلبه ما عاد ينظر إلى هذه التفاهات. قالوا: العشق حركة قلب فارغ. فرغ من محبة الله و اشتغل بمحبة الصور. أما غير المخلص فالمؤشر واضح قال تعالى: { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ** } فتجده إذا هو في خير مع الخير، و إذا جاء شر إذا جاءت فتنة على سقط فيها. لماذا؟ لأنه يعبد الله على حرف، ما أخلص دينه لله سبحانه.

أخي الكريم: اختبر نفسك عندما تعرض عليك فتن الشهوات. كيف حالك معها؟ أما المخلص فهي لا تأتيه و لا يأتيها، يعجز الشيطان أن يدخل عليه؛ لأنه ملأ قلبه بمحبة الله سبحانه إلا ما يسرق السارق من حسناته ثم يستنقذها منه بعد ذلك. و أما غير المخلص فتسكن في قلبه الفحشاء، و تعشعش و تفرخ و يتمنى و العياذ بالله.

ما زلت أحدثكم عن مؤشرات هذه الصفة العظيمة صفة الإخلاص. و ما زلنا نبحث في القرآن الكريم من هم المخلصون؟ ما علامتهم؟ حتى نقيس أنفسنا على أحوالهم، أو نسعى أن نكون مثلهم.

إن من مؤشرات الإخلاص أيها الإخوة. أن تجد الإنسان ينفر عن كل قصد غير قصد الله رب العالمين قال تعالى: { **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**} و ما معنى حنفاء؟ يعني: يميلون عن أي شيء غير قصد الله رب العالمين. قصدهم واضح وجهتهم واضحة، فما يريدون دنيا و لا يريدون ثناء، ما يريدون حتى تقول لهم شكراً، فهذه علامة المخلص حتى كلمة شكراً ما يريد يسمعها قال تعالى: { **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** } فما يريد شيئاً إلا رضا الله سبحانه. أما غير المخلص فهو كما قال ربي: { **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ *أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }.

أيها الإخوة:

من مؤشرات الإخلاص: من مؤشرات أن هذا العمل أخلصت فيه، أن تجد أن هذا العمل يبارك لك فيه و يزاد لك فيه. العمل إذا أخلصت فيه لله تجد أنه يبقى، أنه يثمر قال تعالى: { **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ** } فهذه العلامة على أنك أردت حرث الآخرة. قال تعالى: { **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** } فما كان لله دام و اتصل، و ما كان لغير الله انمحق و انفصل، قال تعالى: { **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** }. فهذه هي العلامة: عملت عمل فدعاك لصالحة فالعمل مقبول، عملت بورك لك فيه العمل مقبول، عملت عمل استمرت ثمرته استمرت فائدته فالعمل مقبول. و على قدر الإخلاص تستمر الأعمال. حتى الشهداء على قدر إخلاصهم في الشهادة تبقى أجسادهم لا تأكلها الأرض في القبر. و في المقابل علامة غير المخلصين، علامة المرائين أن العمل يمحق. عمله كرماد، عمله كسراب. يذهب عمله جفاء كما قال الله تعالى: { **كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ** } أي عمل رياء لا يستمر و لا يبقى و لا يثمر.

قارن بين صدقة إخلاص و صدقة رياء، قال تعالى: { **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ** } يعني العمل المخلص نافع قل أو كثر، و تأتي ثمرته و الانتفاع به و يبقى.

لكن صدقة غير المخلص، قال تعالى: **{ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا }**، فالعمل المخلص يبارك لك فيه، يزاد لك فيه حسنة، تدعو لحسنة أخرى يبقى و يستمر. أما عمل الرياء هذا يمحق، يمحق في الدنيا و يمحق يوم القيامة و العياذ بالله، يأتي بجبال من الأعمال يجعلها الله هباءً منثوراً. نعوذ بالله من فعل المرائين.

اللهم أعنا على الإخلاص و اجعلنا من أهل الإخلاص. اللهم احفظنا يا ربنا و وفقنا للإخلاص لوجهك الكريم اللهم اجعل صيامنا و قيامنا و اعتكافنا و دعائنا و صدقاتنا خالصة لوجهك الكريم نافعة لنا يوم الدين. اللهم إننا نعوذ بك أن نأتي بأعمال لا تنفع و أن نأتي بصالحات لا تشفع. اللهم إنا نعوذ بك أن نأتي بحسنات كالجبال تجعلها هباءً منثوراً يوم الدين. اللهم إنا نسألك أن تتقبل منا حسناتنا على قلتها و تضاعف لنا أجورها بفضلك و كرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم أوقفنا في مواقف المخلصين. و ألزمنا سلوك هدي المتقين؛ إنك أنت الكريم المجيب يا رب العالمين.

(٢) مؤشر رضا الله:

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده. و صلى الله و سلم تسليماً كثيرا مزيداً إلى يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أحبة الإيمان: ما زلت معكم في هذه السلسة الرمضانية حول مؤشرات قرآنية إيمانية توجه لك السير و تقود لك المسيرة، و تأخذ بك إلى طاعة الله تعالى، فهنيئًا لك يا من جعل القرآن قائده.

أحبة الإيمان: أحدثكم عن مؤشر إيماني لأمر عظيم، ما منا من أحد إلا و يتمناه. عن مؤشر رضا الله. كيف تعرف أن الله رضي عنك؟ ما هي العلامات التي تدلك في هذه الدنيا عن عملك و عن قولك و رضا عنك سبحانه. طبعاً لا شك أن هذه أمنية عظيمة . إذا كان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و هم رسل الله يدعون الله بها قال تعالى: { **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** }. فكيف لا أتمنى أنا و أنت ذلك. أتدري أن منزلة رضوان الله منزلة عظيمة بعد أن وعد الله المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار. و وعد المؤمنين فيها مساكن طيبة قال الله عز وجل: { **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } كون الله يرضى عنك هذه أعظم أمنية. و ليس الناس كلهم كذلك هناك أناس يتقلبون في رضوان الله و هناك أناس و العياذ بالله يتقلبون في سخط الله، و يجب أن تحدد أين تذهب { **أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ** }، بينهم فرق عظيم جداً، فرق بين الفائز فوز أبدي وبين الخاسر خسارة سرمدية، و العياذ بالله.

كيف أعرف أني ممن رضي الله عنهم؟ هناك مؤشرات قرآنية أشارت إلى علامات هذا الرضوان.

أول تلك المؤشرات: أن يفتح الله عليك في العبادة. إذا أحبك الله و رضي عنك أقامك بين يديه. و إذا ما أحبك صرفك عن القيام بين يديه قال تعالى: { **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** } يعني: علامة الذي رضي الله عنه واضحة في وجهه. فالله إذا رضي عن العبد أسكن النور في قلبه، هذا النور يشع على وجهه فترى على وجهه سيما الرضوان. و في المقابل من المؤشرات على عدم رضا الله عن العبد أن الله – يسلبه هذا النور– و لا يوفقه إلى محبة الطاعة، قال تعالى: { **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** }.

إن من مؤشرات رضا الله سبحانه و تعالى على العبد التي يراها في هذه الدنيا قبل أن تكشف له يوم القيامة، أن الله سبحانه و تعالى يهديه من خير إلى خير قال تعالى: { **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }، ترى الذي رضي الله عنه يهديه و يفتح له أبواب هداية.

سبحان الله يوفق أن يجد صاحب خير يعبد الله معه. يهديه الله أن يجد شيخ إيمان و علم يتربى على يديه. و يهديه الله أن يجعل بيته بجوار مسجد فيه أناس صالحون يعبد الله معهم. و يهديه الله فيتزوج زوجة صالحة تعينه على التقوى يهديه الله سبل السلام. وفي المقابل أن الله إذا سخط على العبد تتعسر عليه طرق الهداية. فتجده مضطربًا { **كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا** }. و على قدر ما يرضى الله عنك على قدر ما يفتح لك من سبل السلام.

و من مؤشرات رضا الله عن العبد أن يجعل الله هذا العبد صادقاً في أقواله و أعماله و أحواله، فلا يمكن أن يرجع من وصل إلى الله، كل من رجع من وسط الطريق. فكل من رضي الله عنه يثبته على الصدق، يصدق في قوله يصدق في عمله، تأتي المؤلمات تأتي المشوشات تأتي المؤذيات و هو صادق ثابت على دين الله. انتبه لا تظن أن من علامة رضا الله أن يفتح للعبد الدنيا، فهذه علامة خاطئة ظنها الكفار، كلا الدنيا يعطيها الله من يحب و من لا يحب.

فانظر في نفسك أين أنت في صدقك في قولك و عملك و حالك مع الله. أين أنت في تيسير أمور الخير لك و قطع سبل الشياطين حولك. أين أنت في محبة العبادة حتى أحببت الله و أحببت عبادة الله و أقبل الله بقلبك إليه. فلا تراك إلا راكعًا ساجدًا تالٍ للقرآن ذاكرًا لله. إيمانك نوره في قلبك و علامته في وجهك. هذه من مؤشرات الله عن العبد. فاسأل الله أن يعينك على ذلك، و أن يثبتك عليه، و ادعُ الله بهذه الكلمات يقول صلى الله عليه و سلم لشداد بن أوس: (إذا اكتنز الناس الدرهم و الدينار فاكتنز هذه الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر و العزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك و حسن عبادتك، واسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، واسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، و أسألك من خير ما تعلم، و أعوذ بك من شر ما تعلم، و أستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب)

اللهم إنا نسألك رضوانك و الفوز بجنانك و العتق من نيرانك اللهم إنا نسألك رضاك و الجنة و نعوذ من سخطك و النار، اللهم يا ربنا يا ولينا إنا نعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و بك منك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم فزدنا و لا تنقصنا و أعطنا و لا تحرمنا و أكرمنا و لا تهنا و آثرنا و لا تؤثر أحداً علينا و رضنا و ارضا عنا.

(٣) مؤشر الصلاح:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم. اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا وزدنا علما إنك أنت العليم الحكيم. اللهم اجعل علمنا حجة لنا يوم نلقاك يا رب العالمين.

أحبة الإيمان: و تستمر معنا المجالس الرمضانية الإيمانية و نحن نبحث في أنفسنا و نبحث في كتاب ربنا عما يقربنا إليه و يرشدنا إلى طاعته و يأخذنا إلى مرضاته. و عن سؤال نتساءل عنه و نبحث عن جوابه هل نحن من الصالحين؟ هل أنت يا عبد الله من أهل الصلاح؟ هل كتبك الله في عباده الصالحين؟

دعوة دعا بها كبار الأنبياء { **وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** } دعا بها إبراهيم عليه السلام و دعا بها يوسف عليه السلام، سليمان الذي أوتي ملكًا لم يؤت أحد ملك مثله يقول: { **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** }. هل أنت من الصالحين؟ هل أنا من الصالحين؟ أنبياء عظام ذكرهم الله سبحانه ثم قال عز من قائل: { **وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ** } من منا ما يتمنى أن يكون من الصالحين؟! كل واحد منا يقول { **وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** } و الله إن لم تتمناه في الدنيا الآن لتتمناها عند الموت { **رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ** } كلنا يتمنى ذلك لكن المسألة ليست تزكية نفس. المسألة ليست أماني، فيتمنى الإنسان على الله الأماني. المسألة كل المسألة أن يشهد الله لك أنك من الصالحين { **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** } إذا كتبك الله عنده من الصالحين فزت يا عبد الله. لكن كيف أعرف أن الله اختارني و تقبلني و أدخلني و ألحقني بالصالحين؟ كيف أعرف؟ جعل الله لذلك علامات لترشدك إلى هذا في الدنيا، فتستطع بذلك أن تقرأ فيمن كتبك رب العزة سبحانه.

من تلك المؤشرات القرآنية: أن يكتب الله لك قبولاً في نفوس الناس، و خاصة في نفوس المؤمنين إذا أحبك الله وأحب عملك نادى جبريل: إني أحب فلانًا. فيحبه جبريل، فينادي جبريل: إن الله يحب فلانًا. فيحبك من في السماء. ثم يوضع لك القبول في الأرض. قال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** } محبة تقذف في قلوب الناس لك. على قدر ما معك من الصلاح على قدر ما تأخذ من هذه المحبة. و في المقابل إذا لم تكن من الصالحين، إذا أبغضك رب العالمين ستجد أن الناس يبغضونك و خاصة المؤمنين. و كلما ازددت في الفسق أكثر كلما زاد لك البغض أكثر. ماذا قال الله في فرعون:{ **وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً** }

و أما المؤشر الثاني: أن تعيش في هذه الدنيا حياة نفسية مرتاحة مستقرة طيبة حتى و لو كنت فقيراً و الشاهد من كلام الله: { **فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } و قال تعالى – في سورة الأعراف- : { **فَمَنِ اتَّقَى**

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }. و أما المعيشة فقال تعالى: { **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }. و في المقابل إذا نقص الصلاح، غير الصالح تجد أن حياته نكد هم و غم و ضيق. بل إن الصالح إذا عصى الله يشعر بالهم و الضيق فيعرف بذلك أن العلاقة التي بينه و بين الله قد تغيرت فيرجع مرة أخرى إلى الله. على قدر ما تبتعد من الله على قدر ما تشعر بهذا الضيق حتى ماذا ؟ يقول تعالى: { **يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** }. و أما المعيشة فقال تعالى: { **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** }

و أما المؤشر الثالث: أن يسارع في الخيرات. يسبق إخوانه في بر والديه، و يسبق أصحابه في عيادة المريض قال تعالى: { **وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** }. و الذي ليس من الصالحين يسارع في النميمة يسارع في الظلم يسارع في الفاحشة، يسارع في الجرائم، يسارع في الصد عن دين الله قال تعالى: { **وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**}.

أيها الأخوة هذه من المؤشرات القرآنية الإيمانية الربانية التي تستطيع أن تعرف حظك من الصلاح. أين أنت من المسارعة إلى الخيرات؟ كيف حياتك و استقرارك النفسي و المعيشي؟ كيف حب الناس و قبولهم لك؟ حدد أجوبة هذه الأسئلة لتعرف هل كتبت من الصالحين في الدنيا. فإن كنت كذلك فاعلم أنه فضل الله، لولا فضل من الله و نعمة ما زكت أعمالنا و لا صفت بين يديه أقدامنا، و لا سجدت له جباهنا، لو شاء الله لنزع كل محبة في قلوب الخلق لنا، لو شاء الله لأضلنا سواء السبيل فأصبحنا مع أهل الزيغ و الفاحشة و الانحراف و الضلال، لكنه فضل من الله و نعمة.

اللهم إننا نسألك أن تديم علينا فضلك و أن تزيد لنا من نعمك. اللهم يا ولي الإسلام و أهله مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به. اللهم يا رب العالمين زدنا فضلاً و توفيقاً و نعمة و رضاً. اللهم ما أمسى بنا أو بأحد من خلقك من نعمة فمنك وحدك فلك الحمد و لك الشكر. اللهم إننا نسألك ثباتاً على الخير، و إننا نسألك زيادة على الخير، اللهم ألحقنا بالصالحين، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. اللهم إنا نسألك أن نحيا صالحين و أن نموت صالحين و أن نبعث يوم القيامة مع إمام الصالحين. و صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم.

(٤) مؤشر الإيمان بالله واليوم الآخر:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم اللهم زدنا علما يقربنا منك عملاً، و زدنا عملاً يزيدنا لك تقوى، و زدنا تقوى ترضيك عنا.

أيها الإخوة: حديثنا يتجدد و نحن نبحث عن مؤشرات في هذه الدنيا تقودنا إلى الطريق الصحيح إلى الله سبحانه. من تلك المنازل الإيمانية العظيمة التي يتمناها كل منا أن يكون ممن يؤمن بالآخرة، ما أعظم هذه المنزلة العظيمة أن يشهد

لك أنك من المؤمنين، أنك ممن يؤمن بالله و اليوم الآخر. ذكر الله أنبياء عظماء فقال تعالى: { **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧)** } إذا جعلك الله ممن يؤمن بالآخرة أعطاك خالصة عظيمة خصك الله بها من بين كثير من الخلق، لو فزت بها أبشر. كل الأمم و كل الرسالات و كل النبوات كل الأديان السماوية كان ميزان فلاحهم و علامة فوزهم هذه القضية. قال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } إذا فزت بها فزت بالمنزلة العظيمة. طبعاً للأسف كثيرون الذين يقولون أنهم يؤمنون بالله و اليوم الآخر القضية ليست قضية لسان قال ربي: { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** }. إذاً فمن يعرف من يؤمن بالله و اليوم الآخر و من لا يؤمن؟ قال تعالى: { **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ** } الذي يعرف هو الله. إذًا فالمسألة ليست بالقول.

هناك ثمة مؤشرات قرآنية تدل على هذه الخصلة الإيمانية.

المؤشر الأول الذي إن كان فيك فأبشر فقد فزت بعظيم. المؤشر الأول: أن يكون في العبد فرح بالتكاليف الشرعية فتلك علامة واضحة على أن هذا الرجل أو تلك المرأة ممن يؤمن اليوم الآخر. فأي تكليف شرعي هل تقبل عليه بفرح برضا؟! خذ مثلاً الصدقة قال تعالى: { **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ** } يدفع مال يتصدق يراها تقربه إلى الله يراها فوزًا بدعوات الرسول صلى الله عليه و سلم يتصدق و هو فرح بتلك الصدقات. و في المقابل { **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا** } أي تخرج منه بشح، ما يعطيها بطيبة نفس، ما يؤمن أن الله سيعوضه و يكرمه في الآخرة و أنه سيجدها أمامه في الآخرة و أن الله عز و جل سيضاعفها له في الآخرة. فانظر للتكاليف الشرعية مثلاً تكليف الجهاد قال تعالى: { **لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** }، إذاً فمن الذي يستأذن؟ قال تعالى: { **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** } إذاً فالعلامة واضحة فإذا جاءت التكاليف الشرعية فكيف أنت معها؟.

إذا جاءت الصلاة مثلاً ترى الذي يؤمن بالله و اليوم الآخر يصلى صلاة الخاشع الفرح الذي يستبشر بصلاته، والذي لا يؤمن بالله و لا باليوم الآخر يصلي صلاة المثقل المتكاسل الذي بالكاد يذكر الله فيها قال تعالى: { وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }، أرأيت ؟ التكاليف الشرعية تثبت لك هذا قال تعالى: { **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** } يصليها بخشوع فمن يا رب هذا الذي يصليها بخشوع؟ **{ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }** فهذا يصلي و يرتاح في الصلاة قرة عينه الصلاة و يخشع في الصلاة ما يريد الصلاة أن تنتهي. إذاً

فانظر لنفسك مع التكاليف الشرعية. هل تفرح هل تستبشر؟ فعلامة المؤمن الذي يفرح بالله و اليوم الآخر أنه يفرح بما كلفه الله من أعمال الخير فيأتيها في خشوع و يأتيها في فرح و يأتيها في استبشار و لا يتأخر بخلاف الذي ضعف إيمانه بالله و اليوم الآخر نعوذ بالله من الخذلان. حتى الاعتكاف تجده يعتكف في بيت الله يذكر الله و يدعو الله و هو فرح مستبشر قال تعالى: { **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** }، بخلاف الذي ينافق و ضعف إيمانه بالله و اليوم الآخر ما يدخل المسجد، و إذا دخل يشعر أنه دخل سجنًا متى يخرج منه إلى الدنيا إلى اللهو و اللعب. أما الذي جعل الله في قلبه الإيمان بالآخرة تجده يعمر مساجد الله.

أيها الإخوة من المؤشرات القرآنية على هذه القضية الإيمانية: أن الذي يؤمن باليوم الآخر لا يمكن أبداً أن يحب أعداء الله قال تعالى: { **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ** } هل كتب الله في قلبك الإيمان ابحث عن هذه الخصلة. فما موقفك من أعداء الله، أناس يعادون الله يحادون الله يحادون دين الله يحاربون شرع الله فماذا في قلبك لهم؟ فإن كنت تحب الله و اليوم الآخر فلا يمكن أن يكون في قلبك مودة لهؤلاء. فهذه علامة واضحة يختبرها الإنسان في قلبه.

المؤشر الثالث لمن يؤمن بالله ولمن يؤمن بالآخرة: من الذي يوجهك ؟ أجب عن هذا السؤال: من الذي يوجهك؟ من الذي تشعر أنه يقود حياتك، القرآن أو الشيطان؟ إجابة هذا السؤال تحدد لك إجابة هل تؤمن بالله و اليوم الآخر أو لا. على قدر إيمانك بالآخرة تتبع القرآن قال تعالى: { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ** }. تأتي مواعظ القرآن و نحن نسمع القرآن فإذا بالله يقول: { **ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** } تجد مواعظ في القرآن متجهه لمن **{ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ }** و قال تعالى: { **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** }. فإن كنت ممن يؤمن بالله و اليوم الآخر أول ما تسمع كلام الله كلام الرسول تسمع القرآن مباشرة تتجه لأن قلبك معمور بمحبة الله و اليوم الآخر. أما الذي ليس في قلبه محبة لا لله و باليوم الآخر فأثقل شيء عليه أن تقول قال الله، قال تعالى: { **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** } لكن إذا سمع كلام الشياطين و إذا به { **وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ** } هذا إذا سمع كلام الهوى كلام الضلال شبهات المضلين.

فزن نفسك إذا قيل لك قال الله و إذا وجهت بتوجيه من شياطين الإنس والجن أيهما أسهل على قلبك: إتباع الهوى إتباع الشيطان إتباع حظ الدنيا، أو إتباع الله إتباع الرسول و إتباع القرآن.

هذه ثلاث مؤشرات قس نفسك مع كل مؤشر و انظر كم أخذت من كل مؤشر. لتعرف قبل أن تعرف يوم القيامة هل تؤمن بالله و اليوم الآخر أو لا؟ لتعرف في هذه الدنيا قبل أن تنكشف الأوراق يوم القيامة. كم هي نسبة إيمانك بالله و اليوم الآخر قسها على ما سمعت: كم نسبة فرحك بالطاعة و كرهك لأعداء الله و إقبالك على ما وجهك إليه كتاب و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ على قدر ذلك تعرف مستوى إيمانك بالله و اليوم الآخر.

اللهم يا ربنا يا مولانا حقق في قلوبنا ال يقين، و أعظم في قلوبنا الإيمان، اللهم و زينه في قلوبنا و حببه لنا و اجعلنا من الراشدين اللهم يا ربنا أخسئ شياطيننا، و فك رهاننا، و ثقل موازيننا و اكتبنا عندك في الندي الأعلى. اللهم يا رب العالمين اجعلنا ممن يتقيك و يخافك و ممن يسع إلى رضاك اللهم يا ربنا عمّر قلوبنا بالإيمان بك، و بالإيمان بلقائك، و بالإيمان بثوابك و بالإيمان بعقابك. اللهم إننا نسألك إيماناً لا يرتد و نعيماً لا ينفد. و مرافقة محمد صلى الله عليه و سلم في أعلى جنة الخلد.

(٥) مؤشر القبول:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبينا و إمامنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ثم أما بعد:

ما زلنا معكم في هذه الليالي الرمضانية الربانية الإيمانية، و في حديثنا مع المؤشرات القرآنية. نسأل الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا جميعاً بهذه الكلمات و أن يمن علينا في هذه الليالي المباركات و الساعات الغاليات بعظيم الرحمات و واسع البركات إنه سبحانه مجيب الدعوات.

تحدثنا في ليالي خلت عن مؤشر الإخلاص و الإيمان بالآخرة و الصلاح و رضا الله و القلب السليم و هذه الليلة أقف مع آخر هذه المؤشرات الإيمانية القرآنية، وهو لَأمر عظيم. كم بحثنا عنه وكم دعونا الله به. أحدثكم عن مؤشر القبول. كيف تعرف في هذه الدنيا أن الله سبحانه قد قبل عملك. لا شك أن هذا أمر غيبي سينكشف يوم القيامة لكن يوم القيامة يوم التغابن و يوم كشف الأسرار ولا رجعة بعد انكشاف الحساب في ذاك اليوم. أما نستطيع أن نعرف في هذه الدنيا هل نحن من المقبولين فنفرح، أم أننا من غير المقبولين فنصحح؟ أيها الإخوة: إنه القبول الأمر الذي أبكى الصالحين و ما زالوا إلى الخواتيم ما يدري أحدهم هل يتقبل الله منه، أو يرد الله عمله؟ يقول ابن عمر: لو قِبل الله مني حسنة واحدة لفرحت فرحاً عظيماً لأن الله قال: **{ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }** فهل أنا و أنت هل نحن من المقبولين؟ هل قبل الله أعمالنا؟ أم أنها ستأتي يوم القيامة فيجعلها الله هباءً منثوراً. أناس يأتون يوم القيامة بحسنات بيضاء أمثال جبال تهامة يجعلها الله هباء منثوراً. فخاف الذين يخافون ربهم، خاف الذين يتقون و يخشون، خاف الصحابة من هذا الكلام (يأتون يوم القيامة بحسنات كأمثال الجبال يجعلها الله هباءً منثوراً) يا رسول الله! صفهم لنا

جلهم لنا لا نكون منهم و نحن لا نشعر. فقال: (أما إنهم منكم و من جنسكم و يقرأون القرآن كما تقرأون و يصلون كما تصلون) نعوذ بالله من الخذلان.

عباد الله: إن سر القبول الذي أخفاه الله عن الصالحين هو الذي جعلهم يتعلقون بأستار رحمة الله، و لا يرجون عملاً من أعمالهم، و إنما يرجون رحمة من الكريم سبحانه. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما منكم سيدخل الجنة بعمله) قالوا: و لا أنت يا رسول الله. قال: (و لا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه و فضل). أيها الإخوة لن يضيع من أعمالكم الصالحة شيء، لكن من يخبرنا أن أعمالنا صالحة. قال تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا }** لكن من يخبرنا أننا أحسنا العمل. فو الله لو أحسنّا العمل ما ضاع منه شيء، فمن منا المقبول فنهنيه؟.

أخي الكريم: هناك مؤشرات قرآنية تدل على القبول. تستطيع أن تعرف في هذه الدنيا من خلالها هل أنت ممن قبل الله حسنته و ضاعف له درجته و أعظم له صالحته أم أنك لست من المقبولين يا ترى ما هذه المؤشرات التي تكشف لنا شيئاً من سر القبول.

أخي الكريم: من تلك المؤشرات القرآنية على القبول أن تشكر الله بعد الطاعة على ما وفقك له و تستغفر الله بعد الطاعة على ما قصرت فيها. تفعل الطاعة و أنت ما تنسبها إلا لله، يا رب هذا فضلك، هذا إحسانك هذا عطاؤك هذا توفيقك. يا رب كل هذا القيام و كل هذه الدعوات و كل هذا الصيام و كل هذه الصدقات كلها فضل منك. ما مني شيء. أنا لست شيء و لا بشيء، و لا أساوي شيء هذا كله فضلك و خيرك و سترك على عبدك، يا رب أنا مني التقصير في هذه الطاعة يوم أن ما خشعت في الصلاة و ما تضرعت في الدعاء يا رب أنا مني التقصير في الطاعة يوم أن ما صدقت في اللجوء إليك، و ما بكت عيني بين يديك، يا رب كل نعمة و طاعة منك و كل تقصير مني.

فإذا فعلت الطاعة و تشعر بعدها بهذا الشعور يمتلئ قلبك شكر لله و نسبة النعمة له، و اعتراف بالتقصير و الذنب هذه علامة القبول، قال تعالى: **{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ }**. و في المقابل ذاك الرجل الذي ما تقبل الله عمله، فهناك مؤشر لعدم القبول فتجده يزكي نفسه يمدح نفسه يرى أنه هو القائم هو الصائم هو الذي قام برجليه الساعات ذات العدد، هو أفضل من غيره يرى في نفسه منة و يرى في نفسه تزكية لعمله. الله سبحانه إذا أراد أن يحبط العمل يجعلك تعجب بالعمل قال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي**

مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا } فتزكية النفس بالمدح لها: كذب على الله وإثم مبين.

و المؤشر القرآني الثاني من مؤشرات قبول الأعمال خوف عدم القبول. إذا أحسست أنك خائف من عدم القبول فاعلم أن هذا مؤشر من مؤشرات القبول. قال تعالى: **{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ }** قالت عائشة: يا رسول الله: أهو الذي يزني و يسرق و يخاف أن الله يعاقبه. قال: (لا يا ابنة الصديق! ذاك الذي يصلي و يصوم و يتصدق و يخاف ألا يقبل الله منه). فإذا صار في قلبك بعد العمل خوف عدم قبول العمل هذا دليل على قبول العمل. قال تعالى: **{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ }**. و في المقابل الذي يمن بعمله و يعجب بعمله، نعوذ بالله من تلك المنة تبطل الصدقة، ونعوذ بالله من العجب يحرق العمل. قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }**. فانتبه! قد يأتي شيء ينسف كل شيء. لذلك علق قلبك دائماً بالقبول. و الله إن صلاتنا ليست بشيء و لا صيامنا إن لم يتقبله ربنا برحمته.

أما المؤشر الثالث من مؤشرات القبول: إذا كانت حسنة قبلها الله سيزيدها سبحانه حسناً. قال تعالى: **{ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا }**. إذا كانت حسنة و قبلها الله يزيدك الله صالحات، تجد الإنسان يقوم ركعة فيقوم ركعة ثانية، صام يوم فيصوم يوم ثاني، تصدق بصدقة يتصدق بأخرى. فهذه علامة القبول أن الله زادك حسنة بعد حسنة. قال تعالى: **{ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ }**. و إذا ما قبل الله الحسنة يصرفك عن الطاعة فمثلاً يحفظ القرآن ثم يتركه. قال تعالى: **{ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ }** و الأكثر من ذلك أن تزين له المعصية فهذا دليل على أن الطاعة ما قبلت لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، فلو أنها قبلت لنهته.

أيها الإخوة: هذه ثلاث مؤشرات على القبول. الأول: أن تنسب النعمة لله و تنسب التقصير إلى نفسك.

الثاني: أن تشعر بالخوف من عدم القبول.

الثالث: إذا كانت حسنة قبلها الله يزيدك حسناً.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم و تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللهم تقبل توبتنا و اغسل حوبتنا و أجب دعوتنا و ثبت حجتنا و اهدي قلوبنا و اسلل سخيمة قلوبنا، وسدد ألسنتنا.

اللهم إننا نسألك الثبات في الأمر و العزيمة على الرشد، و نسألك شكر نعمتك و حسن عبادتك و نسألك قلباً سليماً و لساناً صادقاً و نسألك موجبات رحمتك و عزائم مغفرتك و نسألك من خير ما تعلم و نعوذ بك من شر ما تعلم و نستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

اللهم لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور و سعي مشكور و عمل صالح متقبل مبرور. اللهم و اجعل أعمالنا نوراً يسعى بين أيدينا و بأيماننا يوم القيامة.

اللهم إذا طاشت بالناس الموازين و زلت بالناس على الصراط الأقدام و سودت الوجوه يوم القيامة اللهم إننا نسألك أن تبيض وجوهنا و تثقل حسناتنا. و تثبت على الصراط أقدامنا. اللهم تقبلنا برحمتك يا رحمن السماوات و الأرض. اللهم لا نرجو في ذلك المقام عمل و لا قول و لكن نرجو مغفرتك و أنت أهل التقوى و أهل المغفرة. اللهم إنا نعوذ بك من حظوظ أنفسنا و من الشيطان. و نسألك رحمتك يا رحمن. اللهم و ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء. اللهم إنك عفو و تحب العفو فاعف عنا.

شرح كتاب الصيام من متن الدرر البهية للإمام الشوكاني رحمه الله

فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة، وصام الرسول صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وقد كان الصيام الواجب في أول الأمر صوم عاشوراء، ثم نسخ وخيّرنا بين صوم رمضان أو الإطعام، ثم نسخ وأمرنا وجوبًا بصوم رمضان .

والصوم أقسام: صوم واجب، وصوم مندوب، وصوم مكروه، وصوم محرم، والصوم الواجب ثلاثة أقسام: واجب لزمان: كصوم رمضان، وواجب لعلة: كصوم كفارة، وصوم لإيجاب المكلف: وهو صوم النذر .

والصيام في اللغة: الإمساك، وشرعًا: هو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، لذا كان الحديث عن فقه الصيام حديثًا عن جانبين: الأول: جانب معرفة المفطرات، والثاني: جانب وقت الإمساك والإفطار، والكلام في وقته كلام عن وقتين: الأول: وقت متعلق بيوم الصوم؛ فيمسك من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، والثاني: وقت متعلق بشهر الصوم، ويأتي في كلام الماتن .

يجب صيام رمضانَ لرؤية هلاله من عدل، أو إكمال عدة شعبانَ، ويصوم ثلاثين يوماً ما لم يظهر هلال شوالٍ قبل إكمالها، وإذا رآه أهل بلد لزِم على سائر البلاد الموافقة، وعلى الصائم النية قبل الفجر.

<u>يجب صيام رمضانَ</u> : صوم رمضان ركن من أركان الإسلام، وهو واجب بالإجماع، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} سورة البقرة/١٨٣، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: .. وذكر صوم رمضان"، كما في المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويجب صوم رمضان إذا توفرت شروط وجوبه وانتفت موانعه، وشروط وجوب صوم رمضان: الإسلام والبلوغ والعقل، وموانع وجوبه: السفر والمرض، والحيض والنفاس، والحمل والإرضاع، فيجب صوم رمضان على المسلم البالغ العاقل إذا لم يقم به مانع من موانع الصوم، ويضبط ذلك ما يلي :

– إذا زال شرط الوجوب: لم يجب الإمساك ولا القضاء، فالكافر والصغير والمجنون ليس عليهم إمساك ولا قضاء .

– وإذا وجد المانع: لم يجب الإمساك ووجب القضاء، كامرأة حاضت، ورجل سافر أو مرض .

– وإذا وجد شرط الوجوب في نهار رمضان: وجب الإمساك لا القضاء؛ ككافر أسلم، أو صبي بلغ، أو مجنون عقل .

– وإذا زال المانع في نهار رمضان: وجب القضاء ولم يجب الإمساك؛ كامرأة طهرت، ورجل شفي أو وصل إلى بلده .

والوقت المتعلق بشهر الصوم يتعلق بدخول شهر رمضان، ويتحقق ذلك بأحد أمرين :

الأول : **لرؤية هلاله من عدل**: وتكفي رؤية العين المجردة، وتكفي رؤية العدل الواحد؛ كما ذهب الجمهور؛ خلافًا للمالكية الذين اشترطوا رؤية عدلين؛ كبقية الأشهر، والراجح الأول، وأن شهر رمضان يثبت برؤية عدل واحد؛ لما روى أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني رأيته، فصامه، وأمر الناس بصيامه .

الثاني: **أو إكمال عدة شعبانَ**: ثلاثين يومًا؛ لما روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين" .

وتتم عدة أيام الصيام بأحد أمرين :

الأول: **ويصوم ثلاثين يوماً**، والثاني: **ما لم يظهر هلال شوالٍ قبل إكمالها**: فإما أن يرى هلال شوال أو يكمل عدة رمضان ثلاثين يومًا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق .

ويظهر مما سبق أنه لا عبرة في وقت الإمساك والإفطار بالاحتياط؛ فلا يحتاط بدخول الشهر بصيام يوم الشك ولا بالعمل بالحساب، ولا يحتاط في صيام كل يوم بتقديم الإمساكية على الفجر أو تأخير الفطر؛ وقد سبق كيف أن الشرع أثبت دخول شهر رمضان – خلافًا لغيره من الأشهر – برؤية العدل الواحد .

وإذا رآه أهل بلد لزِم على سائر البلاد الموافقة: وهذا هو قول الجمهور، وذهب الشافعية إلى أنه لا يلزم إلا من كان على نفس مطلع مجال الرؤية؛ لاختلاف مطالع الأهلة بين البلاد، وكلا القولين يستدل بحديث ابن عمر السابق، وهل هو على عمومه المطلق أو على

عمومه لكل أهل رؤية واحدة ؟، العمل اليوم على أن أهل كل محلة تتبع ولي أمرها؛ لئلا يزداد الأمر فرقة بين أهل البلد الواحد، والله أعلم .

وعلى الصائم النية قبل الفجر: هذا الركن الأول: من أركان الصوم: تبييت النية قبل الفجر؛ لعموم حديث عمر رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"، ولحديث حفصة رضي الله عنها عند الأربعة، واختلف في رفعه ووقفه: "من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له"، وقد اختلف أهل العلم هل لكل يوم نية أم تكفي نية الشهر؟ والأول هو قول الجمهور، والثاني قال به المالكية، وثمرة الخلاف قليلة؛ إذ النية محلها القلب، وإذا علم المسلم أن غدًا من أيام رمضان؛ فنيته تتبع علمه، ولا يتصور للخلاف ثمرة إلا في حق من نام من قبل صلاة المغرب واستيقظ بعد صلاة الفجر؛ فهذا الذي لم يبيت الصيام من الليل، وهو نادر، ووجوب تبييت النية من الليل خاص بصيام الفرض، أما النفل فلا يشترط تبييت نيته من الليل، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: "هل عندكم شيء؟"، فقلنا: لا، فقال: "فإني إذن صائم"، أخرجه مسلم.

وأما الركن الثاني من أركان الصيام: فهو الكف عن المفطرات، وقد عقد لها الماتن بابًا، فقال :

بابٌ مبطلاتُ الصيام:

ويبطل بالأكل، والشرب، والجماع، والقيء عمداً، ويحرم الوِصال، وعلى من أفطر عمداً كفارة ككفارة الظِّهار، ويُندب تعجيل الفطر وتأخير السُّحور.

بابٌ مبطلاتُ الصيام:

وليُنتبه في هذا الباب إلى ضابطين: الأول: أننا إذا شككنا في كون الشيء مفطرًا أو غير مفطر؛ فالأصل أنه لا يفطر؛ لأن صومه ثابت بيقين فلا يزول إلا بيقين، والثاني: أن من تناول مفطرًا لا يحكم بفطره إلا إذا كان عالماً ذاكرًا قاصدًا؛ لحديث ثوبان رضي الله عنه عند الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، فيشترط أن يكون عالماً بالحكم والحال؛ فمن جهل الحكم؛ كمن لم يعلم أن الأبر المغذية مفطرة فلا قضاء عليه، ومن جهل الحال؛ كمن أكل ظاناً بقاء الليل فلا قضاء عليه، وكذا من كان ناسيًا غير ذاكر؛ فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من نسي وهو صائم

فأكل أو شرب فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه"، ويشترط أن يكون قاصدًا أي مختارًا غير مكره، فأما من بلع ذبابة أو احتلم فهو غير مختار فلا قضاء عليه، ثم بدأ بذكر مبطلات الصيام:

المبطل الأول والثاني: **ويبطل بالأكل والشرب** : وضابطه إدخال ما له جرم إلى الجوف عن طريق الأنف أو الفم؛ فلا تؤثر الغرغرة؛ لعدم تحقق الإدخال، ولا شم الطيب؛ لأنه ليس بجرم، ولا دهان الجلد؛ لعدم وصوله للجوف، ولا قطرة العين والأذن، ويلحق بالأكل والشرب ما في معناهما من حقن التغذية، دون الحقن المهدئة أو المسكنة .

المبطل الثالث: **والجماع**: وضابط الجماع: تغييب الحشفة في الفرج؛ سواء في قبل أو دبر، وسواء في حلال أو حرام، وسواء أنزل أم لم ينزل، وهل يلحق به الاستمناء؟، قولان أقربهما أنه يلحق في كونه مفطرًا؛ لأن اللذة به أعلى من لذة من أولج الحشفة في الفرج، ونزعها بسرعة قبل أن ينزل، وفي الحديث: "يدع طعامه وشرابه وشهوته"، والله أعلم، وهذه الثلاث (الأكل والشرب والجماع) أجمع العلماء على أنها مفطرة .

المبطل الرابع: وفيه خلاف: **والقيء عمداً**: وضابط القيء إفراغ ما في الجوف، وقد دلّ على كونه مفطرًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقضِ"، رواه الأربعة، وقد اختلف في رفعه ووقفه، والقول بأن تعمد القيء مفطر قول الجمهور، والأقرب عدم الحكم بذلك؛ لأن الأصح في الحديث وقفه على أبي هريرة رضي الله عنه، وقد خالفه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: الفطر مما دخل، لا مما خرج، ويوافقه القياس .

ومن المفطرات المختلف فيها: الحجامة، وضابط الحجامة: إخراج الدم الفاسد من الجسد بالوخز أو الفصد، ومثلها التبرع بالدم الكثير الذي يؤثر في البدن ضعفًا، وفي المسألة حديثان أحدهما حاضر، وهو حديث ثوبان رضي الله عنه عند الخمسة إلا الترمذي: "أفطر الحاجم والمحجوم"، والآخر مبيح، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم، رواه البخاري، فقال الحنابلة: الحجامة مفطرة، وسلكوا مسلك الترجيح؛ لأن القول مقدم على الفعل، والحاضر مقدم على المبيح، وقال الأحناف: لا تفطر، وسلكوا مسلك النسخ، وقالوا: حديث ابن عباس متأخر على حديث ثوبان، وسلك الجمهور مسلك الجمع، وقالوا بالكراهة، وهو الأقرب، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: إنما كرهت الحجامة للصائم مخافة الضعف، والله أعلم .

ويحرم الوِصال: وضابط الوصال: أن يترك الفطر والسحور حتى يتصل صومه ليلاً ونهارًا، وقد دلّ على حرمته حديث عائشة رضي الله عنها في المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، فقال: "إني لست كهيئتكم، إني يطعمني الله ويسقيني"، وأجاز الحنابلة الوصال إلى السحر لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تواصلوا، وأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر"، رواه البخاري، وهو الصحيح .

وعلى من أفطر عمداً كفارة ككفارة الظِّهار: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: "مالك؟"، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تجد رقبة تعتقها ؟"، قال: لا، قال: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟"، قال: لا، قال: "هل تجد إطعام ستين مسكينًا ؟"، قال: لا، قال: "اجلس .. الحديث، وفيه أن الرجل كان يعلم بالحكم والحال لكنه كان يجهل الكفارة، ولا عبرة بجهله ذلك، وهل على المرأة كفارة ؟، قولان، أقربهما لا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر امرأة المجامع بذلك، ولأنه حق مالي تعلق بالجماع فأشبه المهر، واختص بالرجل، ويجب على المجامع في نهار رمضان أربعة أشياء: التوبة، وإمساك بقية اليوم، وقضاء يومًا مكانه، والكفارة.

والضابط في وجوب كفارة الظهار على المفطر: أن يفطر من يجب عليه الصوم بجماع في نهار رمضان؛ فلو كان في قضائه فلا كفارة عليه، وهل يشترط أن يفطر بجماع؟، هذا هو قول الجمهور، وقال المالكية واختاره الماتن: أن الحكم يعم كل من أفطر في نهار رمضان ولو بالأكل؛ لانتهاكه حرمة رمضان، والصحيح الأول، ولا يقاس الأعلى على الأدنى .

ويُندب تعجيل الفطر وتأخير السُّحور: وهذا بالإجماع؛ لما روى البخاري ومسلم عن سهل ابن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"، وعند أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه: " لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور".

فصل :

ويجب على من أفطر لعذر شرعيّ أن يقضيَ، والفطر للمسافر ونحوِه رخصة، إلا إن خشي التلف أو الضعف عن القتال فعزيمة، ومن مات وعليه صوم صام عنه وليّه، والكبير العاجز عن الأداء والقضاء يُكَفّر عن كل يوم بإطعام مسكين.

ويجب على من أفطر لعذر شرعيّ أن يقضيَ: وأما من أفطر لغير عذر شرعي فلا يجزئه القضاء على الصحيح؛ كما سبق في من ترك الصلاة لغير عذر، والعذر الشرعي ستة أعذار: المرض والسفر، والحيض والنفاس، والحمل والإرضاع، وهي موانع الصيام، وضابط المرض الذي يبيح الفطر هو ضابط المرض الذي يبيح التيمم، وقد سبق في كتاب الطهارة، وضابط السفر الذي يبيح الفطر هو ضابط السفر الذي يبيح القصر، وقد سبق في كتاب الصلاة، وقد قال تعالى: { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}البقرة/١٨٤، وضابط الحيض والنفاس سبق في بابه، وسبق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة، منفق عليه، والحمل والإرضاع معروف، وقد جاء فيه حديث أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى"، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ويأتي بيان هذه الأعذار :

والفطر للمسافر ونحوِه رخصة: هذا هو قول الجمهور، وقال الظاهرية: يجب على المسافر والمريض الفطر، لقوله تعالى: { فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}، والصواب قول الجمهور، وفي الآية محذوف، تقديره: فأفطر فعدة من أيام أخر، دلّ على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أن حمزة الأسلمي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام، فقال: "إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر"، وأيهما أفضل للمسافر الفطر أم الصوم؟ قولان: قال الجمهور: الصوم أفضل؛ لأنه أبرأ للذمة، وقال الحنابلة: الفطر أفضل؛ لأنه رخصة، وفي الحديث: "إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه"، رواه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما، والراجح أن أفضلهما أيسرهما، وهو قول جماعة

من التابعين، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم في السفر، وكان ينكر على من يشق عليه الصيام في السفر، فيقول: "أولئك العصاة"، "ذهب المفطرون بالأجر"، ونحوها .

إلا إن خشي التلف أو الضعف عن القتال فعزيمة: فيجب الفطر في حالين: الأولى: أن يخشى التلف؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لمن شق عليه الصوم: "ليس من البر الصيام في السفر"، متفق عليه عن جابر رضي الله عنه، والثانية: أن يخشى الضعف عن القتال؛ لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم؛ فأفطروا" .

ومن مات وعليه صوم صام عنه وليّه: صورة المسألة: من أفطر لعذر وأخر القضاء لغير عذر ثم مات، وأما من أفطر لغير عذر فلا يجزئه القضاء على الصحيح، وأما من أفطر لعذر وأخره لعذر؛ كأن تواصل به المرض حتى مات فلا قضاء عليه ولا شيء، ودليل المسألة: حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"، وقد اختلف في المسألة على أقوال: الأول: قول أبي حنيفة: يصوم لعموم الحديث، والثاني: قول الشافعي في الجديد: يُطعم عنه من تركته، ولا يدخل الصوم النيابة كالصلاة، والثالث: قول مالك: لا يصوم عنه ولا يطعم، (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، والرابع: قول أحمد أن الحديث محمول على صوم النذر دون غيره؛ لأن رواة الحديث، وهم ابن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم فسّروه بذلك؛ وراوي الحديث أدرى بمعناه، وهو الأقرب .

والكبير: ضابط الكبير: **العاجز عن الأداء والقضاء يُكَفّر عن كل يوم بإطعام مسكين**: لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}البقرة/١٨٤، قال: ليست منسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا، وللإطعام طريقتان: إما أن يصنع وجبة مشبعة ويدعو لها المساكين؛ كفعل أنس رضي الله عنه، أو يمُلك كل مسكين نصف صاع، وللإطعام وقتان: إما أن يطعم كل يومٍ في يومه، أو يؤخره لآخر الشهر ثم يخرجه؛ لفعل أنس رضي الله عنه .

– وقد ذكر الماتن أحكام المسافر والكبير، وبقية الأعذار تحمل عليهما :

– المريض، وهو قسمان: مريض يرجى برؤه، ويلحق بالمسافر؛ فعليه القضاء، ومريض لا يرجى برؤه، ويلحق بالكبير؛ وعليه الإطعام .

– الحامل والمرضع، وقد اختلف فيهما، وصورة المسألة: أن يخافا على نفسهما أو على أولادهما، فذهب الأحناف: أنهما يصومان؛ كالمسافر، وذهب بعضهم، وهو قول ابن عباس وابن عمر: أنهما يطعمان؛ كالكبير؛ لعدم إمكان القضاء في نفس السنة – ومن تأخر عن القضاء لغير عذر حتى رمضان الآخر عليه قضاء وإطعام؛ كما هو مذهب الجمهور–، وفصّل الشافعية والحنابلة: إن كانتا خافتا على نفسهما قضتا، وإن خافتا على ولدهما قضتا وأطعمتا، والله أعلم .

– وأما الحائض والنفاس، فسبق في باب الحيض أنه يلزمهما بعد الطهر القضاء .

بابٌ صومُ التطوع:

يُستحب صيام سِتّ من شوّال، وتِسعِ ذي الحجة، ومحرمٍ، وشعبانَ، والاثنين والخميس، وأيامِ البيض، وأفضل التطوع صوم يوم وإفطار يوم. ويُكره صوم الدهر، وإفرادُ يوم الجمعة ويوم السبت.

ويحرم صوم العيدين، وأيام التشريق، واستقبال رمضانَ بيوم أو يومين.

سبق معنا بيان الصوم الواجب، وفي هذا الفصل ذكر الصوم المستحب والمكروه والمحرم، قال رحمه الله :

يُستحب صيام سِتّ من شوّال: سواء صامها متتابعة أو متفرقة، وإذا لم يكن له غرض ديني أو دنيوي فالفور أفضل، والغرض الدنيوي؛ كزيارة أهله وأكل طعامهم، والغرض الديني؛ كبيان عدم وجوب الفورية؛ كما قد يعتقدها بعض الناس، ودليل استحباب صيامها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصوم الدهر".

وتِسعِ ذي الحجة: لما روى أبو داود عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة .. الحديث، وأفضلها صوم يوم عرفة لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده"، رواه مسلم .

ومحرمٍ : لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: "أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم"، وأفضله صوم عاشوراء؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"، رواه الترمذي .

وشعبانَ: لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ولم أره صلى الله عليه وسلم صائمًا من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً، وسئل رسولنا عليه الصلاة والسلام عن صيام شعبان، فقال: "ذاك شهرٌ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم"، رواه النسائي عن أسامة ابن زيد رضي الله عنه، والصوم من شعبان كالسُّنة القبلية، وصوم الست من شوال كالسنة البعدية، تكمل بالفريضة صيام السَّنة .

والاثنين والخميس: لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس، رواه النسائي وابن ماجه والترمذي، وسئل صلى الله عليه وسلم عن صيامهما فقال: "ذلك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم"، رواه أبو داود والنسائي، وصوم الاثنين أفضل من صوم يوم الخميس لما جاء في فضله أيضًا: "ذلك يوم ولدت فيه، وبعثت فيه، وأنزل علي فيه"، رواه مسلم .

وأيامِ البيض: وهي الثالث والرابع والخامس عشر من كل شهر، سميت بذلك لأن السماء فيها تبيض من ضوء القمر لاكتماله، وقد ورد في فضلها حديث عبد الملك بن قدامة بن ملحان عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، قال: وقال صلى الله عليه وسلم: "وهو كهيئة الدهر"، رواه أبو داود والنسائي.

وأفضل التطوع صوم يوم وإفطار يوم : لما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "أحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا"، والصوم المندوب قسمان:

الأول: صوم نفل معين؛ كصيام ست من شوال، وتسع ذي الحجة، والاثنين والخميس، وعرفة وعاشوراء، وتشترط له النية قبل الفجر .

الثاني: صوم نفل مطلق، كالصيام من محرم وشعبان وصوم يوم وإفطار يوم، والصوم المطلق يشترط له شرطان: الأول: ألا يخصص يومًا بصيام لم يرد تخصيصه في الشريعة؛ فيجعل من نفل مطلق

نفلاً معينًا مقصودًا، وهذه بدعة، والثاني: ألا ينهى الشرع عن صيامه؛ كما سيأتي، وإلا كان صومه معصية .

ويُكره صوم الدهر: وقد جاء النهي عنه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا صام من صام الأبد"، وقد حمله الجمهور على الكراهة، والظاهر التحريم .

وإفرادُ يوم الجمعة: وقد جاء النهي عن إفراده في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يومًا قبله أو بعده".

ويوم السبت: لما رواه أصحاب السنن عن الصماء بنت بُسر رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم؛ فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه"، وقد اختلف في صحته مع معارضته لحديث أبي هريرة السابق ولغيره، فقال مالك: هو كذب، وقال أبو داود: منسوخ، وقال ابن حجر: مضطرب .

ويحرم صوم العيدين: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: نهى عن صوم يومين؛ يوم الفطر ويوم الأضحى، متفق عليه؛ لأن يوم الفطر يوم الأكل بعد الصوم، ويوم الأضحى يوم الأكل بعد النحر.

وأيام التشريق: وهي يوم الحادي والثاني والثالث عشر من أيام التشريق، وسميت بذلك لأنهم كانوا يشرقون اللحم ويعرضونه للشمس، وتسمى أيضًا الأيام المعدودات، ولا يجوز صيامه إلا لمن لم يجد الهدي؛ لحديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي، رواه البخاري .

واستقبال رمضانَ بيوم أو يومين: لحديث عمار رضي الله عنه قال: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، رواه الأربعة، وضابط يوم الشك: هو يوم الثلاثين من شعبان إذا كان في السماء قتر أو غيم، ولا يستثنى من صيامه إلا من كانت له عادة من صوم نفل؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومًا فليصم ذلك اليوم".

بابٌ الاعتكافُ:

يُشرع ويصحّ في كل وقت في المساجد، وهو في رمضانَ آكدُ لا سيَّما في العشر الأواخر منه، ويستحب اجتهادٌ في العمل فيها، وقيام ليالي القدْر، ولا يخرج المعتكف إلا لحاجة.

بابٌ الاعتكافُ:

الاعتكاف في اللغة هو اللزوم والإقامة، قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }الأنبياء/٥٢، وشرعًا: هو التعبد لله تعالى بحبس النفس على القرب المختصة بالمساجد، وضابط شروط ومبطلات الاعتكاف ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي داود قالت: السنة على المعتكف أن لا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمسّ امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بدّ منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع، فينقطع الاعتكاف: بالخروج لغير حاجة ضرورية؛ فيباح له الخروج لقضاء الحاجة أو لجلب الطعام إذا لم يكن عنده من يأتيه به، أما الخروج لغير الحاجة الضرورية ولو لطاعة؛ كعيادة مريض أو شهود جنازة فلا يجوز، ويبطل الاعتكاف: بالجماع وهو مبطل بالإجماع، وتحرم كذلك المباشرة لقوله تعالى: {وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}البقرة/١٨٧، وأما شروط الاعتكاف فشرطان: الأول: أن يعتكف في مسجد جامع، وفي المسألة خلاف، فذهب الجمهور إلى صحة الاعتكاف في كل المساجد؛ لعموم قوله تعالى: {وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}، وذهب بعضهم وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه أنه لا يعتكف إلا في مسجد جامع؛ لئلا يخرج لأداء صلاة الجمعة، ويدل عليه حديث عائشة السابق، وفيه: "ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع"، وذهب بعضهم وهو قول حذيفة رضي الله عنه أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، وقد روى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاث"، رواه البيهقي، والجمع بين ما سبق أن يقال: أن حديث "ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع" محمول على نفي الصحة، وحديث "لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاث" محمول على نفي الكمال، أما الآية {وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} فليست ال للعموم، بل للعهد؛ أي لا اعتكاف إلا في المساجد المعهودة للاعتكاف، وهي كل مسجد جامع، والله أعلم، أما الشرط الثاني: فهو أن لا يعتكف

إلا بصوم؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ولحديث عائشة السابق، وهو قول الجمهور، وذهب الشافعي إلى عدم اشتراط الصوم للاعتكاف، وهو الأقرب بدليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين أن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام ؟ قال: "فأوفِ بنذرك"، ولم يشترط لليلة صوم بعدها، والله أعلم .

يُشرع ويصحّ في كل وقت في المساجد: فقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الأوسط والأخير من رمضان، وقضاه في شوال لما فاته في إحدى السنوات، فهو سنة مؤكدة، وأجاز لعمر رضي الله عنه أن يعتكف ليلة، فأقله ليلة، ولا يصح إلا في مسجد جامع؛ كما سبق .

وهو في رمضانَ آكدُ لا سيَّما في العشر الأواخر منه: لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل معتكفه إن أراد اعتكاف العشر الأواخر من رمضان من بعد صلاة الفجر؛ لما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة، دخل مكانه الذي يعتكف فيه .

ويستحب اجتهادٌ في العمل فيها: لما روت عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله، متفق عليه .

وقيام ليالي القدْر: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه"، متفق عليه، ويتأكد تحري ليلة القدر في الأوتار من العشر .

ولا يخرج المعتكف إلا لحاجة: كما سبق، والله أعلم، وهو آخر كتاب الصوم، ويليه كتاب الحج.

الأنوار الساطعة في تفسير سورة الواقعة

د. طالب بن عمر الكثيري

talebkh.net

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة سورة مكية، مقصودها التأكيد على قضية البعث والحساب، وقد عرضت هذه الحقيقة من أربعة جوانب:

(١) وصفت أحداث يوم القيامة.

(٢) حددت مصير كل فريق من الناس .

(٣) ذكرت أربعة أدلة شاهدة بوقوع البعث .

(٤) صورت مشاهد الاحتضار، وقيامة ساعة كل عبد .

وقد كان النبي ﷺ يقرأها في صلاة الفجر؛ كما عند أحمد من حديث جابر بن سمرة ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله عنها أن أبا بكر الصديق، قال: يا رسول الله، قد شبتَ، فقال: "شيبتني (هود) و(الواقعة) و(المرسلات) و(عم يتساءلون) و(إذا الشمس كورت)"، أخرجه الترمذي.

ولم يصح في فضل هذه السورة حديث، وما ورد من حديث ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا"، وكان ابن مسعود يأمر بناته يقرأن بها في كل ليلة، رواه البيهقي في شعب الإيمان، من طريق أبي شجاع عن أبي طيبة عنه، وأبو شجاع وأبو طيبة مجهولان، وفي الحديث اضطراب أيضًا؛ لذا ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم.

الجانب الأول: من السورة في وصف أحداث يوم القيامة: للأرض، والجبال، والناس:

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)

أي تذكر وقت وقوع الواقعة، والواقعة اسمٌ من أسماء يوم القيامة، سُميت بذلك:

(١) لتحقق وقوعها؛ فهي واقعة لا محالة .

(٢) ولقرب وقوعها.

(٣) ولكثرة ما يقع فيها من الشدائد.

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)

فإذا أراد الله وقوعها:

(١) لم يستطع أحدٌ دفعها وردها؛ كما قال تعالى: {استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله}، وقال: {سأل سائل بعذاب واقع. للكافرين ليس له دافع} .

(٢) وعند وقوعها لن يجرأ على أن يكذب بها أحد ممن كان ينكرها؛ فلا يقع عند وقوعها تكذيب .

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)

فإذا وقعت:

(١) خفضت أعداء الله إلى أسفل سافلين في الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء.

(٢) ورفعت أولياء الله إلى أعلى عليين في النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء.

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤)

وعندها تحدث المشاهد المرعبة للكائنات الأرضية، فأما الأرض المستقرة التي يعيش عليها الناس، فتأمل مشهدها:

(١) ترتجف وتُزلزل، فترتج بما فيها رجًا عنيفًا.

(٢) ثم تحمل مع الجبال، فتدك دكة واحدة شديدة، {وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة}.

(٣) تم تدكدك الأرض دكاً دكا، فتسوى وتصبح كالبساط لا ارتفاع فيها ولا انخفاض؛ كما قال تعالى: {فيذرها قاعاً صفصفا . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا}.

(٤) ثم تمهد وتمد مدّ الأديم، {وإذا الأرض مدت}.

(٥) فتلقي ما في بطنها من الأموات، وتتخلى عنهم من شدة هول ذاك اليوم، {وألقت ما فيها وتخلت}، {وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها}.

(٦) ويقبض الله تعالى الأرض، {والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة}، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟.

(٧) ثم تبدل الأرض غير الأرض، ويبرز الناس لله الواحد القهار.

وقد سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات}، فأين يكون الناس يومئذٍ؟ يا رسول الله، فقال: "على الصراط"، وفي حديث ثوبان ﷺ، قال: "هم في الظلمة، دون الجسر"، أخرجهما مسلم .

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥)

وأما مشهد الجبال:

(١) فإنها تزال من أصولها، ويُذهب بها، قال الله تعالى: {ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة} .

(٢) ثم تسير، فتمر مرّ السحاب، { وتسير الجبال سيرا}.

(٣) ثم تنسف على مشهد من الناس، {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا} .

(٤) فتُبس وتُفتت كالدقيق، وتصبح ككثيب مهيل، كرملٍ ناعم تحرك أسفله فانهال عليك من أعلاه.

(٥) وتتناثر بعد صلابتها كالعهن المنفوش؛ أيّ الصوف المصبوغ ألواناً إذا نُفش.

(٦) ثم يُذهبها الله تعالى حتى تصبح لا أثر لها، قال تعالى: {وسيرت الجبال فكانت سرابا}.

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦)

وتصير كالغبار، يسطع مع الضوء، ثم يذهب كلا شيء منتشرًا متفرقًا بنفسه؛ من غير حاجة إلى هواء يفرّقه.
فإذا كان هذا أثر وقوع الواقعة على الجبال الصلاب والأرض الشاسعة؛ فكيف بحال الناس، الذين قامت القيامة لأجل محاسبتهم !.

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧)

وعندها يفترق الناس ثلاثة فرق، اثنان في الجنة، وواحد في النار، ذكر الله تفاصيل جزائهم في أول السورة، وتفاصيل أحوالهم وقت الاحتضار في آخرها :

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨)

أما الذين يكونون يوم القيامة عن يمين عرش الله، ويأخذون صحائف أعمالهم باليمين، يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، فتعجب من حالهم وجزائهم؛ لأنهم أهلٌ لئن تسأل عنهم، فهم في نهاية السعادة وحسن الحال .

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)

وأما الذين يكونون يوم القيامة عن شمال عرش الله، ويأخذون صحائف أعمالهم بالشمال، يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فتعجب من حالهم وجزائهم؛ لأنهم أهل لئن تسأل عنهم، فهم في نهاية الشؤم وسوء الحال .

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)

وأما الصنف الثالث: فالسابقون هم السابقون، المسابقون في الدنيا إلى فعل الخيرات هم المسابقون في الآخرة إلى دخول الجنات، والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، صدقوا الله فصدقهم؛ كما قال تعالى: {سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض}.

الجانب الثاني: من السورة في ذكر مصير كل فريق يوم القيامة: من السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال:

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)

هؤلاء السابقون :

(١) هم المقربون إلى جزيل ثواب الله، وعظيم كرامته.

(٢) وهم المقربون الذين قربت درجاتهم، وأعليت مراتبهم عند الله.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)

مساكنهم بساتين وقصور تنعم فيها أبدانهم وأرواحهم، وتنعم فيها ظواهرهم وبواطنهم، ينعمون فيها بأنعم أنواع الطعام واللباس والراحة والسرور.

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣)

هؤلاء المقربون جماعة لا يحصر عددها من الأمم الماضية، ومن أول هذه الأمة، قال النبي ﷺ في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة".

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)

وأعداد قليلة من آخر هذه الأمة، وإن كانت هذه الأمة بمجموع من يدخل الجنة من السابقين وأصحاب اليمين هم أكثر أهل الجنة، قال ﷺ: "والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة"، فكبرنا، فقال: "أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة"، فكبرنا، فقال: "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"، فكبرنا، فقال: "ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بل ثبت عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وفي رواية: "مع كلِّ ألْفٍ سَبْعونَ ألفاً، وزادَني ثلاث حَثَياتٍ"، اللهم فاجعلنا منهم .

ثم جعلت الآيات تذكر نعيم السابقين من المقربين، وبدأت بذكر ما أعدّ الله لهم من وسائل الراحة والنعيم:

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥)

فتجدهم فوق السرر المنسوجة بالذهب، والمشبكة بالدر والياقوت وغيرهما من الجواهر الثمينة، قد صفت بأشكال هندسية زخرفية بديعة، قال ربي: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}؛ أي متآكي ووسائد، وألوانها خضر بهيجة، {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ}؛ فإن سألت ماذا يفعلون فوق هذه الأسرة؟:

مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)

فالجواب: هم على هيئة المتكئ عليها في طمأنينة وراحة واستقرار، الذي يتسامر مع من حوله بطيب الحديث، ومن العجيب أن وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد؛ لحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم.

فإن سألت فمن الذي يخدمهم، وهم في منتهى الراحة وتبادل الأحاديث.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧)

فالجواب: يطوف عليهم من يخدمهم من صبيان صغار؛ في جمالهم وخفة وسرعة حركتهم كأنهم اللؤلؤ المنثور{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}؛ فإن سألت: أليسوا يكبرون، ويُتحرج منهم إن دخلوا وهم مع أزواجهم؟، جاءك الجواب: بل هم مخلدون على حالتهم هذه في الصغر، لا يكبرون ولا يتغيرون .

فإن قلت: فبأيّ شيء يطوفون عليهم؟، جاءك الجواب:

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨)

بأواني الشراب المنوّعة:

(١) ما بين أكواب لا آذان لها ولا خراطيم، وأباريق تبرق من قوة لمعانها وصفائها، لها آذان وخراطيم، إن أراد أن يسقي نفسه صب من الأباريق في الأكواب.

(٢) وكؤوس عندهم مصبوب فيها طيب الشراب؛ بحسب مزاجهم وكيفهم، {قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}.

فإن سألت: فأيّ شيء صُب فيها، جاءك الجواب: صب فيها الخمر ذي اللذة المنعشة، والشدة المطربة، يُمد لهم من عين جارية صافية، لا تنضب، ولا يتكلف في عصرها، بل تنبع كما ينبع الماء.

وهي فوق ذلك منوعة النكهات منها ما هو {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}، ومنها {كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا}، ومنها ما هو أعلى من ذلك؛ لعباد الله المقربين: {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} .

فإن سألت أليست الخمر في الدنيا مضرة، ذات أربع آفات؛ من سكرٍ، وصداعٍ، وقيءٍ، وبولٍ ؟ .

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩)

جاءك الجواب: أن خمر الجنة، ليس فيها شيء من هذه الآفات المنفّرة عنها في الدنيا، {بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}:

(١) فليست مما يصيب شاربها بالصداع .

(٢) وليست مما يذهب عقله عنه، ويستنزفه .

(٣) بل إذا فرغ من شربها خرجت من فمه رائحة المسك، قال ربي: {خِتَامُهُ مِسْكٌ}.

فإن سألت عن الطعام وقد عرفت الشراب، فأنواع شهية:

وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠)

(١) الصنف الأول: الفواكه المنوعة، يتخيرون منها ما لذّ وطاب، فهذا يأكلونه، والآخر يعصرونه، والثالث والرابع يخلطون بعضه على بعض، هذا حلو، وهذا حامض، وذاك بينهما في طعم لذيذ، ومن عجيب ثمار الجنة أن الثمرة الواحدة لها طعوم، كلما ذاق منها أكلة وجد طعمًا أجمل مما ذاقه من قبل، وصدق ربي: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} .

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)

(٢) والصنف الثاني: اللحوم الطريّة، من لحوم طير ناعمة، أعناقها كأمثال أعناق الإبل، ناعمة في فم آكلها، يأكلونها بحسب اشتهائهم لنوعها، وبحسب اشتهائهم لطريقة طبخها، فهذه مشوية، والأخرى محماة على الحجارة، والثالثة مطبوخ بعضها على بعض، أو حُشي بعضها ببعض .

وَحُورٌ عِينٌ (٢٢)

فإذا تحدثوا وتسامروا، ثم شربوا وطربوا، ثم أكلوا وتتلذذوا، كان لهم من معاشرة النساء أجمل ما يتنعمون به، من نساء لهن من الجمال ما يحار الطرف في حسنهن، لو نظرت في عيونهن لأدركت جميل خلقهن، عيون واسعة سوداء، ممتلئة جمالًا وحسنًا، وحسن العين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها، ومع جمال عينها، لكنها لا تنظر إلا إلى زوجها؛ من شدة حيائها: {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} .

وهم مع أزواجهم على الأرائك، {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}، والأريكة تزيد على السرير بأنها مغطاة بالحُجل، وهي أقمشة جميلة تستر من دخل فيها .

كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)

أما ألوانهن:

(١) فصفاء وبريق كصفاء وبريق اللؤلؤ الطريّ.

(٢) المصون في الصدف عما قد يدنسه؛ من أيدٍ تمسه، أو غبار يقع عليه.

(٣) في لون ورقة البيضة، بل أشد، {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}.

(٤) ومن جمال كونها مكنونة أنها محبوسة في خيمتها لا تخرج منها، {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} .

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

كل ذلك النعيم في المتآكي، وطيب الحديث، والخدمة، وحسن الشراب، والطعام، والتفكه، والنساء من كريم جزاء الله لهم على حسن أعمالهم في الدنيا؛ فجزاهم سبحانه بالإحسان إحسانًا، {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} .

فإن سألت: فهل يجدون في الجنة ما يُنغِص عليهم هذا النعيم ؟:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥)

جاءك الجواب: قد سلمت الجنة من المنغصات، فلا يجدون ولا يسمعون ما يكدر خواطرهم من كلامٍ باطل، لا نفع فيه، أو كلامٍ قبيحٍ يجلب الإثم ويوقع المضرة، بل لا يقول بعضهم لبعض: أثمتَ؛ لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم، فإن قلت: فما حديثهم إذًا ؟:

إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)

جاءك الجواب: كلام في قمة التهذيب والروعة والفائدة، سالمٌ من كل لغو وإثم؛ لأنها دار الطيبين، فلا يصدر منهم إلا أطيب كلامٍ، وأسلمه من كل السوء؛ {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، فعيشهم كله سلام بدار السلام، يسلم بعضهم على بعض؛ حتى تحاياهم السلام، قال ربي: {تحيتهم فيها سلام}، وتسلم عليهم الملائكة، ويسلهم عليهم ربهم السلام .

قال البقاعي في نظم الدرر (٢٠٦/١٩): "ولما أتمّ سبحانه القسم الأول ... وذكر في جزائه مما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه، عطف عليه الثاني الذي هو دونه ... وذكر في جزائهم من جنس ما لأهل البوادي أنهى ما يتصورونه ويتمنونه".

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)

أصحاب اليمين هم أصحاب الميمنة المذكورون قبل، وهم في منزلة دون المقربين، فأيّ شيءٍ أصحاب اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف سيكون جزاؤهم ؟ فسّر ذلك، فقال سبحانه:

فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨)

سدر الدنيا كثير الشوك، قليل الثمر، فإن سألت: فكيف يكون ذلك في الجنة، وكل ما في الجنة عظيم النفع، لا أذى فيه ؟، جاءك الجواب أن سدر الجنة منضود؛ أيّ :

(١) لا شوك فيه، بل هو منزوع الشوك

(٢) قد جعل الله مكان كل شوكةٍ ثمرة.

(٣) يفتق من كل ثمرة اثنان وسبعون لونًا من الطعام؛ لا يشبه لونٌ لونًا آخر .

روى ابن أبي الدنيا بإسنادٍ حسنه الألباني عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يومًا، فقال: يا رسول الله! ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية، وما كنتُ أرى أن في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها! قال رسول الله ﷺ: "وما هي؟ "، قال: السدر؛ فإن له شوكًا مؤذيًا، قال رسول الله ﷺ: "أليس الله يقول: {في سدر مخضود}، خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة؛ فإنها لتنبت ثمرًا، تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر".

ومن أشجار السدر في الجنة: شجرة اسمها سدرة المنتهى:

(١) نبقها وثمرها مثل قلال هجر.

(٢) وورقها مثل آذان الفيلة، لكن تكاد الورقة تغطي هذه الأمة.

(٣) ويغشاها ألوانٌ عظيمة، قال نبينا ﷺ: "لا أدري ما هي"، قال تعالى: {إذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى}.

(٤) قال عليه الصلاة والسلام: "فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها".

قال البقاعي في نظم الدرر (٢٠٧/١٩): "ولما ذكر ما يطلع في الجبال والأماكن المعطشة والرمال أتبعه ما لا يطلع إلا على المياه؛ دلالةً على أن أماكنهم في غاية السهولة والريّ".

وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩)

وهو في الدنيا شجر عظيم كثير الشوك، يعرفه أهل الحجاز، فإن سألت: فكيف يكون ذلك في الجنة، وكل ما في الجنة عظيم النفع، لا أذى فيه ؟، جاءك الجواب أنه منضود؛ أيّ:

(١) معدّ للتناول؛ بلا كدّ ولا مشقة.

(٢) ومتراكم الثمر، مصفوف، يتراكب بعضه على بعض، على ترتيب هو في غاية الإعجاب.

(٣) فصار موقرًا بالثمر، قد أثقل لذلك أصله، وستر ساقه .

(٤) وله ثمرٌ أحلى من العسل؛ قاله ابن عباس رضي الله عنه .

قال مجاهد: يُذّكر بذلك قريشًا؛ لأنهم كانوا يعجبون من وجّ وظلاله؛ من طلح وسدر، تفسير ابن كثير، (٥٢٦/٧)، قال ابن كثير: "وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة؛ وهو النبق، وشوكه كثير،

والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم والألوان، التي لا يشبه بعضها بعضاً، فما ظنك بثمار الأشجار، التي تكون في الدنيا حسنة الثمار؛ كالتفاح والنخل والعنب وغير ذلك ! وما ظنك بأنواع الرياحين والأزاهير ! وبالجملة فإن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله منها من فضله".

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠)

و"الظل الممدود شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها"، رواه الشيخان .

ووصف ابن عباس ﷺ – بسند حسّنه ابن كثير – الظل المدود، فقال:

(١) شجرة في الجنة على ساق.

(٢) ظلها قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام.

(٣) يخرج إليها أهل الجنة، فيتحدثون في ظلها.

(٤) فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنة؛ فتُحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ في الدنيا.

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحا تهز ذوائب الأغصان

فتثير أصواتًا تلذ لمسمع الإ ... نسان كالنغمات بالأوزان

يا لذة الأسماع لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

نزه سماعك إن أردت سماع ذي ... ـاك الغناء عن هذه الألحان

حب الكتاب وحب ألحان الغنا ... في قلب عبدٍ ليس يجتمعان

فإن سألت: هل في الجنة ظل ؟، وليس فيها شمس؛ كما قال تعالى: {لا يرون فيها شمسًا}، جاءك الجواب: أن فيها ظلاً ظليلاً، بل ظل دائهم، ممدود؛ فسبحان الله، قال ابن مسعود: "الجنة سجسج، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس".

وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١)

ومن بين تلك الأشجار: العيون السارحة، والمياه المتدفقة، والأنهار التي تجري في غير أخدود إلى منازلهم وحدائقهم.

فإن سألت هل تجري باللبن والخمر والماء والعسل دون أخدود!، جاءك الجواب: أنها لا تشق أخاديد في أرض الجنة، بل تنسكب وتجري بإذن الله، أما نهر الكوثر؛ نهر نبينا ﷺ، فله علامة بارزة ومميزة، قال عليه الصلاة والسلام: "حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف"، وفي رواية: "قباب الدر المجوف"، رواهما البخاري .

وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)

ويطعمون أنواعًا كثيرة من الفاكهة؛ عنقود منها أراد النبي ﷺ أن يأخذه، فقال: "لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا"، يقول: "ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه".

فإن سألت: فكيف تأتي الفاكهة المتنوعة، وليس في الجنة صيف ولا شتاء ؟، جاءك الجواب:

لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)

(١) هي لا تمتنع على من أرادها شتاءً ولا صيفًا، بل ولا في أيّ وقت، ولا على أيّ صفة يريدها، أعدّها الله تعالى لمن أرادها؛ لا يحول بينه وبينها حائل.

(٢) ثم هي أيضًا: لا تنقطع، بل أكلها دائم مستمر أبدًا، مهما طلبوا وجدوا.

(٣) قال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود، ولا شوك، ولا بعد.

(٤) قريبة منهم، دانية مذللة لهم، هي التي تأتي إليهم، وليس هم الذين يأتونها، قال ربي: (متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان)، (وذللت قطوفها تذليلاً).

فيلذها في الأكل عند منالها ... وتلذها من قبله العينان
يا طيب هاتيك الثمار وغرسها ... في المسك ذاب الترب للبستان
وكذلك الماء الذي يُسقى به ... يا طيب ذاك الوِرد للظمآن
وإذا تناولت الثمار أتت نظير ... رتها فحلت دونها بمكان

ثم انتقلت الآيات بعد ذكر تمتعهم بلذيذ الطعام والشراب لتتحدث عن استمتاعهم بلذات معاشرة الأزواج:

وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)

فهم على فرشٍ:

(١) رفيعة القدر؛ لجمالها وفخامة خلقها .

(٢) وعالية مرتفعة؛ لكثرة الحشو فيها، ولتراكم بعضها على بعض، قد رُفعت على الأسرة، ورُفع بعضها فوق بعض.

(٣) وفوق ذلك كله نساؤهم، رفيعات القدر في الحسن والجمال .

إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥)

فأما نساء أهل الجنة:

(١) فقد أبدعهن الله جل وعلا في خلقٍ لم يسبق له وجود في الحسن والجمال؛ في جميل عيونهن ووجوههن وصدورهن وخصورهن، وكم هي المناظر الجميلة التي أوجزها الله تعالى في قوله بنون العظمة: (إنا أنشأناهن إنشاءً) !.

والشمس تجري في محاسن وجهها ... والليل تحت ذوائب الأغصان

حمرٌ الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان

والبرقُ يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

لله لاثم ذلك الثغر الذي ... في لثمه إدراك كل أمان

ريانة الأعطاف من ماء الشبا ... ب فغصنها بالماء ذو جريان

كالزبد لينًا في نعومة ملمس ... أصداف درٍ دورت بوزان

فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)

(٢) ثم جعلهن سبحانه جميعهن أبكارًا؛ من خُلقت ابتداءً من الحور، أو استئنافًا من الزوجات المؤمنات .

وقد أتت النبي ﷺ عجوز، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: "يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز"، قال: فولت تبكي، قال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكارا}، أخرجه عبد بن حميد وغيره .

(٣) وبكارتهن دائمة لا تتغير ولا تنقص؛ لأن الجنة لا نقص فيها .

(٤) ويُعطى الرجل من أهل الجنة قوة مائة رجل؛ في الأكل والشرب والشهوة والجماع، كما أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

(٥) ويصل في اليوم إلى مائة عذراء؛ كما أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة، وصححه الألباني .

(٦) فهو مشغول بافتضاض الأبكار، قال تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}؛ أيُّ شغلٍ في الجنة ؟ {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} .

فإن سألت عن دلالهن، جاءك الجواب:

عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)

(١) فهن عربًا؛ متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة، وحسن الكلام والهيئة.

(٢) مع عشقٍ لأزواجهن، وحسن تبعل ودلال؛ من تمايل وغناء وتغنجٍ عند الجماع .

فلله تلك اللمسات والغمزات والحركات، ولله تلك المداعبات والقبلات والأحضان !.

(٣) وهن أترابًا؛ في سنّ واحدة، ثلاث وثلاثين سنة في نهاية سن الشباب وغايته.

(٤) متواخيات في أخلاقهن، يلعبن معًا، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد؛ كضرائر الدنيا.

قال ابن سعدي: "إن تكلمت سلبت العقول، وود السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنغمات المطربة، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن برزت من محل إلى آخر امتلأ ذلك الموضع منها ريحًا طيبًا ونورًا".

فلمن هذا النعيم كله؛ من أشجار وبساتين واسعة، وفواكه يانعة، ونساء رائعة ؟.

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)

خلقهن الله لأصحاب اليمين، وجعلهن الله أترابًا في سن أصحاب اليمين؛ لما كان الاتفاق في السن أدعى إلى المحبة ومزيد الألفة .

وأصحاب اليمين من أقبلوا على الطاعات وشوقًا لرضا الله سبقوها، وإلى الساعات وفي مرضاة الله اغتنموها، وإلى الموبقات وخوفًا من الله اجتنبوها .

فإن سألت هل هم كثير ؟؛ جاءك الجواب:

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)

هم جموعٌ كثيرة لا يحصر عددها من الأمم الماضية، ومن أول هذه الأمة، وهم كذلك جماعة كثيرة لا يحصر عددها من آخر هذه الأمة؛ جعلنا الله من أهل جنته .

ولا دار للمرء بعد الموت يسكنها.. إلا التي كان قبل الموت بانيها

وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١)

أما أصحاب الجهة التي تتشاءم العرب بها فهم أصحاب النار، والأعمال المشؤومة، وقد بلغوا حالاً من الشؤم جدير بأن يسأل عنها.

ثم فسَّر ذلك، فقال:

في سموم وحميم (٤٢)

وسائل الراحة من الحرّ في الدنيا ثلاثة، فالإنسان منا إذا وجد شيئًا من الحر: إما أن يتجه إلى الهواء البارد ليُبرِد عليه، أو إلى الماء البارد ليغتسل فيه، أو إلى الظل البارد ليخفف عنه، وليس في النار أيّ وسيلة من وسائل التبريد:

-إن نظرت للهواء فهو سموم، أحر ما يكون، يدخل في مسامعهم فيكويها، وفي مناخرهم فيشويها.

-وإن جئت إلى الماء فهو حميم، بلغ أقصى درجة في شدة الحرارة، حرارته تذيب الصخور، وفي الوجوه تفور.

وظل من يحموم (٤٣)

-وإن جئت للظل، وفي جهنم ظل، لكن شتان بينه وبين الظل الممدود في الجنة:

أ- لونه أسود؛ من يحموم كالفحم المحترق .

وفي فتح القدير للشوكاني (١٨٤/٥): "قال الضحاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكل ما فيها أسود".

ب- وشكله وصفه الله بقوله: {انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون. انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب}، تخرج قصبة من أسفلك، ثم تترفع ثلاثة فروع مخيفة مفزعة من فوقك، فهل تقي أحدًا من حرّ ؟.

لا بارد ولا كريم (٤٤)

ج- ليس ببارد الهبوب، ولا كريم المنظر، قال الله تعالى: {لا ظليل ولا يغني من اللهب}، لا يدفع حرًا، ولا ينجي من لهب النار.

ح- ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك، فقد كانوا يصنعون ثلاثة أشياء:

إنهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥)

أي: كانوا في الدار الدنيا:

أ- منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يتعظون بما جاءتهم به الرسل، مترفين ومنعمين بما لا يحل لهم .

وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦)

ب- وكانوا مع هذا الترف يفعلون الذنوب الكبار، ولا يتوبون منها؛ من شركٍ بالله، وكفرٍ به، وآثامٍ عظام .

وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (٤٧)

ج- وكانوا ينكرون البعث، فيقسمون بالله استبعادًا لوقوعه: والله إننا إذا متنا، وصرنا عظامًا ثم ترابًا لن نبعث، ولا يمكن أن نبعث!، والرسل يَكذبون، والدليل:

أوآباؤنا الأولون (٤٨)

هؤلاء آباؤنا الذين ماتوا من مئات السنين قد بليت عظامهم مع لحومهم لم يرجعوا للدنيا، فكيف سنرجع نحن !.

قل إن الأولين والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (٥٠)

فأجابهم الله بثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيُجمعون إلى عرصات القيامة، لا نغادر منهم أحدًا، كما قال: {ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لأجل معدود. يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد}، تفسير ابن كثير (٥٣٨/٧)، فلهم موعدٌ في مكان وزمان محدد، لا يتقدم ولا يتأخر .

ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١)

والحقيقة الثانية: أنكم يا من ضللتم الهدى، وكذبتم برسولنا، وما جاء به:

لآكلون من شجر من زقوم (٥٢)

ستأكلون من شجرة:

(١) تنبت في أصل النار، مع أن النار عادةً تلتهم الأشجار، لكنها تخرج في أصل جهنم، ثم ترتفع سيقانها، ثم تمتد فروعها في جميع أرجاء النار العظيمة.

(٢) اسمها مرعب شجرة الزقوم، فما بالك بشكلها:

(٣) {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}، مع أن الأشجار في العادة منظرها مبهج، وخصوصًا الأزهار والثمار، أما هذه إذا رأيت ثمرها كأنك رأيت رأس شيطان، فإذا كان اسمها وشكلها مخيفين جدًا فأسأل الله أن لا يذيقك طعمها؛ لأن طعمها خبيث جداً، ولن تنبت من أصل الجحيم إلا شجرة خبيثة:

(٤) أراد الرسول ﷺ أن يقرب لنا طعم الزقوم، فقال عليه الصلاة والسلام كما عند الترمذي بسند جيد: "لو أن قطرة من الزقّوم قطرت على أهل الدنيا لأفسدت عليهم معايشهم"، قطرة واحدة تفسد وتنتن كل الطعام الذي في الدنيا، نعوذ بالله، قال ﷺ: "فكيف بمن هي طعامهم"!.

فمالئون منها البطون (٥٣)

وإلى أيّ درجة يأكلون منها:

(٥) الأفضع أنهم يأكلونها – مع هذا المنظر المخيف، ومع هذا الطعم الخبيث – من شدة الجوع الذي يعذبهم الله به يأكلونها، قال الله: {لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} لا يأكل مثل الميتة للضرورة، بل يأكل منها حتى يملأ بطنه، فإذا وصل الزقوم بطنه، اسمع ماذا يحدث:

(٦) {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} تغلي بطنه كما يغلي الزيت الحار، يا الله سلمنا؛ يعني ضريع وناشب في الحلق، وحميم ومقطّع للأمعاء، وزقّوم يغلي في البطون حتى يذيقهم ربك عذابه، نسأل الله السلامة.

فشاربون عليه من الحميم (٥٤)

والحقيقة الثالثة: أنكم بعد هذا الأكل الكثير ستشربون شربًا كثيرًا من ماء حميم، بلغ غاية الحرارة والغليان، بمجرد ما يرفعه إلى فمه تسقط فروة وجهه فيه، ماء مخصص لتعذيب الأمعاء، هذه المسالك الدقيقة ذات الشعيرات الرقيقة تتقطع قطعًا، قال ربي: (وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم) .

فشاربون شرب الهيم (٥٥)

وإلى أيّ درجة تشربون: تشربون كما تشرب الإبل العطاش، المريضة بمرضٍ يجعلها لا تروى أبدًا حتى تموت، وكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدًا.

هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)

هذا الذي وصفنا لكم هو ضيافتكم عند ربكم يوم حسابكم، وإذا كانت هذه هي كرامتكم أول قدومكم يوم الجزاء، فما ظنكم بما يأتي بعد !، وقارن بين هذا وبين قوله تعالى في شأن الذين آمنوا به، وصدقوا رسله وكتبه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نزلا . خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا}.

إنه يوم عظيم، يوم الواقعة، يومٌ حال العباد فيه بين حالٍ رافعة، وحالٍ خافضة، نسأل الله أن يعاملنا بكرمه وإحسانه .

الجانب الثالث : من السورة في تأكيد قضية البعث: بذكر أربعة أدلة شاهدة بوقوع البعث، مبكتة للمنكرين له، ملزمة لهم الحجة:

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧)

ألم تعترفوا أن الله تعالى هو الذي ابتدأ خلقكم، فكيف لا تصدقون أن الله تعالى هو الذي سيعيدكم ويبعثكم، وما البعث إلا تبديل صورة بالية بصورة حيّة، وأنتم ترون أمثاله من التبديل، وما هو أعظم منه وأبلغ.

ثم ذكر سبحانه على ذلك أربعة أدلة؛ من مألوف حياتهم، ومعروف تجاربهم اليومية، بعيدة عن التعقيد وصعوبة التصور، دارت حول خلقهم، وطعامهم، وشرابهم، ومنافعهم اليومية .

الدليل الحسي الأول: هو دليل التناسل، وكيف أنبت سبحانه حيًا من ميت !

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨)

أخبرونا ألم تروا ببصركم وبصائركم أنكم تريقون النطفة البالية في الأرحام، ولا يتعدى دوركم أبعد من ذلك .

أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)

ثم الله تعالى يصورها إلى خلايا دم، ثم خلايا لحم، ثم خلايا عظم، ثم خلايا جلد، ثم خلايا أعصاب، ثم خلايا حواس، ثم خلايا غدد متخصصة في وظائف دقيقة، فهل أنتم الذين خلقتم الإنسان في أحسن تقويم أم الله الذي تفرد بخلقه !.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠)

ثم جعل الله لهذه الحياة نهاية، كتبها عليكم جميعًا، الصغير تظنون أنه يحيا فيموت، والمريض تظنون أنه يموت فيحيا، "فقصرنا عمر هذا، وربما كان في الأوج من قوة البدن وصحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم على إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، وأطلنا عمر هذا، وقد يكون في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج، لو تمالؤوا على تقصيره طرفة عين لعجزوا"، نظم الدرر (٢٢١/١٩).

وما يستطيع أحد منكم أن يهرب من قدره وأجله، ولا يعجز الله أو يغلبه، بل نحن القادرون:

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)

أن نأتي بخلق مثلكم بعدكم، ونجعلكم في حياة لا تعلمون ما فيها من تغير الصفات والأحوال.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)

فهلا تذكرتم أن الذي خلق النشأة المبتدأة:

أ- الترابية لأبيكم آدم.

ب- واللحمية لأمكم حواء.

ج- والنطفية لكم .

بقادر على خلق النشأة المعادة، كما قال سبحانه: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}.

فالذي حوّلكم من صور بالية إلى أحياء قادر على أن يعيدكم بعد أن بليتم، فأيّ غرابة في النشأة الأخرى، وهذه هي النشأة الأولى! .

الدليل الحسي الثاني: دليل إلقاء الحب والحرث في الأرض، بعد أن ذكر سبحانه إلقاء المني والحرث في الأرحام؛ وكيف أنبت سبحانه حيًا من ميت !.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣)

أخبرونا ألم تروا ببصركم وبصائركم أنكم ألقيتم البذرة البالية في الأرض، بعد شقها، ولا يتعدى دوركم أبعد من ذلك .

أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)

ثم الله تعالى أخرج من هذه الحبة عودًا، فورقًا، فسنابل بحبٍ حصيد، ومن النواة ساقًا، فجذوعًا سامقة، فتمرًا بثمر نضيج، فهل أنتم الذين زرعتم هذا في اختلاف صورةٍ وطعم أم الله الذي تفرد بزرعه وإنباته !.

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥)

ثم لولا حفظ الله له، وإبقائه لكم ليبس قبل استوائه واستحصاده، فصرتم تتعجبون من عدم نباته، وتندمون على هلاكه، ويزول فرحكم وسروركم وتفكهكم، فتقولون:

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦)

إنا غرمنا وخسرنا خسارة كبيرة، وأصابتنا مصيبة وجائحة .

ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم، وبأيّ سبب دهيتم، فتقولون:

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)

بل نحن الذين حرمنا الله من نعمته؛ بسبب معاصينا .

فالذي حوّل زرعكم من بذر بالٍ إلى زرعٍ أخضر ينمو ويُنبِت، قادر على أن يعيدكم بعد أن بليتم، فأيّ غرابة في حياتكم الأخرى، وهذه هي حياتكم الأولى! .

الدليل الحسي الثالث: دليل ماء الشرب، بعد أن ذكر سبحانه نعمته عليهم بالطعام ذكّرهم بنعمته عليهم بالشراب العذب، وكيف جمع سبحانه في الماء بين العذوبة والملوحة:

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨)

أخبرونا ألم تروا ببصركم وبصائركم أنكم تشربون ماءً، هو أصل حياتكم، ولا يتعدى دوركم أبعد من أن تشربوه .

أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩)

ثم الله هو الذي خلقه من عناصره، وأنزله من سحابه البيض، وأجراه في فوق الأرض وتحتها ماء عذبًا، فهل أنتم الذين أنزلتموه ماءً رقراقًا، فيه حياتكم، أم الله الذي تفرد بخلقه وإنزاله !.

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)

ثم لولا حفظ الله له، وإبقائه لكم لصار مرًا ملحًا، لا يصلح لشرب ولا لزرع، لا يبرد عطشاً ولا ينبت نبتاً، فهلا شكرتم نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عذباً زلالاً! .

فالذي أنزل من مزنٍ تجري كالهواء ماءً عذبًا فيه الحياة، قادر على أن يعيدكم بعد أن بليتم، فأيّ غرابة في قدرته الأخرى، وهذه هي قدرته الأولى! .

الدليل الحسي الرابع: دليل النار، بعد أن ذكر سبحانه أنه أنبت من الماء شجرًا ذكر أنه أخرج من الشجر نارًا سبحانه، فكيف جمع بين الماء والنار في الشجر !.

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)

أخبرونا ألم تروا ببصركم وبصائركم أنكم تستخرجون من الشجر الأخضر نارًا توقدونها إذا حككتم غصنًا بآخر، ولا يتعدى دوركم أبعد من ذلك .

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢)

ثم الله هو الذي خلق شجرًا، وأودع فيه بجوار الماء نارًا، وشبّ منهما شررًا، أوقدتم منه نارًا، فهل أنتم الذين خلقتم شجره، وأخرجتم ناره الذي به منافعكم، أم الله الذي تفرد بإنشائه وإخراجه !.

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣)

ثم لولا حفظ الله لكم لأحرقتكم، لكن الله تعالى جعل فيها منافع لكم؛ للمسافرين المرتحلين منكم، ولكل المستنفعين منكم بها؛ في طبخهم، وخبزهم، واستضاءتهم، وتدفئهم.

قال ابن سعدي مبيّنًا سبب تخصيص المسافرين بالذكر: "ولعل السبب في ذلك؛ لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعًا للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار".

فهلا تذكرتم بهذه النار النار الكبرى التي أنذركم الله بطشتها، وحذركم من عذابها، فما نار الدنيا إلا كما قال نبينا ﷺ: "إن ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم"، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية!، قال: "قد فضلت عليها بتسعٍ وستين جزءًا، كلهن مثلها حرها"، متفق عليه، ورواه أحمد وابن حبان والبيهقي، فزادوا فيه: "وضُرِبَتْ بالبَحْرِ مرَّتَيْنِ، ولولا ذلك ما جَعل الله فيها منفَعةً لأَحَدٍ".

فهذا الكلأ والماء والنار، والناس فيها شركاء، لعظيم حاجتهم لها في الدنيا، هي من أدلة بعثهم بعد الموت، كما نبّه عليه ابن كثير.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)

فنزه ربك الذي ربّاك بنعمه العظيمة السابغة، وهداك لما فيه سعادتك:

أ- تسبيح المنزه له من كل نقص؛ نسبه إليه الجاحدون .

ب- وتسبيح المتعجب من آثار قدرته، الدالة على تناهي عظمته.

ج- وتسبيح الشاكر له، الذي جعل في نعمه؛ نفعًا لعباده في دنياهم، وهدايةً لهم إلى ما ينفعهم في أخراهم.

د- وتسبيح المقتدي بجميع من يسبحه في سماواته وأرضه .

فسبحانه خلق بقدرته العظيمة الأشياء المختلفة المتضادة، ماء السحاب العذب الزلال البارد، وماء البحار الملح الأجاج، وخلق النار النافعة، والنار المحرقة المهلكة، وخلق من نطفة بالية إنسانًا حيًا سويًا، ومن بذرة يابسة نباتًا حيًا طريًا .

فنزه ربك العظيم الذي ملأ الأكوان كلها عظمة؛ بقلبك ولسانك وجوارحك، فهو المستحق؛ لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى.

ونزِه الذي أنزل هذا القرآن، فجعل فيه:

أ- ذكر الأحوال المرققة للقلوب، الزاجرة للنفوس.

ب- وذكر الأدلة الصادعة بالحق، الزاجرة عن الضلال والحيرة .

وبعد هذه الأدلة الواضحة التي يعيشونها في حياتهم اليومية لم يبق إلا الإقسام، فجاء الإقسام بعد هذه الدلائل العظام، قال تعالى مبينًا أن إحكام الكون المنظور دليلٌ على صدق الكتاب المسطور:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥)

فليس الأمر كما تزعمون أن القرآن سحر أو كهانة، وأُقسِم على ذلك بمواقع النجوم في السماء؛ بمواقع طلوعها وغروبها، وما يحدثه الله تعالى مع تلك التغييرات العلوية من المنافع العظيمة للعباد .

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)

وإن هذا القسم الذي أقسمتُ به لقسمٌ عظيم، لو تعلمون عظمته؛ لعظمتم المقسم به عليه، تفسير ابن كثير (٥٤٤/٧).

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)

وجواب هذا القسم العظيم: أن القرآن المنزل على محمد ﷺ جمع جميع صفات العظمة والنفع:

أ- فهو كريمٌ بمن أنزله، وكريمٌ بما احتوى، وهو كريمٌ بما يرشد إليه من معالي الأفعال والأقوال والأخلاق.

ب- وهو كثير الخير، غزير العلم، كل خير وعلم يستنبط منه .

ج- وليس هو بمفترى على الله، ولا بقول مجنون أو كاهن، ولا بمختلق من أساطير الأولين .

فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)

كُتب وحُفِظ في لوح:

أ- مصون عن الشياطين، لا قدرة لهم على تغييره، أو استراقه .

ب- معظم عند الله وعند ملائكته في الملأ الأعلى؛ لما له من النفاسة والعلو .

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)

وليس القرآن كما زعم كفار قريش تنزلت به الشياطين، بل لا يمسه ولا يصل إليه إلا المطهّرون؛ من الملائكة الكرام البررة، قال تعالى: (وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون).

قال الفراء: "لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به"، تفسير ابن كثير (٧/٥٤٥).

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)

لأنه منزلٌ ممن ربى الخلائق "بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل تربية ربى بها عباده إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمةً لا يقدرون لها شكورًا"، تفسير السعدي، ص(٨٣٦) .

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١)

أ- فكيف بكم أيها الكفار بهذا القرآن تكذبون، ولا تصدقون .

ب- وكيف بكم أيها المسلمون بهذا القرآن تختفون وتتوارون، وحقه تعلنون به وتصرحون .

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)

ثم كيف بكم أيها الكفار تجعلون حظكم من كتاب الله، وشكركم لنعمته هذه أنكم به تكذبون !.

وفي تفسير الطبري (١٥٣/٢٣): "وقد ذُكر عن الهيثم بن عدّي: أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان: بمعنى ما شكر".

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣)

لكن ستنكشف الحقائق إذا بلغت الروح الحلق حال احتضار أحدكم، وبدت عليه ملامح الموت، وذاق شدته؛ كما في قوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي. وقيل من راق. وظن أنه الفراق).

وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤)

وصرتم من حوله تنظرون إليه نظرة الهلع والعجز، وهو يكابد سكرات الموت، وأنتم عاجزون عن صنع أيّ شيء له، مرعبون من مصيره الذي سيلاقيه .

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥)

وملائكتنا أقرب إلى صاحبكم منكم، ولكنكم لا ترونهم، ونحن أعلم بمصيره وجزائه؛ كما قال في الآية الأخرى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون. ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين).

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)

فهلا أرجعتم روحه إلى جسده بعد أن سلبناها منه إن كنتم تستطيعون أن تمنعونا من محاسبته، وإن كنتم صادقين أنكم لا تجازون بعد الموت على أعمالكم، بل عندها تبكتكم الحجة، وتعلمون صدق ما وعدكم به الرسل .

وأنتم عند الاحتضار – كحالكم في دار القرار المذكور في أول السورة – على ثلاثة أصناف:

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨)

الصنف الأول: صنف السابقين المقربين، الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات.

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩)

فهؤلاء يجدون عند الاحتضار راحة في قلوبهم، ورائحة طيبة من حولهم، ورحمة من ربهم، ويبشرون عندها بجنان ينعمون فيها بغاية أنواع النعيم والملذات؛ من نعيم الروح والجسد؛ بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فتكاد الأرواح تطير من هذه البشارة فرحًا وسرورًا.

يقول النبي ﷺ: "إنما نسمة المؤمن طائر يعلق – أي يأكل – في شجر الجنة؛ حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه"، أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠)

والصنف الثاني: أصحاب اليمين، وهم الذين أدّوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم تقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، فتقول الملائكة لأحدهم عند احتضاره:

فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)

سلام لك، فأنت سالمٌ من العذاب والسخط، قال قتادة وابن زيد: سلِم من عذاب الله، وسلَّمت عليه ملائكة الله؛ كقوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم).

تقول له ملائكة الرحمة: "أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنتِ تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان".

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)

والصنف الثالث: أصحاب الشمال، وهم الذين كذبوا بالحق، وضلوا عن الهدى.

فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣)

فضيافتهم – بعد أكلهم الزقوم – ماء قد تناهى إلى أشد درجات الحرارة، فيصهر ما في بطونهم والجلود.

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)

ولهم بعد هذه الضيافة أن يعذبوا في نار الجحيم، التي تغمرهم من جميع جهاتهم، فيذوقوا عذابها ونكالها.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)

إن هذا الخبر لهو الحق الواقع فلا محيد عنه، واليقين النافذ فلا شك فيه.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)

فنزه الله:

أ- المحسن إليك بما خصّك به من نعمة اتباع هذا القرآن .

ب- والذي ملأت عظمته جميع الأقطار والأكوان.

عما يقوله الجاحدون لربهم، ولكتبه، ولرسله، ولجزائه.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، متفق عليه .

قال البقاعي (٢٤٩/١٩): "وقد انطبق آخر السورة على أولها في الإخبار بالبعث، وتصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة في أولها أيّ انطباق".

تم تفسير سورة الواقعة، ولله الحمد والمنة .

بين الجنة والنار

د. طالب بن عمر الكثيري

(١) تعريف الجنة والنار :

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، أخي الكريم تعرّف على الجنة التي سيدخلك الله فيها، ما أبوابها، وما قصورها؟، إن أردت أن أرتوي من شرابٍ أحبه إلى أي نهر أذهب، وإن أردت أن استمتع في الجنة تحت أي شجرة أجلس.

القرآن يحدثنا كثيرا عن ذلك، وكذلك السنة، إنها الجنة أشجار ذات فواكه، حدائق ذات أعناب؛ تختلف في ألوانها، تختلف في أشكالها، وتختلف في طعم عصيرها، حدائق من رمان، وحدائق الموز، وحدائق من رطب وتمر، هذا أحمر وهذا أصفر وذاك أخضر، هذا طعمه مميز، والآخر له طعم ألذ، وثالث مزيج بينهما، ما ألذ هذا، وأبرده، تذوق اللقمة وهذا بها في قمة الروعة، واللقمة الثانية أطعم منها، والتي بعدها أحلى من التي قبلها، ما تمل من تذوقها يالله، الثمرة الواحدة لها ٧٢ طعم، ما يشبه طعم الآخر، اللهم لا تحرمنا فضلك، تصنع منها طبقًا مشكلاً من فواكه تتخيرها، تصنع منها عصير مما تحب، ليست ثمارها كالدنيا تنقطع فاكهة في موسم، وتظهر في آخر، بل لا مقطوعة ولا ممنوعة .

من عجيب شجرها أنه لا شوك له فيؤذيك، بل لا تحتاج أصلاً لئن تتعب في جنيه، تخيل وأنت جالس على أريكتك الفاكهة هي التي تاتيك، يمتد فرعها إليك، وتتدلأ لديك، ولست أنت الذي تأتيها، (قطوفها دانية)، جعل الله في تلك الأشجار خاصية عجيبة، تشعر بإحساسك فتقرب بأغصانها لتضع الفاكهة التي تشتهيها بين يدلك {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا}، كم سمعت هذه الآية لكن ما معناها؟ معناها في قوله الله تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} إذا قمت كان قريبا منك، وإن قعدت نزل معك، وإن اضطجعت قرب منك أكثر، فإن جلست ارتفع معك، سبحان الله، اللهم لا تحرمنا جنتك، اللهم إنا نسألك لذة عين لا تنقطع، ونعيم لا ينفد، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

أما النار، فاللهم سلم سلم، صفتها من اسمها، لك أن تتخيلها نارا عظيمة، تأمل كم حلم الله عن العصاة وهم يتجرأون على معاصيه، ويحاربون دينه، ويقتلون أولياءه، ثم جاء وقت الانتقام بعد فترات الإمهال، يغضب الله غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، حدثني كيف سيكون انتقام الله من الطغاة والمتجبرين الذي عصوه ولم يتوبوا إليه، كم سيتفنن ملائكة التعذيب في التنكيل بالمحاربين لله ولشرعه.

ولك أن تتأمل حرارة نار الدنيا إذا وضعت فيها إصبعك، كم حرارة تلك الحمم التي يقذفها البركان الثائر من جوفه، وكم هي حرارة جوفه يا ترى، لو ألقيت في جوفه لكانت نار جهنم أشد من ذلك بكثير، كم هي حرارة لحام الأكسجين الذين يذيب الحديد، وكم تبلغ حرارة الحديد حتى ذاب ! لو أُحرق بها وجهك لكانت نار جهنم أشد منها بكثير، بل اجمع كل نيران الدنيا ثم اضربها بسبعين ضعف، لتقرّب لك شدة حرارة نار جهنم، يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: "إن ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم"، قالوا: يا رسول الله، إنا لكافية، بركان واحد إذا ثار في الدنيا سالت حممه فتمر على تربة الأرض فتقشرها، وعلى الصخور فتذيبها، وعلى الأشجار فتلتهمها، لا، لن يجعلها الله كذلك، بل يقول صلى الله عليه وسلم: (لكنها فُضّلت عليها بتسع وستين جزءاً كلهن مثل حرّها)، متفق عليه، نعوذ بالله من هذه النار، لك أن تتخيلها وهي تلتهم وتحطم كل شي، لا يبقى في وجهها شي أبداً، كواكب فيها تذوب، وشموس فيها تتفتت، لا تبقي ولا تذر، ما تترك شيء، تحرق الجلود، تصل إلى العظام، تصهر ما في البطون، تتطلع على الأفئدة ما تترك شي أبدًا حتى تصهره، اللهم سلهم سلم .

أخي الكريم كيف تفوز بنعيم الجنة ؟ كيف ننجو من حراراة جهنم ؟.

ما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله.

يقول عليه الصلاة والسلام: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم؛ فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ "، قالوا: بلى، قال:"ذكر الله".

ولنتعلم الآن ذكرا من أفضل الأذكار النبوية؛ أفضل من لو ذكرت الله الليل والنهار ، لو اجتهدت تذكر الله ليلك نهارك لم تبلغ أجره:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:رآني النبيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأنا أُحرِّكُ شَفَتيَّ، فقال لي:"بأيِّ شيءٍ تحرِّكُ شَفَتَيكَ يا أبا أُمامَةَ؟ ".فقلتُ: أذْكُرُ الله يا رسولَ اللهِ! فقال:"ألا أُخبِرُكَ بأكثَرَ وأفضَلَ مِنْ ذِكرِكَ بالليلِ والنهارِ؟ ".قُلتُ: بَلى يا رسولَ الله! قال:"تقولُ: (سبحانَ اللهِ عَدَدَ ما خَلَقَ، سبحانَ اللهِ مِلءَ ما خَلَقَ، سبحانَ الله عَددَ ما في الأرضِ، سبحانَ الله مِلءَ ما في الأرضِ والسماءِ، سبحانَ اللهِ عدد ما أَحْصى كتابُهُ، سبحانَ الله مِلءَ ما أَحْصَى كتابُه، سبحانَ اللهِ عَددَ كُل شَيءٍ، سبحان الله مِلءَ كل شَيءٍ، الحمدُ لله عَدَدَ ما خَلَقَ، والحمدُ لله مِلءَ ما خَلَقَ، والحمدُ لله عَدَدَ ما في الأرض والسماءِ، والحمدُ لله مِلءَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمدُ لله

عَددَ ما أَحْصى كِتابُه، والحمدُ لله مِلءَ ما أحصى كتابهُ، والحمد لله عَدَدَ كلِّ شيءٍ، والحمدُ لله مِلء كلِّ شَيءٍ)".رواه أحمد وابن أبي الدنيا –واللفظ له–، والنسائي.

(٢) ظلال الجنة والنار:

ويدخلهم الجنة عرّفها له، إذا دخلت الجنة أخي المبارك ابحث عن شجرة في الجنة يقال لها الظل الممدود، الجنة التي وعدنا ربنا فيها بساتين من أشجار لا يعلمها إلا الله، لكن ابحث عن شجرة الظل الممدود، احفظ اسمها الظل الممدود، فإن سألت: فكيف اعرفها، فأنا سأدلك على علامتها، وهي علامة مميزة متى ما رأيتها عرفتها مباشرة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجدّ في ظلها مئة عام في كل نواحيها، سبحان الله من كل ناحية لها ظل، عجيبة من عجائب الجنة، والجنة مليئة بالمفاجآت السارة، فكيف إن علمت أن الجنة ليس فيها شمس أصلاً، قال تعالى: (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا)، كيف يكون فيها ظل، وليس فيها شمس!، نعم فيها ظل وظل ممدود، فسبحان الله المبدع.

لكني لماذا تريد مني أن أذهب إلى هذه الشجرة، ماذا سأجد هناك ؟ اسمع ما يقوله ابن عباس في الأثر الموقوف عليه، يقول: فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها، إذًا ستجلس هناك لتلاقي أهل الجنة؛ فتطيب بهم مجالس الحديث والعلوم والأخبار، تسمع من كل أمة عجائب أخبارها، وغرائب ما شهده زمانها، ثم، قال ابن عباس: فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا؛ فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا، ياه، ما أدفء هذه الأصوات، وما أعذب ذاك الغناء، يا ليتني معهم جالس، يا ليتني وأنت في تلك المجالس.

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحا تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإ ... نسان كالنغمات بالأوزان
يا لذة الأسماع لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان
نزه سماعك إن أردت سماع ذي ... ـاك الغناء عن هذه الألحان
حب الكتاب وحب ألحان الغنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان

اللهم اجمعنا في الجنان، واسكنا دار الرضوان .

أما النار اللهم سلم سلم، فليس فيها شيء من وسائل الراحة، الإنسان منا في الدنيا إذا شعر بالحر اتجه إلى وسيلة من وسائل التبريد؛ إما هواء بارد يبرد عليه، أو ماء بارد يغتسل فيه، أو ظل بارد يخفف عنه، أما في النار فاسمع لوسائل الراحة هذه: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ

يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}، الهواء سموم أشد ما يكون من الحرارة يدخل في مسامعهم فيكويها، وفي مناخرهم فيشويها، والماء حميم يذيب الصخور، وفي الوجوه يفور، والظل، سألت عن الظل، أتدري أن في النار ظل ؟ نعم فيها ظل، لكن أيّ ظل، شتان بين ظل النار والظل الممدود في الجنة: {انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} إلى أين يذهبون {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} شكله مخيف قصبة تأتيك من أسفلك، ثم ترتفع وتتفرع إلى ثلاثة فروع مظلمة، هل تحتها جو بارد، لا، (لا ظليل ولا يغني من اللهب)، ما يسلم من تحتها من حرها، ولا أن تصبه شرارة من نارها، دعني أحدثك عن هذه الشرارة الواحدة؛ حجمها كالقصر العظيم، وهي في سرعة حركتها وإصابتها لأهل العذاب كالجمال الصفر إذا هاجت، لما تسمع كلمة النار لا تتخيل حطب يحرق؛ لا ، لا تتخيل بركان يقذف بالحمم؛ لا ، تخيل شيئاً مما أخبرك الله ورسوله عنها، اللهم سلم سلم، وحرّم أجسادنا على النار؛ فإن أجسادنا على النار غداً لا تقوى.

{قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} يا الله أجرنا من ظل النار، واجمعنا تحت ظلال الجنة ، أتود أن تكون في ظل أعظم مخلوق خلقه الله، أتريد أن تكون تحت ظل عرش الرحمن، إذا ركز معي :

عن أبي اليَسَرِ رضي الله عنه قال: أبصرَت عيناي هاتان، وسمعتْ أذناي هاتان، ووعاه قلبي رسولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول:"من أنظر معسراً، أو وضع له؛ أظله الله في ظله"، رواه ابن ماجه والحاكم –واللفظ له.

ابحث عن رجل لا يستطيع أن يسددك حقك ثم مدّ له في أجل الدين، وأخرّه مدة إضافية، أو اخصم له بعض الدين، أو كله وسنجدك في ظل الله يوم القيامة، أو أدلك على طريقة أخرى:

ابحث عن رفقة صالحة من أهل الخير والإيمان، والإحسان للناس وصاحبهم، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "قال الله عزَّ وجلَّ: المتَحابُّون بِجَلالي في ظِلِّ عَرْشي، يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي".رواه أحمد بإسناد جيد، جمعنا الله وإياكم تحت ظلال عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله .

(٣) عيون الجنة والنار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، ما زلنا نسعى إلى أن نتعرف على الجنة أكثر، ونسأل الله الكريم أن يمن علينا بدخولها، يا رب، في الجنة أنهار، وفيها بحار، كما سنذكر، وفيها عيون، وسمُي لنا من عيون الجنة ثلاثة، هل تعرفها ؟ العين الأولى {عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا}، من اسمها: ماؤها سلس ببلل يسوغ في الفم، والثانية: عين الكافور، لمائها نكهة خاصة طيبة الرائحة، هذه لعباد الله الأبرار، والثالثة: أفضل من السلسبيل والكافور، إنها عين التسنيم، لعباد الله المقربين، جعلني الله وإياكم منهم، {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا

الْمُقَرَّبُونَ}، يا ترى من أيّ العيون ستشرب ؟ بحسب درجتك في الجنة، حتى هذه العيون تختلف في صورتها الجميلة إن كنت من أصحاب الدرجات العليا، فعيونك تجري من حولك، {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، وإن كنت في درجة أقل فعيونك تفور كالنافورة الجميلة، بأشكال بديعة جداً ومنظر جميل مع طيب الماء وحسن الرائحة، وهي ما عرّفه الله لنا بقوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}.

ومهما تكلمنا لا يستطيع الإنسان أن يقيس بعقلة الدنيا على الجنة، {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى}، نعيم لا يقارن بالدنيا، يقول عليه الصلاة والسلام: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بماذا يرجع"، لو وضعت إصبعك في البحر، وأخرجته ماذا سيأخذ الإصبع من البحر الكبير المتلاطم بالأمواج، ماذا سيأخذ ؟ يمكن يطلع بقطرة من هذا البحر المتلاطم، هذه الدنيا في الآخرة، إذا جئت تحسب كل الدنيا بما فيها؛ بأموالها، بقصورها، بلذاتها، بما جمع أهلها من يوم خلقها الله إلى أن يفنيها، ما تساوي من الجنة قطرة من بحر.

ومن عجيب وجميل عيون الجنة أن أهلها هم الذين يتحكمون فيها، يضرب أحدهم بيده فيفجرها هنا، أو تنبع من هناك، ويجريها كيف شاء في قصره وحديقته، قال ربي: {يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا }، ليجدد دائمًا من شكل حديقته الرائعة، وقصره العامر بحسب ذوقه في كل مرة ورغبته، اللهم لا تحرمنا من فضلك، اللهم إنا نسألك نعيم لا ينفد، وإيماناً لا يرتد، ومرافقة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنة الخلد.

أما ماء النار، فنعوذ بالله من النار ومائها، (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون)، في النار أربعة أصناف من الشراب: الأول: الماء الحميم الذي بلغ في الحرارة أقصاها، وفي الفوران غايته، وفي النضج أشده، يذيب أشد ما يكون من أيّ خلق يكبر في صدرك، تخيل أيّ شي يكبر في صدرك؟ حديد، فولاذ، جبال أيّ شيء يكبر في صدرك يذيبه، يسيل هذا الماء في جنهم على هيئة الوادي فيما ذكر أهل العلم، وإذا أهل النار ينغمسون تارة في النار، وتارة ينغمسون في وادي الحميم، والعياذ بالله، {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} آن في منتهى الحرارة، يطوفون بينها يعني بين الجحيم وبين الحميم، {إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون. في الحميم ثم في النار يسجرون}، وهل في النار أودية، كيف يكون في النار وادٍ، الله أعلم، قيل: غي وادي في النار، وويل واد آخر، لا أدري، هكذا ذكر بعض أهل العلم، لكن الذي أنا متيقن منه أن في النار عيونًا، عيونًا تفور في جهنم، يقول ربي: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} في منتهى الحرارة، اللهم سلم سلم .

وهذا الحميم متخصص في تعذيب جزء من الجسم، أتدري ما هو؟ تأمل هذا! إنه الأمعاء، هذه المسالك الضيقة الصغيرة الدقيقة، التي تحوي الشعيرات الرقيقة جداً وتمتص أدق ما يكون من الغذاء، تكوى بالماء الحميم فتقطعها قطعًا، يا لطيف، {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}، توقّع كيف ستمتص هذه الحرارة، بالله قلي كيف سيكون هذا الألم، أم كم سيعظم مع صراخهم الندم، لأيّ شيء لم يطيعوا الله، لأي شيء تجرأوا على عصيان الله، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم؛ إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقراً ومقاما.

كيف نستطيع أن ننجو من هذا الحميم ودخانه وبخاره في جهنم، استمع لهذا التوجيه النبوي:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال: "أمَا تخشى أنْ يكون لك دخان في نار جهنم؟! "أمَا تخشى أنْ يفور له بخار في نار جهنم؟! ". والنجاة يا رسول الله أين ؟

قال: أنفق بلالُ! ولا تخش من ذي العرش إقلالا"، رواه البزار بإسناد حسن، والطبراني في "الكبير".

أكثر من الإنفاق في طرق الخير، على يتيم وجدته، أو على مبتلى رأيته، أو مسكين بحثت عنه فوجدته، أكرمهم يكرمك الله، شارك في بناء مسجد، دار قرآن، حفر بئر، كفالة داعية.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"صنائع المعروف تقي مصارعَ السوء، والصدقةُ خَفِيّاً تُطْفئ غضبَ الربِّ، وصِلَةُ الرحم تزيد في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"، رواه الطبراني في "الأوسط".

اللهم اغمسنا في عيون الجنة، واسقنا جميعًا يا رب من سلسبيلها وكافورها وتسنيمها، اللهم آمين .

(٤) مساحة الجنة والنار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، ما أجمل أن تعرفها في الدنيا، ثم تدخلها يوم القيامة، أتدري كم مساحة الجنة، يقول ربي: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}، أريت هذه السماء شاسعة المساحة، يرتد طرفك حسير، ولا تدرك طرفها، كم فيها من مجرات تجري بكواكب وشموس ضخمة، تقدر المسافات بينها بالسنوات الضوئية، ثم هذه المساحة الشاسعة هي السماء الدنيا فقط، فأضف لها سبع سموات، ثم الأرض معهن كذلك لم تبلغ بعد إلا عرضها، فما بالك في طولها، فكم إذا مساحتها، فترى المؤمن فيها خالد مليارات السنين بلا موت، ولا يمل من نعيمها، ومن بدائع ما فيها.

ثم إن نظرت لارتفاعها هالك الأمر أكثر، يخبرنا صلى الله عليه وسلم: "بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض"، "ما بين الدرجتين مائةُ عام"، يخبرنا صلى الله عليه وسلم إن أهل الدرجات ليتراءون أهل الغرف كما يتراء الكوكب الغابر في الأفق، الكوكب الذاهب البعيد ساعة تلقطه وساعة يخفى عليك، ثم كم درجة الجنة حتى

نضرب بعددها، أمر لا يعد، للمجاهدين فقط أعد الله مائة درجة، فكم لغيرهم فيها من الدرجات، اللهم لا تحرمنا من فضلك الواسع يا رب العالمين، يا من يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما خائبتين، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل.

تعوذ بالله من عذاب النار، ما زالت تسعر إلى الآن وتوقد وتزادا عذابًا ونكالاً للمجرمين، {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}، تأملوا معي قعرها البعيد جدًا، أراد نبينا صلى الله عليه وسلم أن يضرب لنا مثالاً يُقرّب لنا قعر جهنم؛ لنستوعب شيئًا من هذا، فقال: "لو أن حجراً كمثل سبع خلفات ألقي في النار"، حجر من أقسى الأشياء وأشدها كتلة، لكن بأي حجم ؟ بحجم سبع نوق حوامل، أرأيت الناقة العظيمة الحامل لولدها في بطنها، اضرب حجمها في سبع، ثم لا تجعلها نوقًا، بل بكتلة الحجارة الثقيلة، قال عليه الصلاة والسلام: "لبلغ قعرها بعد سبعين خريفا"، وهو بهذا الحجم يهوي فيها، وبهذه السرعة الهائلة ولا يبلغ قعرها إلا بعد سبعين سنة.

أما مساحتها، فأبصر هذا المشهد؛ يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، أتدري من الملائكة ! إنهم الغلاظ الشداد، وكم قوتهم!، أكثر من أربع ملايين ملك يسبحونها، لا إله إلا الله سبحانك، ما أشد انتقامك ممن عصاك .

بل تامل هذه المساحة الهائلة، وأكبر ما نرى من النجوم الشمس ومعها القمر يليقيان، فيكوران في جهنم فتبتلعهما ، أيّ مساحة هذه النار، الهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك .

اللهم اعتق رقابنا ورقاب والدينا من جهنم، اللهم حرّم أجساد الحاضرين على النار، اللهم حرّم أجسادنا وحرم أقشارنا وحرم جلودنا على النار .

أدلك على عمل تطفئ به ذنوبك قبل أن تحرقك النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال:"ومن قال: (سبحان الله وبحمده)؛ في يوم مئة مرة؛ غُفِرتَ له ذنوبهُ وإن كانت مثل زَبَدِ البحر".رواه مسلم.

ونافس كل صباح على دخول الجنة :

عن المُنَيْذِر –صاحب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وكان يكون بإفريقيَّة– قال: سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول:"مَنْ قالَ إذا أصبح: (رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً)، فأنا الزعيمُ، لآخذنَّ بيدِه حتى أُدخِلَه الجنةَ".

فهنيئا لك يا من يدخلك رسولنا صلى الله عليه وسلم الجنة بيده .

(٥) **غراس الجنة ووقود النار:**

وأما أهل الجنة {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، والناس في الجنان ليسوا سواء بل الجنة درجات، وأنا أعرف أعلى درجة في الجنة، وسأخبركم عنها إنها الوسيلة لا تكون إلا لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ومن سألها له حلت له شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فدخل الجنة، وارتفعت درجاته فيها، تريد تقرب من نبيك صلى الله عليه وسلم، تكون على قرب هذه من هذه: اكفل يتيمًا، أو ربِ ثلاث بنات تربية حسنة، أو أكثر من السجود لله، بهذا ترتفع درجتك في الجنة، وتقرب من رسولك عليه الصلاة والسلام.

والجنة درجات، وأنت ستكون في أيّ درجة يا ترى، قد ترى بعض الذين تعرفهم، وقد أصبحوا في درجة رفيعة في الجنة، أتدري أن أهل الدرجات ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما نتراءى الكوكب الدري الغابر في الأفق، ياه، الكوكب الذي من بعده ترى لمعه تارة، ويخفى عليك أخرى، هكذا ستكون درجاتهم، أصحاب الغرف، أيّ غرف ؟ الغرف الرائعة في الجنة، "إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها"، هل هي زجاجية الله أعلم، لكنها بديعة، تستطيع أن تدركها، فاستعن بالله في بناء قصورك في الجنة، قلنا: لمن، يا رسول الله، قال: "لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام" .

جنتك أخي الكريم وجنتكِ أختي الكريمة تستطيعان أن تعمراها وتزيدون فيها غرسًا وبناء ومتعة بأعمالكم الصلاة، فالجنة زيّنها الله، وما زالت تتزين إلى الآن، اغرس لك نخلة فيها بكل تسبيحة، اغرس لك شجرة فيها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ابنِ لك فيها قصرًا بمحافظتك على السنن الرواتب، اربح فيها كنزا بقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم فأعلِ درجاتنا في الجنة .

والنار والعياذ بالله، كذلك توقد وتسعر باستمرار {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ }،{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}، لكن الأفضع إذا عرفت بماذا توقد النار؟ قال ربي: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} أيّ حجارة، قال ابن مسعود: حجارة الكبريت، أتدري لماذا؟ لأنه هذه الحجارة سريعة الإيقاد، كثيرة الدخان، نتنة الرائحة، شديدة الالتصاق بالأبدان، وإذا أحميت فإن حرارتها تبلغ حرارة عظيمة لا تبلغها غيرها، اللهم سلم سلم، ومن الحجارة التي توقد بها النار أصنامهم التي كانوا يعبدون، {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}؛ أي حطب جهنم، ومن تلك الحجارة الشمس والقمر على ضخامتهما تلهب فيهما النار.

وأعجب من هذا أن ممن توقد به النار وتسعّر: الناس من الكفار والمجرمين، هم يعذبون فيها وهي توقد بهم، أعوذ بالله، تأمل هذا المشهد الذي وصفه الله لنا يوم القيامة يقول الله سبحانه: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}، قال أهل العلم: يؤتى بالمجرم فيؤخذ من ناصية شعره ومن قدمه، ثم يحمل على شفير جهنم ثم يكسر كما يكسر الحطب في التنور، ويُلقى حطباً في النار: {وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}، اللهم نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك .

أخي وأختي هل تريدان أن نسعى في إطفاء لهيب هذه النار، وإبعاده عنا لنسمع بأي توجيه يوجهنا رسولنا صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحترقون تحترقون؛ فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون؛ فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون؛ فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون؛ فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون؛ فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا"، رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

لنحافظ على صلاتنا، حتى نخفف من آثامنا، ونتخلص من ذنوبنا، ثم لننطلق لنجمع رصيدًا كبيرا لمهر الجنة ، أدلكم على كنوز في الجنة تحوزونها، عن أبي موسى رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال له: "قُلْ لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ؛ فإنَّها كنزٌ من كُنوزِ الجنَّةِ"، رواه البخاري ومسلم، وفقنا الله وإياكم للفوز بنعيم أهل الجنة .

(٦) **منظر الجنة والنار:**

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، الجنة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة نضيجة، وزوجة حسناء، جاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليصف لنا الجنة، فروى لنا هذا الحديث القدسي البهيج؛ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ يقول الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)؛ يعني لو نأتي لك بأجمل صور رسمها أبدع فناني الدنيا من خيال ما يتمنون، وقلنا: الجنة مثل هذه؛ لكذبنا عليك، لو تستلقي على ظهرك، فتتصور كل أنواع النعيم لن يخطر على قلبك ما في الجنة، اقرؤوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، أرأيت أبدع كرامة سيكرم بها أغنى الأغنياء أعز من يحب؛ ماذا سيصنع ليسعده؟ فكيف – بربي – ستكون كرامة الغني الكريم سبحانه لعباده الذين أطاعوه وأحبهم، اللهم إنا نسألك من فضلك .

تأمل حال جبريل، يا ترى ماذا أرى، لما خلق الله الجنة، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فرجع، فقال: لا يسمع بها أحد إلا دخلها، مجرد أن يسمع بها فقط؛ لأن الله أعد فيها ما لا يمكن أن تتخيله !.

الجنة مزخرفة التربة والبنيان والثياب والتيجان، كل شي فيها يسر الناظرين، تربتها مزخرفة بزخرفة بديعة، لو أن قدر قلامة ظفر أخذت من تربة الجنة، فسقطت على أهل الأرض، لزخرفت ما بين المشرق والمغرب، مصفوفة أرائكها بطريقة هندسية مذهلة؛ حتى ملاط لبنات الذهب والفضة رسم على جدران قصورها لوحات بديعة؛ لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، اللهم ارزقنا متعة النظر للجنة ولوجهك الكريم فيها، يا رب العالمين.

أما النار، فنعوذ بالله من عذابها، لا يسهل علينا أن ننظر للذي بداخلها، حسبنا أن ننظر لها من الخارج، حتى هيئتها الخارجية مخيفة من جهة صوتها، ومن جهة منظرها، فمنظرها مخيف بمجرد ما تُرى هذه النار تقشعر الأبدان، وتذوب الأكباد من الخوف، ومن صور هذا المنظر المفزع أن النار إذا اطلعت على أهلها خرج عنق منها، عنق يخرج من النار، له عينان يُبصر بهما، وله أذنان يسمع بهما، وله لسان ينطق به، يالله أيّ نار هذه، وأيّ منظر مخيف سيكون مثل ذلك، يقول: وكلت بثلاثة يبحث عنهم في الموقف، هذا العنق موكل متخصص في تعذيب ثلاثة أصناف: بكل جبار عنيد، وَمَنْ جعلَ مع الله إلهاً آخَر، ومَنْ قَتَل نَفْساً بغيرِ حقٍّ، فَيَنْطَوي عليهِم، فيقْذِفُهُم في غمرات جَهَّنمَ.

ومع هذا المنظر، تسمع صوت يزلزل القلوب، ويصك المسامع، ويرعب الأفئدة؛ إنه صوت النار، يقول الله سبحانه: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا}، لها شهيق ولها زفير، لها تغيظ من شدة حرصها على الانتقام ممن عصوا الله، من شدة بغضها للمجرمين تشهق شهقة وتتغيظ حتى تكاد تلتهم من في الموقف، فبالله عليك حدثني عن هذه النار العظيمة إذا تغيّظت، ثم زفرت كيف سيكون صوت غيظها وشهيقها، وكيف سيكون صوت زفيرها في الآذان! منظر النار من خارجها مخيف، فكيف إذا دخل الإنسان فيها، وقاسى شدة ما فيها، اللهم سلم سلم .

اللهم بعِد بيننا وبين عذابك، قم بنا من الآن نبتعد عن النار ولهيبها وصوتها المخيف، كيف نفعل هذا اسمع لهذا التوجيه النبوي الكريم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال:"من صامَ يوماً في سبيل الله؛ زحزحَ اللهُ وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفاً".رواه النسائي والترمذي.

لنحرص على صوم رمضان، ولنكثر من صيام النوافل، يا ليتنا نجتمع معًا على منابر اللؤلؤ ذي المنظر البديع؛ إنها منابر أخبرنا عنها رسولنا صلى الله عليه وسلم: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"ليبعثن الله أقواماً يومَ القيامة في وجوههم النورُ، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء"، قال. فجثا أعرابيٌّ على ركبتيه؛ فقال: يا رسول الله! حَلِّهم لنا نعرفهم. قال:"هم المتحابون في الله،

من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه"، رواه الطبراني بإسناد حسن، وفي رواية قال: يغشى بياضُ وجوههم نظرَ الناظرين.

يا للروعة والجمال، اللهم اجعلنا منهم .

(٧) مناظر الجنة والنار:

كم حدثنا رسولنا عليه الصلاة والسلام عن الجنة كأنها رأي عين، أخي الكريم إذا دخلت الجنة ائتِ شجرة اسمها سدرة المنتهى، احفظ هذا الاسم، فإن سألتني كيف أعرف هذه الشجرة إذا وجدتها، ستعرفها بعلامة مميزة لها، وصفها لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم، قال: ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها؛ أي ثمرها مثل قلال هجر، تعرف شكل الجرة، مثلها، وورقها مثل آذان الفيلة، تعرف أذن الفيل ادخل على الشبكة واكتب شكل أذن الفيل، حتى تعرفها أكثر، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة، سبحان الله.

لكن لماذا تريد مني أن أذهب إليها، اسمع ما ستجد عندها من البهجة والمتعة والنعيم، يقول عليه الصلاة والسلام: "فغشيها ألوان لا أدري ما هي"، ألوان رائعة كأجمل ما يكون من تشكيلات ورسومات بديعة، ومن أشكال وألوان جميلة، رآها صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، (إذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى)، قال عليه الصلاة والسلام: "فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها" .

ما أجمل متعة العين، وهي تتمتع بهذه المناظر، يتمتع بعض الناس في الأعياد بالنظر الأشكال الليزرية، أو الألعاب النارية في السماء، وسترى ما هو أبدع من ذلك بهجة، وأسر متعة عند هذه الشجرة البديعة، اللهم متعنا بالنظر لمباهج الجنة وبدائعها، يا كريم .

واعلم أن جميع أشجار السدر في الجنة لا شوك فيها أبدًا، بل كلها {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، يقول عليه الصلاة والسلام: "خَضَدَ الله شوْكَهُ، فجعلَ مكانَ كلِّ شوْكَةٍ ثمرةً؛ فإنَّها لتُنْبِتُ ثَمراً، تَفَتَّق الثمرةُ مِنْها عنِ اثْنَيْنِ وسبْعينَ لَوْناً مِنْ طعامٍ، ما فيها لونٌ يُشْبِهِ الآخَرَ"، الله أكبر .

فأما النار والعياذ بالله، فمنظرها مفزع يبعث في النفس الخوف، وتسري معه في الأجساد الرعدة، تأمل، في الأثر الموقوف أن أهل النار إذا طلبوا التخفيف أخرجوا إلى ساحل في جهنم، فيه هوامُّ وحيّاتٌ كالبخاتي أيّ كالجمال طويلة العناق، وعقاربُ كالبغالِ الدُّلْمِ أي السود، وصفهن صلى الله عليه وسلم: "حيات تلسعُ إحداهن اللسعةَ فيجدُ حَرّها سبعين خريفاً، وعقارب تلسعُ إحداهن اللسعةَ فيجد حُمُوّهَا – أي أثر سمها وألمها – أربعين سنةً" .

قال في الأثر السابق: فتأخذهم تلك الهوامُّ بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فتكشطُها، فيرجعون، فيبادرون إلى معظم النيرانِ، ويُسَلِّطُ عليهم الجَرَبُ، حتى إن أحدهم لَيَحُكُّ جلده حتى يبدو العظم، فيقالُ: يا فلان! هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين.

حيات مفزعة، منها في ساحل جهنم، ومنها ما يخرج من النار، حية منها اسمها شجاع، في رواية: أقرع، وهو من ذهب شعر رأسه من السُّم، أتدري وكلها الله بمن؟، يقول رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"ما مِن ذي رَحِمٍ يأتي ذا رَحِمِهِ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه؛ إلا أخرج اللهُ له من جهنم حَيةً يقال لها: (شجاعٌ) يَتَلَمَّظُ، فَيُطَوَّقُ به"، رواه الطبراني في "الأوسط"، و"الكبير" بإسناد جيد.

والتلمظ: تطَعَّم ما يبقى في الفم من آثار الطعام، اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

فكيف النجاة من هذه المناظر الفظيعة، والفوز بنعيم الجنان البديعة؟، اسمع لهذا وصية النبي صلى الله عليه وسلم:

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: "من الصديقين والشهداء"، رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، واللفظ لابن حبان.

فاحرص على الثبات على توحيدك، ثم احرص على حسن إقامة صلاتك، ثم أدِ ما فرضه الله عليك من زكاة في مالك، فإذا جاء رمضان فبادر إليه وصم نهاره وقم ليله، اجتهد في رمضان بالطاعات، اقرأ القرآن، ابك من خشية الله، ادمع عينك مع مناجاة الله ودعائه، أكثر من الصدقة واشتر نفسك من النار، وأبشر بهذه الدرجة الرفيعة؛ اللهم بلغنا رمضان، وبلغنا صيامه وقيامه، وبلغنا الجنة العالية.

(٨) أقل أهل الجنة وأهل النار:

السلام عليكم، هي أيضًا تحية أهل الجنة، دعوني أبقى معكم ومع وصف أقل أهل الجنة منزلة، وليس في الجنة قليل، دعنا نبقى مع هذا الرجل، سأل عن هذا الرجل موسى عليه السلام، في الصحيحين يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً"، انظر هو آخر من سيخرج من النار، وآخر من سيدخل الجنة، كيف سيكون حاله ؟ .

آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أيّ رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أيّ رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ وفي رواية: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، وفي رواية: ويذكره الله، سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله "، قال: " ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك "، قال: " فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت "، قال موسى: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر "، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: " {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}.

لكن تأمل حال عذاب أهون أهل النار، أتدري كيف يعذب أهونهم عذابًا ؟، وما في النار من عذاب هين، وأهون إنسان في النار سيكون في ضحضاح من النار يلبس شرك من نار؛ نعلان من نار، أو يقف على جمره من نار، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "فيغلي بهما دماغه؛ كما يغلي المرجل في القمقم، يرى أنه أشد الناس عذاباً، وهو أهون الناس عذاباً في النار"، أعوذ بالله، يغلي دماغه، يفور الدخان منه من شدة العذاب، وهذا هو أهونهم عذابًا، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم؛ إن عذابهم كان غراما.

أتدري أن النار اشتكت إلى ربها؛ كما جاء في صحيح البخاري، قالت: يا ربِ أكل بعضي بعضاً، تأكل بعضها بعض من شدتها، فأذن الله لها بنفسين؛ نفس في الصيف ونفس في الشتاء، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير، أسمعت هذا أشد موجة حر من ريح سموم في أعلى منطقة في العالم حرارة، هذا كله من نفس النار فقط، سبحان الله، العادة النفس فيه تنفيس وبرد، لكن هذا نفسها، فكيف بعذابها!، وأشد ما يوجد من زمهرير في أشد بقعة في العالم انخفاضًا في درجة الحرارة هو من نفسها أيضًا، في النار يعذبون بالبرد كما يعذبون بالحر، نعم عذاب البرد الذي يحرق الأجساد، ويسوّد الأبدان، ويكوي الجلود، اللهم سلم سلم.

أخي الكريم أختي المباركة، دعونا نحمد الله تعالى على فضله علينا، وستره لنا، نعوذ بالله من عذاب يغلي معه الدماغ، وحر وبرد يحرق الأجساد، لنحمد الله أن وفقنا لما أتينا من طاعته، وتركنا ما اجتنبناه من معصيته، ألا أدلكم على أعظم حمد نحمد الله به، إذا قرأتموه يكتب لكم به مثل أجر جميع محامد الخلق كلهم، أتخيلت الخلائق كلهم يحمدون الله، وأنت بهذا الدعاء يكتب لك مثل محامد الخلائق كلهم، ماذا أقول؟ اسمع: عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"من قالَ إذا أوى إلى فراشه: (الحمدُ لله الذي كفاني، وآواني، والحمدُ لله الذي أطعمني وسقاني، والحمد لله الذي منَّ عليَّ فأفضلَ)؛ فقد حَمِدَ اللهَ بجميعِ محامِدِ الخلقِ كلِّهم"، رواه البيهقي.

هل حفظته؟ إذًا لا تنس أن تقوله، لكن لا تنس شرطه ؟ أن تقوله إذا أويت لفراش نومك، لتصبحوا على حمد الله وشكره .

(٩) أبواب الجنة والنار:

حدثنا رسولنا عليه الصلاة والسلام عن الجنة كأنها رأي عين، اللهم إنا نسألك أن تسكنا الجنان، وتسبغ علينا من حلل الرضوان، لكن من أين سندخل إلى الجنة ؟ من أبوابها طبعًا، ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، دعونا نتعرف أكثر على أبواب الجنة، وأبواب الجنة عددها ثمانية أبواب، هلا تعرفنا عليها؛ الباب الأول: يقول صلى الله عليه وسلم: "فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة"، باب اسمه باب الصلاة، مخصص لأهل الصلاة الذي يحافظون على صلواتهم المفروضة، يحافظون على إسباغ طهورها، وحسن ركوعها وسجودها وخشوعها، ويؤدونها في المساجد، ويكثرون كذلك من نوافل الصلوات الليلية والنهارية، من أيّ باب سيدخلون؟ من باب الصلاة، والباب الثاني: "ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة"، أولئك الذين يخرجون زكوات أموالهم، ويتصدقون على الأرامل واليتامى والمساكين، وعمارة المساجد وحفر الآبار وأعمال الخير، ستنادى أسماؤهم من باب الصدقة، وأنت وأنتِ من أي باب ستدعون؟ لعلكم من باب الصيام، باب خاص للصائمين؛ صيام الفرض، والمكثرين من صوم النوافل، ولهذا الباب اسم آخر جميل: باب الريان، يالله، لأنهم أضمروا أكبادهم لله، أرواهم الله من باب الريان، قال صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة بابًا لا يدخل منه إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه بعدهم أحد"، فهل أنت من أهل هذا الباب، والباب الرابع باب الجهاد؛ للذين دافعوا عن هذا الدين، وسعوا في نشره وإعلاء كلمته، هنيئًا لهم، باب لكل من جاهد في سبيل الله، انتهى الحديث، ولم يذكر لنا فيه نبينا صلى الله عليه وسلم إلا أربعة أبواب، لكني اجتهدت في البحث عن الباب الخامس، ووجدته والحمد لله، سأعرفكم به في مجلس قادم .

وحدثنا رسولنا عليه الصلاة والسلام عن النار كأنها رأي عين، فأما أبواب النار أعاذنا الله وإياكم منها ومن أبوابها، فسبعة، قال ربي: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}، وهي والعلم عند الله بعضها تحت في بعض في كل دركة من النار باب، وهي أبواب مغلّقة على أهلها، يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، أبواب جهنم مغلقة لماذا؟ لكي يزداد الغم والهم؛ بأنهم يخلدون فيها والعياذ بالله، وكيف أغلقت اسمع: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}، يعني مغلّقة مطبقة، {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، العمد يعني أعمدة الحديد، وأعمدة الحديد من أقوى ما يكون، حجمها وقطرها كبير جدًا، أعمدة حديد أَحكمت إغلاقها من كل جوانبها؛ من كل نواحيها، أغلقت الأبواب تماماً حتى يحدث اليأس من الخروج، وهذا نوع من العذاب.

وهناك نوع ثاني من تيئسهم من الخروج من النار؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى يجعل عندهم أحياناً بعض الطمع في أن يخرجوا من النار: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا}، وهذا عذاب ثانٍ غير عذاب اليأس الأول، عذاب اليأس بعد الطمع، وهو أشد ما يكون من الألم؛ أن تطمع في شيء؛ ثم يضيع منك، لو أنك يئست من البداية منه ما حدث في نفسك ما يحدث من اليأس بعد الطمع، اللهم عافنا واعف عنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا .

أعوذ بالله أن يمنع أحدنا من الجنة، بعض الناس والعياذ بالله، لا يوفق لأيّ بابٍ من أبواب الجنة الثمانية، بل يطرد منها جميعًا، ماذا صنع هذا في حياته، فلتحذر من هذين العملين، اسمع :

العمل الأول: عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحولن بين أحدكم وبين الجنة- وهو ينظر إلى أبوابها- ملء كف دم مسلم أهراقه ظلماً "، أخرجه الطبراني.

أعوذ بالله، إنه قتل النفس المحرمة، يُغضبه هذا، أو يشتريه ذاك بالمال، أو يغريه الآخر بالوهم؛ فيقتل نفسًا بغير حق، نعوذ بالله أن نكون منهم .

والعمل الثاني: "تُفتح أبوابُ الجنة يوم الاثنين و [يوم] الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً؛ إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء"، أعوذ بالله من هذا الحرمان، فطهِّر قلبك من كره المسلمين، واطهر يدك ولسان من أذية المؤمنين، وأبشر بالجنة من أبوابها الثمانية، اللهم افتح لنا أبواب الجنة الثمانية، يا رب العالمين.

(١٠) بقية أبواب الجنة والنار:

أبواب الجنة ثمانية؛ باب الصلاة، والصدقة، والصيام، والجهاد، وبقيت أربعة أبواب، الباب الخامس بحثت عنه حتى وجدته في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، تعلمون ما هو ؟ باب الوالد، قال صلى الله عليه وسلم: "الوالد أوسط أبواب الجنة"، فليبشر البارين بأمهاتهم وآبائهم، هل علموا الباب الذي سيدعون منه؟ إنه باب الوالد، وأوسط، لعل نبينا يقصد أنه يكون في وسط أبواب الجنة المتجاورة؛ فاتجهوا له مباشرة، أو لعله يقصد أنه أفضل هذه الأبواب وأحسنها، فالتعرف عليه سهل، والباب السادس ما زالت ابحث عنه حتى وجدته والحمد لله؛ إنه الباب الأيمن، هكذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم، يدخل منه الذين يدخلون الجنة بغير حساب، أولئك الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، أقوام حققوا توحيدهم وعلقوا توكلهم وخوفهم ورجاءهم بالله، فما استعانوا بغيره سبحانه، وهذا الباب خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وبقية الأبواب ستشاركهم فيها الأمم، ها قاربت الأبواب تنتهي، هل عرفت من أيّ بابٍ – يا ترى – سينادى باسمك لتدخل يوم القيامة ؟ .

والباب السابع تعبت وأنا أبحث عنه، وأخيرًا وجدته، يقول صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على باب من أبواب الجنة، وفي رواية: على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله"، لعله باب الذكر، وخصوصًا ذكر لا حول ولا قوة إلا بالله، فأكثر منه، والباب الثامن على كثرة ما بحثت عنه، لكني لم أجده إلا الآن، ولعل الله أخفاه عنا لنجتهد في سائر الأعمال الصالحة، فاجتهدوا في الصالحات، كان أبو بكر الصديق يسمع لأسماء أبواب الجنة، فقال: يا رسول الله، هل يدخل أحد من هذه أبواب جميعها؟، انظر ماذا يريد الصديق؟؛ أن ينادى اسمه من كل الأبواب؛ لأنه تميز فيها كلها؛ في الصدقة في الصيام في الجهاد في الصلاة .. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر"، همة عليها، ونحن – يا ترى – تحسب أنك إن دخلت الجنة من أيّ باب سينادى باسمك فلان ابن فلان! .

وأهل النار في النار والعياذ بالله، قد أغلقت أبوابها السبعة عليهم إغلاقا محكمًا، ويئسوا من الخروج منها، وحتى يزداد عليهم العذاب يصيبهم الله باليأس بطريقة أخرى؛ ينادون خزنة جهنم، ينادون مالك، ينادون الله سبحانه (أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون)، وخزنة النار هم الذين يقومون على أبوابها، ويقومون على تعذيب أهلها، رئيسهم اسمه مالك، ينادون كما حكى الله في القرآن: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}، فبأيّ شيء يرد عليهم: (قال إنكم ماكثون)، أنى لكم الخروج من النار، ما زال المكث طويلاً أو مؤبدًا، ومالك هذا رآه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الإسراء، فقال: "إني رأيت مالك خازن النار"، لكن لما رآه كان في صورة عجيبة، كيف هو شكل مالك ؟ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "ثم انطلقنا فرأيت رجلاً أكره ما يكون مرّأى، ما أنت راءٍ أكره مرءاً منه، وهو يسعى على النار ويحشّها؛ يوقدها، قلت" من هذا؟ قال: انطلق انطلق، ثم قال: ذاك الرجل الذي رأيته أكره ما يكون مرأى، يسعى حول النار ويحشّها هو مالك خازن النار".

وكذا بقية أوصاف خزنة جهنم؛ أوصاف مرعبة، خوّف الله بها من تجرأ على معصيته، وترك طاعته، اسمهم الزبانية، ووصفهم:{عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ}؛ غلظة في الوجه، غلظة في الكلام، غلظة في السوق، غلظة في التعذيب، هذا وصف خزنة النار، أما عددهم فقد تتعجب إذا علمت أن عددهم ليس كثيراً كم تظن! عددهم: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، حتى إن العدد هذا صار فتنة للكفار، {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}، يقول أبو جهل: يا قريش، ما يستطيع كل عشرة منكم على واحد منهم، فقال ربي: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} هؤلاء ملائكة خصّصهم الله تعالى في احترافية التعذيب للمجرمين، قوة شدة غلظة لا يعلمها إلا الله

سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من عذاب جهنم وما فيها، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم؛ إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقراً ومقاما.

أخوة الإيمان، ألا أدلكم على عمل يسير، يجعلنا ندعى بأسمائنا من جميع أبواب الجنة، عمل يمكنك من أن تدخل من أيّ بابٍ تحب من أبواب الجنة الثمانية، ما هو أخبرنا عنه سريعًا، احرص على عملين:

العمل الأول: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ – أو فيسبغ – الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"، أخرجه مسلم.

إذًا احرص عليها؛ وضوء تعلّمه على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم توضأ به دائمًا، واحرص بعده على كلمة التوحيد أن تخرج صادقة من قلبك، وأبشر بالجنة من أبوابها الثمانية، كما وعدك رسولنا عليه الصلاة والسلام .

والعمل الثاني: أن تفقد أحد أولادك أو تفقدين إحدى بناتك، فتصبرون على ذلك رضًا بقضاء الله وقدره، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تأتي [غداً] إلى بابٍ مِنْ أبْوابِ الجَنَّةِ إلا وَجَدْتَهُ قد سَبَقك إليه يَفْتَحهُ لك؟ "، اللهم بلغنا رضاك والجنة .

(١١) **درجات الجنة ودركات النار:**

والجنة درجات، وأنت في أيّ درجة؟، قال ربي: (ولكلٍ درجاتٌ مما علموا)، أنت في أيّ درجة؟ لما ذكر الله تعالى الدرجات العالية، قال عن عيونها: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، ولما ذكر الدرجات التي دونها، قال: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، وقال عن عيونها: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}؛ يعني فوّارتان، ما قال: تجريان، لما ذكر سبحانه وتعالى طعام الدرجات العلى: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}، وفي الثانية، قال: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}؛ عدّدها ما عمّمها مثل الأولى، ولما جاء ذكر نساء الدرجات العلى، قال ربي: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، وفي الأخريين قال: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} وكل ما في الجنة حسن، لكن ليس كل حسن يبلغ حسن الياقوت والمرجان، فالجنة في نعيمها تختلف؛ الطعام درجات، النساء درجات، اللباس درجات، القصور درجات، الماء درجات؛ حتى الشرب درجات؛ هناك من يشرب ما مزاجه من تسنيم، هؤلاء المقربون، وآخرون مما مزاجهم كافور، هؤلاء هم الأبرار، درجات بحسب العمل الصالح، تأمل من النعيم، "جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما"، جنة جدرانها فضة، أعمدتها فضة، أبوابها فضة، فرشها فضة،

آنيتها فضة، آباريقها فضة، كل شي فيها فضي، وجنة أخرى تدخلها تختلف؛ أبوابها وجدرانها وآنيتها وما فيها كله من الذهب، الله أكبر، وأنت في أيّ درجة؟ .

إنها الجنة؛ جنة النعيم، ما أجمل هذا الاسم، ومن أسمائها دار الخلود، جنة عدن؛ يعني جنة إقامة، يقيم أهلها فيها، دار السلام، جنات المأوى، مقعد صدق، مقام أمين، أسماء كثيرة للجنة، كلها تدل على ما في الجنة من نعيم وخير وحسن إقامة؛ اللهم فأعظم لنا الأجر، وبلغنا جنتك يوم الحشر.

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}، أما النار – والعياذ بالله – فأسماؤها تدل على التعذيب والتحطيم، وبعد القعر وتجهم الوجوه، وتأمل أسماء النار السبعة: جهنم، سقر، والجحيم، ولظى، والسعير؛ لأنها تسعّر وتوقد؛ أسماء مخيفة، والحطمة لأنها تحطّم كل شيء، لا تبقي ولا تذر، والهاوية لبعد قعرها نعوذ بالله من النار.

ثم النار دركات بعضها أسفل من بعض، والناس فيها على أصناف، من أهل النار من تبلغ النار إلى كعبيه، ومنهم من تبلغ النار إلى ركبتيه، ومنهم من تبلغ النار إلى حجزته، ومنهم من تبلغ النار إلى ترقوته، ومنهم من تبلغ النار إلى عنقه، ومنهم من هم فوق ذلك، وأنا أعلم من الذين سيكونون في آخر دركة من النار، أخبرنا بذلك ربنا سبحانه، قال ربي: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا)، نعوذ بالله من حال من كفر من منافقي هذه الأمة، سيكونون في دركة أسفل من دركات الكفار الأصليين، ذاك الذي يتظاهر بأنه من أمة الإسلام، وهو يطعن في دينها، ويسر ويبطن الكيد لها .

وللنار حجاب من هتكه دخلها، وللجنة حجاب من هتكه دخلها، أيّ حجاب، هل أنا أعرفه أم لا ؟ أحسبك تعرفه، في صحيح مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"، فهما محجوبتان بهما، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فكن على بيّنة، وخذ حذرك .

أخي الكريم، كيف ترفع درجاتك في الجنة، إذا أردت أن ترتفع درجة في الجنة: فاسجد لله سجدة، أو سدّ فرجة في الصف، أو تشاك شوكة فتصبر ترفعك في الجنة درجة، فإن أردت أكثر من ذلك؛ عشر درجات، فقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شي قدير عشر مرات بعد صلاة الفجر، أو عمل أسهل من ذلك: صلِّ صلاة واحدة على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم تُرفع عشر درجات، تريد مائة درجة، أعدّ الله في الجنة مائة درجة للذين يجاهدون في سبيل الله، مائة درجة في الجنة، فإن أردت أكثر وأكثر فاسمع: لك بكل آية تحفظها وتقرأها يوم القيامة أن ترتفع درجة، فأكثر من حفظ آيات القرآن الكريم، احرص

على تحفيظ أولادك القرآن فترفع درجتك في الجنة، فتقول: يا ربِ، بأيّ شيء هذا ؟، فيقول الله: "بأخذ ولدك القرآن"، اسعَ في دعم حلقات تحفيظ القرآن في أيّ مكانٍ في العالم لترتفع أكثر وأكثر، فالدّال على الخير كفاعله، واحرص أيضًا على حسن الخلق، حسِّن خلقك مع أهلك، وجارك، وصاحبك، وسائر الناس، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"، وفقنا الله وإياك للدرجات العالية في الجنة .

(١٢) طعام أهل الجنة وأهل النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، أول ما يدخل أهل الجنة الجنة لهم طعام خاص بهم؛ تحفة أهل الجنة، أول شي يُقدّم قبل الوجبة الدسمة، وهي وجبة من المأكولات البحرية، واليوم المأكولات البحرية من أغلى المأكولات، ولحم السمك لحم طريٌ يذوب في فمك، فأيّ نوع نادر يقدم إليهم، إنها (زيادة كبد الحوت)، أرأيت الحوت، اترك الحوت وركز على كبده، ياه، أرأيت الكبد اتركها، وركز على الزيادة التي عليها، صغير ونادر لكنه في الجنة سيقدم للكثير من الناس، جعلني الله وإياك منهم، وبعد ذلك تأتي الوجبة الدسمة، وينحر لهم الثور الذي يأكل من أطراف الجنة، ثور من يوم خُلق وهو يأكل من ثمار الجنة ومن شجرها، يا الله كيف سيكون طعمه ! نسأل الله أن لا يحرمنا من نعيم الجنة .

وإذا دخلت أخي الجنة ذقتَ من الصنف الثالث من مأكولاتها الشهية، ذكره ربي سبحانه: {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ}، لو جربت في الدنيا لحم الطير لوجدته سرعان ما يذوب في فمك، ما ألذه، لكن المشكلة أنه قليل، لا يُشبع منه، فإذا جئت في الجنة وجدته كما أخبرك رسولنا صلى الله عليه وسلم: (إن أعناقها يوم القيامة كأعناق الجزر)، والجزر النوق الكبيرة، وهذا عنق الطير فقط، ويذوب في الفم، قال عمر: يا رسول الله، إنها لناعمة، قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (آكلها أنعم منها) .

ونستجير بالله من طعام أهل النار، وفي النار أربعة أصناف رئيسية من الطعام، ذُكرت في القرآن، الأول الضريع، يقول الله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} هذا الطعام الأول، والضريع الموجود في الدنيا مما تعرفه العرب ثمرة شوك يابسة، تأمل – بالله عليك – الثمرة لو كانت يابسة ما أكلْتها، فما بالك إذا كانت ذات شوك، وإذا يبست هذه الشجرة صارت سماً للدواب، ما تأتي الناقة العظيمة وتأكل من هذه الشجرة إلا وتموت، فهو طعام شكله مرعب، وأكله مؤلم، وفي جوفه سُم، ثمرة شوكيّة سميّة ناريّة، وتتعجب أن أهل النار يأكلونها، من شدة الجوع الذي يعذبهم الله به يوم القيامة، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم.

ولك أن تتأمل إنسان يأكل هذه الثمرة ما الذي سيحدث له؟ بالضبط كما توقعتَ، أول ما يأكلها ستنشب في حلقه، يقول ربي: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} يغص من الشجرة وقد علقت في حلقه، تنشب في هذا المكان الحساس جداً، الواحد منها بمجرد ما يصيبه شيء من البكتيريا في هذا الموضع يلتهب حلقه، وترتفع درجة حرارته، فما بالك وقد تمكنت هذه الشجرة الشوكيّة السمّية الناريّة في حلقه والعياذ بالله، أيّ ألم سيتألم، فيستغيث ويصرخ يريد ماء، ماء يطفئ به هذه النار التي في حلقه، فهل في النار ماء؟، أجل فيها ماء، وهل يغاث أجل يغاث، لكن بأيّ شيء، (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه)، والعياذ بالله .

أخي المبارك هل تريد أن تزداد من ضيافة الجنة، ومن تحفة طعامها اسمع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح"، رواه البخاري ومسلم وغيرهما، أكثِر من الذهاب للمساجد، وستجد طيب ضيافة الله من أطيب النزل يوم القيامة .

وإن أردت رزقًا أكثر وأكثر في الدنيا والآخرة فاحرص معي على هذا العمل: يقول النبيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال:"قال نوحٌ لابنِه: إنِّي مُوصيكَ بِوَصِيَّةٍ وقاصِرُها لِكَيْ لا تنساها؛ أوصيكَ باثْنَتين، وأَنهاك عنِ اثْنَتينِ: أمَّا اللَّتانِ أوصيكَ بِهما؛ فيَستبشرُ اللهُ بهما وصالحُ خَلقهِ، وهما يُكْثِرانِ الوُلُوجَ عَلى اللهِ: أوصيك بـ (لا إله إلا الله)، فإنَّ السمواتِ والأرضَ لوْ كانتا حَلقةً قَصَمَتْهُما، ولو كانتا في كِفَّةٍ وَزَنَتْهُما.وأُوصيك بِـ (سبحانَ اللهِ وبحمدِه)؛ فإنَّهما صلاةُ الخَلقِ، وبهما يُرْزقُ الخلقُ، {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}، وأمَّا اللَّتانِ أَنهاكَ عنهما؛ فيحتجِبُ الله منهما وصالحُ خَلْقِهِ: أَنْهاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالكِبْرِ"، رواه النسائي.

فاحرص على كثرة التسبيح (سبحان الله وبحمده) يكثر بها رزقك في الدنيا والآخرة .

(١٣) شجرة الجنة وشجرة النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، إذا دخلت الجنة ائتِ شجرة اسمها طوبى، احفظ اسمها طوبى، فإن سألتني كيف أعرفها ؟ دللتك على علامة واضحة إذا رأيتها عرفت شجرة طوبى، أخبرنا عنها نبينا صلى الله عليه وسلم، هذه الشجرة ساقها مسيرة مائة عام، انظر لو سرنا قدر شهر بالإبل لقطعنا مسافة ما بين مكة وبيت المقدس، هذه مسيرة مائة عام، وليست بسير الإبل بل في الصحيحين يقول عليه الصلاة والسلام: "يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها"، شجرة ضخمة جداً إذا دخلت الجنة اذهب إليها .

لكن لماذا تريد مني أن أذهب إليها؟ يخبرك عن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم: قال: "طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها"، لم أفهم، اسمع: جاء رجل إلى نبينا عليه الصلاة والسلام كما عند الإمام أحمد، فسأله هذا السؤال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة خلقاً تخلق، أمن نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ومم تضحكون، من جاهل سأل عالماً؟"، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم قال: "أين السائل عن ثياب الجنة؟"، قال: ها هو ذا، يا رسول الله، قال: "لا، بل تشقق عنها ثمر الجنة، ثلاث مرار"، إذا أردت أن تلبس ملابس، لا تتعب في البحث عن أفضل التشكيلات، والموضات والماركات؛ كما في الدنيا، بل اذهب إلى شجرة طوبى، واختر منها ما تحب، وترغب بحسب ذوقك، اللهم اجمعنا تحتها يا رحمن .

أما النار ففيها شجرة، في النار شجرة! نعم وتنبت في أصلها، النار تأكل الأشجار، وهذه الشجرة تنبت فيها، جعلها الله فتنة للذين لا يصدقون كلام الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، تخرج شجرة من أصل النار، ترتفع سيقانها، ثم تمتد فروعها في جميع أرجاء النار، أصلها من قعر الجحيم وفروعها في كل نواحي النار العظيمة، قال ربي: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ}، لكنها شجرة اسمها مرعب شجرة الزقوم، اسمها فقط مخيف، فما بالك بشكلها،{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} شكلها مخيف جداً، العادة أن الأشجار منظرها مبهج، وخصوصًا الأزهار والثمار، أما هذه إذا رأيت ثمرها كأنك رأيتَ رأس شيطان، لو رأى أحدنا شيطانًا لهرب وفزع أو أغمي عليه، اللهم سلم، فإذا كان اسمها وشكلها مخيفين جدًا، فأسأل الله أن لا يذيقك طعمها؛ لأن طعمها خبيث جداً، ولن تنبت من أصل الجحيم إلا شجرة خبيثة، أراد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقرّب لنا طعم الزقوم، فقال عليه الصلاة والسلام كما عند الترمذي بسند جيد: (لو أن قطرة من الزقّوم قطرت على أهل الدنيا لأفسدت عليهم معايشهم)، قطرة واحدة تفسد وتنتن كل الطعام الذي في الدنيا، أعوذ بالله، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (فكيف بمن هي طعامهم)!

والأفضع أنهم يأكلونها مع هذا المنظر المخيف ومع هذا الطعم الخبيث؛ من شدة الجوع الذي يعذبهم الله به، يأكلونها قال الله: {لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ}، لا يأكل مثل الميتة للضرورة، بل يأكل منها حتى يملأ بطنه، فإذا وصل الزقوم بطنه، اسمع ماذا يحدث: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ} تغلي بطنه كما يغلي الزيت الحار، يا الله سلمنا؛ يعني ضريع وناشب في الحلق، وحميم ومقطّع الأمعاء، وزقّوم يغلي في البطون؛ حتى يذيقهم ربك عذابه، نسأل الله السلامة.

نعوذ بالله من شجرة أهل النار، ونسأل الله من كرمه ومن شجر أهل الجنة ، أتريد أن تكثر من غرس أشجارك في الجنة، إذًا اسمع: اعلم أولاً أن جبريل يُسلّم عليك، من الذي أخبرك أن جبريل يسلم عليّ!، أخبرني النبي صلى الله عليهم وسلم، روى الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقيتُ إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

وإن أردت أن تغرس نخلاً في الجنة فلِغرس النخل ذكر مخصوص، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة"، رواه الترمذي.

وإن أردت أن تبلغ شجرة طوبى فكن مفتاحًا للخير ومغلاقًا للشر، وفقنا الله جميعا لذلك .

(١٤) شراب أهل الجنة وأهل النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، تأمل شرابًا واحدًا من شراب أهل الجنة، إنه الخمر، هذا الشراب الذي يتقزز منه أهل العقول لمضرته، كيف سيكون في الدنيا!، وإذا كان هذا الذي سنذكره حال الخمرة، فكيف سيكون طعم العسل واللبن وغيرها من طيبات الدنيا، خمر الجنة لا ضرر فيها البتة، لا تصدع الرأس، ولا تذهب العقول، ولا توجع البطون ولا تمرض الأبدان أبدًا، يقول الله سبحانه وتعالى:{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}، أصفى ما تكون، ما فيها إلا اللذة والانتشاء والمتعة، كان من عادة العرب في جاهليتها أن يبحثوا عن الخمر المعتقة التي لم تختلط بشيء، ولم يُغيّر طعمها شيء، ثم يختمون عليها بخاتم من طين حتى لا يخالطها الهواء؛ حتى إذا شربوا وجدوا ما يريدونه من قمة الكيف، والجنة خمرها مختومة، لكن ليست بطين، {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ}، الرحيق هي الخمر، مختومة بخاتم مسك، وإذا انتهى من شربها انبعثت من فمه رائحة المسك المنعشة، وكان من حب الجاهليين للخمر أن يشربوها على نكهات؛ يمزجها بفلفل حارق مثلاً، وفي الجنة الخمر على نكهات؛ خمر بنكهة الزنجبيل، تجد له لذعة: {كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا}، وأخرى بنكهة الكافور، {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}، فيه برودة ورائحة حسنة، وكانت العرب تأتي بالكافور من الصين فأنى لهم أن يعتّقوا به خمرهم، والله يحدثهم بما يعرفونه، وإلا فالجنة أعظم، وثالثة للمقربين بنكهة التسنيم، {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، والله أعلم كيف ستكون حلاوة طعمه!.

ثم عادة المترفين – خصوصاً الذين يشربون الخمر – أنهم يجلسون على الأرائك، ويدور عليهم الخدم يسقونهم، وأنت في الجنة يعطيك الله مثل هذا وأعظم من هذا، تجلس على الأرائك، ومعك القدح ويأتون يسقونك، خدم خصّصهم الله في أن تسقيك الخمر فقط، يقول الله عز وجل: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ

وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} الكأس يعني الخمر، فيخدمك ولدان خفيفو حركة، سريعون في التنقّل، ولا يتحرج أحد من دخولهم، خالدون في الصغر، من صغرهم عُلّقت الخلدة؛ وهي الأقراط في آذانهم، {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}، لؤلؤا من جمالهم، ومنثورًا من شدة انتشارهم في خدمة أهليهم، لكن الأكواب التي معهم غريبة أيضاً، {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ} القوارير تكون من زجاج شفاف، فكيف شفافة ومن فضة، ما رأيناها في الدنيا، فضة شفافة ترى ما بداخلها، والعرب تتمدح إذا كانت الكأس شفافة وترى صفائها، والعجيبة الثانية: {قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}؛ يصب لك الذي يسقيك الشراب على قدر مزاجك وكيفك، أحياناً في الدنيا ينقّص عليك الشراب؛ فتشرب ولك نفس أن تكمل، وأحياناً يزيد عليك الشراب فتشرب وأنت ما عندك مزاج تكمل، أما هؤلاء فمتخصصون في السقي، يعرف أحدهم كيفك، ويصب لك على قدره، اللهم إنا نسألك من فضلك.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أما شراب أهل النار فمقزز جدًا، ومما يشربون الغسلين: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} الغسلين، ويقال له: الغسّاق، نعوذ بالله من هذه الوجبة التي يُضيّف بها أهل النار، أتدري ما الغسلين والغساق؟ أرأيت ما يسيل من أجساد أهل النار؛ من قيح وصديد وجلود محترقة متفحمة، يُخلط لهم هذا مع القيح الذي يسيل من فروج الزواني والزناة في وجبة، وتقدّم لهم، أيّ نتانة منظر هذه؟ أيّ خبث ريح؟ أيّ كراهة مطعم؟ إنها وجبة عصارة أهل النار، عصارة بعضهم على بعض، ثم يُأكل هذا، والعياذ بالله، نعوذ بالله من عذاب النار،{يتجرعه} أي: يتغصصه ويتكرهه، يشربه قهرًا وقسرًا، لا يضعه في فيه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: {ولهم مقامع من حديد}، {ولا يكاد يسيغه} أي: يبلعه؛ لسوء لونه وطعمه وريحه، وحرارته أو برده الذي لا يستطاع، {ويأتيه الموت من كل مكان} أي: يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه، من كل عظم، وعرق، وعصب، قال عكرمة: حتى من أطراف شعره، {ومن ورائه عذاب غليظ}، وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ، أي: مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر.

وقيل: الغساق عين في جهنم، يسيل إليها حمة وسم كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك، فيستنقع، فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه، ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه.

ثم الغساق والغسلين على نكهات مختلفة، ودرجات متعددة، حسب الخلطة التي تُخلط، {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}، في كل مرة يلاقي طعم أقذر وريح أنتن والعياذ بالله، اللهم وعافنا فيمن عافيت، اللهم اهدنا فيمن هديت، وتولنا فيمن توليت.

أخي المبارك، إن أردت أن يقيك الله من شرب عصارة أهل النار فتجنب الكبر، لا تتكبر على الضعفاء والفقراء ولا على أحد من الناس، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار؛ طينة الخبال"، أخرجه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو.

وإن أردت أن تشرب من خمر الجنة تجنب خمر الدنيا، وتجنب مسكراتها المذهبة للعقل؛ الذي شرفك الله به، واسمع ما لك إن فعلت ذلك: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من شرب الخمر في الدنيا فمات، وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها في الآخرة"، متفق عليه.

جمعنا الله وإياكم في جنته، وسقانا من كافورها وسلسبيلها وتسنيمها وخمرها، وما أعدّه لعباده المتقين فيها.

(١٥) أنهار الجنة وحميم النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، تعرف على الجنة قبل أن يكرمك الله بدخولها، ومما أعدّه الله سبحانه وتعالى من طيب الشراب اللذيذ ما ستجده في الجنة من أنهار، ومن عجيب الجنة أنها تجري من تحتها الأنهار، بساتين وقصور وتجري تحتها الأنهار، ولك أن تتأمل في الجنة نهرًا يجري من خمر لذة للشاربين، ونهرًا ثانيًا من عسل مصفى، صافي على أعلى درجة، هل رأيت ثريّا في الدنيا لأجل أنه ثريّ أجرى في حديقته نهرًا من عسل، العسل الصافي من غلائه يباع في دنيا الناس بالأواقي، ما أحلى طعمه في الفم، اللهم اشبعنا منه، والنهر الثالث من لبن لم يتغير طعمه، ما أشدّ بركة اللبن الذي لا يتغير مهما مكث، ولا يتعفن، كان رسول عليه الصلاة والسلام إذا رُزق طعاماً، قال: "اللهم بارك لنا فيه، وارزقنا خيراً منه، إلا اللبن، يقول: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه"، أين تجد طعامًا أبرك من اللبن، مبارك وبارد، ومغذي وطازج، والنهر الرابع من ماء غير آسن، والماء في الدنيا على درجات، قنقينة ماء غالية الثمن تباع في بعض المجمعات التجارية الكبيرة؛ لأنه من عيون جبال كذا، لكن ماء الجنة أرق منه وأعذب، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَنْهارُ الجنَّة تخرُج مِنْ تحتِ تلالِ -أو مِنْ تحتِ جبالِ- المسْكِ"، رواه ابن حبان في "صحيحه".

وعجيب أنهار الجنة أنها ما تجري في أخاديد تحفرها في الجنة، بل تُسكب على أرضها وتجري، {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ}، تمشي بدون أخاديد؛ ماء واقف في حوافه، ويجري في الجنة؛ وكم في الجنة من المفاجآت السارة التي ستسر الناظرين.

ومن أين تخرج هذه الأنهار، تدري من أين تنبع؟، من بحار الجنة، وهل في الجنة بحار، يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (بحر من عسل، وبحر من خمر، وبحر من ماء، وبحر من لبن، ومنه تتشقق الأنهار)، إذاً في الجنة بحار، ولعها تحت جبال المسك، فهنيئاً لمن كان على ضفاف هذه البحار، وهنيئاً لمن ينغمس في هذه البحار، اللهم منّ علينا بفضلك، وعاملنا بكرمك، وأدخلنا الجنة برحمتك .

{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، أما أهل النار فلهم ماء، ماء أعدّه الله لأهل النار، اسمه المهل، والمهل هو عكر الزيت شديد الحرارة، والزيت – أيها الأخوة – إذا اشتدت حرارته، يتناثر ويتقاذف ما يتماسك، وهذا ماء يأتيهم كهيئة الزيت شديد الحرارة، يتناثر عليهم من شدة حرارته، يقول الله سبحانه: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ}، وقد خصص الله تعالى هذا المهل في تعذيب أشرف جزء من جسم الإنسان، إنه الوجه، وجهك الذي تعتني بجماله ونعومته أكثر من غيره، وجهك الذي فيه أهم حواسك وأعضاء جسمك، أتدري ما الذي يحدث للوجه، أول ما يُقرّب المهل إلى وجهه ليشرب، في الحديث الصحيح قال: (فتسقط فروة وجهه فيه)، ما الذي أسقط فروة وجهه، ليس المهل، بل شدة الحرارة المنبعثة منه، هو إلى الآن لم يشرب منه بعد، مجرد أنه قرّب من وجهه!، فقل لي بربك كيف إذا شرب ؟ أعوذ بالله .

ومن أنواع من التعذيب للوجه؛ هذا المكان الحساس، أشرف ما في الإنسان، عذاب اللفح: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ} تأتي النار إلى وجهه ثم تلفحه، ثم تأتي إلى وجهه ثم تلفحه، والعياذ بالله، ومن أنواع تعذيب الوجوه في النار يقول الله سبحانه: {أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، تأمله، وهو مكلل بيده، مقيد برجليه، مغل في عنقه، ويبدأ – والعياذ بالله – يدفع النار عن نفسه بوجهه بدلاً أن يدفعها عن وجهه بيده!، ومن الأنواع عذاب التقليب، ومن باب التقريب؛ أرأيت السمك لما تضعه في الزيت المغلي، ثم تبدأ تقلبه بطنًا لظهر، وظهرًا لبطن، أعوذ بالله، وذاك أفظع منه، {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ}، يقلب هذا الوجه في النار؛ فكم سيتألم الإنسان في عينه وفي أنفه وفي أذنه، ومما تُعذب به وجوه الظالمين أن يؤتى به، ويُلقى في النار على وجهه؛ {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ}، ومعنى كبكبوا فيها، قال بعض المفسرين: يؤخذ بوجهه، ويرمى فيها مرة بعد مرة، ومرة بعد مرة، وعذاب السحب :{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}، تخيل رجلاً يُسحب في النار على وجهه، تارة يمر على كذا، وتارة على غيره من العذاب، {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ

يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} قال قتادة: مرة يُسحب في الحميم، ومرة يُسحب في النار، نسأل الله السلامة، وهل هذا الماء يطفئ النار؟ لا، بل يزيدها اشتعالاً؛ جزاءً وفاقًا.

{قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}، أخي الكريم، إن أردت أن تغسل وجهك وجوارحك من المعاصي، وأردت أن تغتسل في أنهار الجنة؛ فاغسل وجهك وجوارحك بماء في هذه الدنيا، أتدري ما هو؟، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا توضأ العبد المسلم – أو المؤمن – فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة، نظر إليها بعينيه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء –، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء –، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء – حتى يخرج نقيًا من الذنوب".

إنه ماء الوضوء، حافظ على الوضوء، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، كن دائمًا على طهارة، فإذا توضأت فقل: اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين .

(١٦) كوثر الجنة وجمر النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، إن دخلت الجنة فابحث عن أفضل نهرٍ فيها، ما اسم أفضل نهر في الجنة؟ اسمه الكوثر، هو خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام، وسيشرب منه المؤمنون يوم القيامة، لما أراد الله أن يكرمك رسولك صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكرمه بهذا النهر: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله لرسولنا عليه الصلاة والسلام، ويتفجر هذا النهر من تحت العرش، والعجيب أنه يمتد إلى العرصات خارج الجنة، ويمد حوض الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فإن سألتني كيف أعرف نهر الكوثر من بين أنهار الجنة الأخرى؟، فالجواب: لهذا النهر مواصفات عجيبة، ليست لبقية الأنهار، يتميز هذا النهر عن سائر أنهار الجنة، بقية الأنهار تجري بدون أخدود، لا يحدُّ ماءها شيء، أما الكوثر ستراه يجري بدون أخدود، لكن حافّتاه من قباب الدُّر المجوّف، وفي رواية: من قباب لؤلؤ مصفوف بعضه إلى بعض، وماؤه يرشح من على يمينها ومن على يسارها، هذا هو نهر الكوثر، اِطعم منه، فمن شرب شربة واحدة منه لم يظمأ بعدها قط، ولما تغرف منه ستتفاجأ أنه ليس كلون الماء العادي، بل هو أبيض من اللبن، ماء لكنه ملون، أبيض صافي، وطعمه أحلى من العسل، وجاء في بعض الروايات: وأبرد من الثلج، بارد على حلاوة طعم، على لون يفتح النفس، يسيل على قباب لؤلؤ، وإذا ضربت تربته وأخذت من طينته؛ كما أخذ الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أُدخل الجنة، فوجد أن طينته المسك الأذفر، فريحه مسك،

وطعمه عسل، ولونه لبني، وبارد كالثلج، وشربة واحدة ولا تظمأ بعدها قط، اللهم اسقنا من الكوثر، وفيه طيور أعناقها كأعناق الجزر"، فقال عمر: إنها لناعمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آكلها أنعم منها".

وهناك نهر سادس في الجنة اسمه بارق، جاء في الحديث الصحيح أن نهر بارق على باب الجنة، لكنه خاص فقط بالشهداء، الشهداء على نهر بارق على باب الجنة، على قبة خضراء يأتيهم رزقهم بكرة وعشيًا، فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، ويحسن خاتمتنا.

وليس لأهل النار والعياذ بالله إلا قبيح الطعام والشراب، نسأل الله السلامة، ومن الطعام المخصص ببعض أهل النار أنهم يأكلون من جمر النار، وهل يؤكل جمر النار، يأكله أولئك الذين أجرموا في حق الأيتام، فأكلوا أموالهم، ونهبوا حقوقهم، يقول الله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} .

تخيّل واحدًا يأكل نارًا، هذا الذي يأكل أموال اليتامى، استضعفهم لما مات أبوهم، فأخذ إرثهم، ومن سيأكل من جمر النار أولئك الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، هؤلاء ما يأكلون في بطونهم إلا النار يوم القيامة، يا الله نار تؤكل، الله مولانا والظالمين لا مولى لهم .

ومن طعامهم طينة الخبال، وهذه مخصصة للمجرمين الذين لم يتوبوا من شرب المسكرات، عهدٌ على الله أن يُسقي من تناول المسكرات من طينة الخبال؛ كما في صحيح مسلم، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال ؟، تأمل شيئًا أقذر ما يكون نتانة، وأشد ما يكون تعذيب وكراهية في النفوس، قال عليه الصلاة والسلام: (عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار)، تعصر النار لهم أجسادهم مع عرقهم وقيحهم، اسمع ماذا يقول الله سبحانه وتعالى: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ}، هذا الصديد ما يقدر يشربه من القذارة، من النتانة، من الحرارة، من الألم، ما سمعنا أن أحدًا يغص بماء، ممكن يغص الإنسان بطعام، لكن يغص بماء، هذه عجيبة، وهم كذلك يتجرعونه، ما يقدرون يبلعونه جزاءاً وفاقا؛ فنعوذ بالله من عذاب أهل النار، والله إن الإنسان يسمع هذا الكلام تتقزز نفسه، ويقشعر جلده، ويتألم فقط من السماع؛ فضلاً أن يرى أو يذوق، نسأل الله أن يحرّم أجسادنا وأجسادكم على النار.

أيها الأحبة، ما منا من أحدٍ يُزكي نفسه أنه من أهل الجنة، ما ندري أتقبل الله أحسناتنا أم لا، فإن أردنا النجاة من النار ومن النفاق في عملٍ واحد، فهاكم هذا العمل: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتب له براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق"، رواه الترمذي .

فاعقد العزم على هذا العمل حتى تدركه، لا تقدم على موعد صلاتك شيئًا، بكّر إلى المسجد، أدرك التكبير بعد تكبيرة الإمام مباشرة، لتحصل على البراءتين، وفقك الله لكل خير .

(١٧) **لباس أهل الجنة ولباس أهل النار:**

وأما أهل الجنة {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، ولباس أهل الجنة، ما لباس أهل الجنة!، يُلبسهم الله سبحانه وتعالى ملابس ناعمة رائعة، {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ}، والحرير في الجنة على نوعين، {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ}، لونه أخضر، والأخضر تسكن له النفس، نوع من سندس، والسندس هذا هو الحرير الرقيق، وهذا يكون بطانة؛ لتلامس الجسم بنعومتها ورقتها وملمسها الحسن، والنوع الثاني: الإستبرق؛ وهو حرير غليظ فخم، يكون على ظاهر الثياب؛ لتنسج خيوط الذهب على هذه الفخامة نسجًا محكمًا جميلاً؛ فتأتيك حلة خضراء، وعليها زخرفة من خيوط ذهبية، والعجيب أن السندس أصلها كلمة هندية، والإستبرق أصلها كلمة فارسية؛ فالعرب إن عرفت هذه الثياب فهي إنما تستوردها من خارج الجزيرة العربية، وكم يبحث الناس اليوم عن الماركات العالمية، وليس هناك أيّ مقارنة مع حرير الدنيا الخالص وحرير الجنة، بل ليس هناك تشابه إلا في الاسم فقط، أُوتي بحرير إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخذ الصحابة يلمسونه، ويتعجبون من لينه ونعومته، ما رأوا في حياتهم مثله، فقال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (تتعجبون من هذا، إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا)، المنديل عادة الإنسان ما يستخدمه لإزالة ما يستقذر في الدنيا، والمنديل في الجنة أفضل من هذا الحرير بكثير، فما بالك بلباس أهل الجنة !.

ومن مميزات هذا اللباس أنه لا يبلى، ولابسه شبابه لا يفنى، وكل أسبوع لهم موعدٌ للذهاب للسوق، بالتحديد في يوم الجمعة من كل أسبوع، "إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل يوم جمعة"، فكيف يشترون ثيابهم! لا يشترون شيئًا، وإنما "فتهب عليهم ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وفي ثيابهم من تربة الجنة؛ فيزدادون حسناً وجمالاً"، لا تعب ولا بحث، ولا حيرة، بل هبوب ريح الجنة؛ فإذا بملابسهم جديدة، ومناظرهم حسنة، فيرجعون إلى أهليهم فيجدونهم كذلك، ازدادوا بعدهم حسناً وجمالًا، اللهم اجعلنا من أهل الفردوس الأعلى؛ إنك يا الله سميع الدعاء، مجيب الرجاء، رب الأرض والسماء.

ولأهل النار ملابس إخوة الإيمان، لكنها لا تقيهم من شيء، بل الداهية أنها تزيدهم عذابًا، ذكر الله تعالى في سورة الحج قبل ذكره ملابس أهل الجنة ملابسَ أهل النار، اقرأ قوله تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}، فالحميم متخصص بتعذيب البطون والأمعاء، وأما هذه الثياب فتتخصص بصهر الجلود، أخي المبارك أختي الكريمة، الصهر إنما نعرف أنه

للحديد، فكيف إذا كان للجلود، ويقطّع الله لهم ثيابًا من نار، يقول إبراهيم التيمي: سبحان الذي خلق من النار ثياباً. تنكيلاً بالمجرمين، تفصّل له ثياب من نار، ثم يلبسها وهي مستعرة من النار، واللباس الثاني: {سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ}، ثيابهم من قطران، ما هو القطران؟ قال بعض المفسرين: هو النحاس المذاب، وقال بعضهم: هو الذي تُطلى به الإبل الجرباء، وأيّاً كان هذا أو هذا، فانظر لماذا أُختير هذا القطران؟ لأنه مادة سريعة الاشتعال، مادة متفجرة، شديد الالتصاق؛ فكيف يستطيع أن يتخلص منها إذا اشتعلت في ثيابه، بل إذا لبس من النار، ورائحته منتنة، فيتعذبون من كل جهة؛ في مناخرهم، في جلودهم، باحتراقهم، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة .

ووصف الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لنا عذاب المرأة النائحة؛ التي ناحت وبكت على المصيبة، التي ابتلاها الله سبحانه وتعالى بها؛ بفقد بعض أقاربها، فما صبرت، بل سخطت، قال: "تقام النائحة يوم القيامة لها سربال من قطران، ودرع من جرب"، كدرع المقاتل، ودرع المقاتل حلقاته من حديد، يحيط بجسمه إحاطة يصعب انتزاعها، ومن جرب يجرب معه الجلد، فتزداد الحكة، ليزداد الألم مع هذا الجلد المتفتت المتآكل، اللهم سلّم سلّم .

من منا لا يبحث عن لباس أهل الجنة؛ عن حريرها وسندسها وإستبرقها، وجدتُ لك عملاً توفق به لذلك، فاحرص عليه: عن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً، فكتَم عليه غَفَر الله له أربعين مَرَّةً، ومَنْ كفَّنَ مَيِّتاً كساهُ الله مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ في الجنَّةِ، ومَنْ حَفَر لِمَيِّتٍ قَبْراً، فأجَنَّهُ فيه أجْرى الله لَهُ مِنَ الأَجْرِ كأجرِ مسْكَنٍ أسْكَنُه إلى يوم القِيامَةِ".

أتريد النجاة من عذاب أهل النار ولباسهم شارك في تغسيل ميت، أتريد من سندس أو إستبرق الجنة تبرع بكفن لميت، أتريد مسكنًا في الجنة شارك في حفر قبر لميت، أو ادفع قيمة الحافر، سارع للخيرات، واجمع من الحسنات، وفقني الله وإياك للجنات .

(١٨) حلي أهل الجنة وأهل النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، ولأهل الجنة فوق اللباس الكريم حليّ، وحليّ أهل الجنة التي ذُكرت في القرآن فيما أعلم ثلاثة: الذهب والفضة ولؤلؤ: {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا}، {وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ}، فيلبس الإنسان أساور في ساعده، كيف يلبسها، قال بعض أهل العلم: تُشكل له بتشكيلات جميلة أساور فضة، ثم ذهب، ثم لؤلؤ، وقال بعض العلماء: بل الأسْورة الواحدة خُلقت بتصاميم قمة في الروعة؛ من فضة بين الذهب على اللؤلؤ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا.

وتبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ الوضوء إلى ما بعد المرافق؛ كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أغنياء أهل الدنيا الفجار يلبسون الذهب ويتختمون به، والله يوم القيامة يكرم عبده المطيع بأعظم وأجمل من ذلك .

وهل في أرجلهم حليّ؛ لأن الوضوء بلغ إليها أيضًا، الله أعلم، وليس فقط أساورهم بهذا الجمال، بل كل حليتهم كذلك، التاج على رؤوسهم مرصع بالياقوت، الياقوتة الواحدة لا تقوم لها الدنيا، أمشاط الذهب على رؤوسهم خير من الدنيا وما فيها، بل يخلق الله لك من هذه الياقوتة خيلاً فتطير بها في الجنة حيث شئت، سأل رجل النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: يا رسول الله! هل في الجنةِ من خيلٍ؟ فقال:"إنِ اللهُ أدخلكَ الجنةَ؛ فلا تشاءُ أن تُحملَ فيها على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ يطير بك في الجنةِ حيث شئتَ؛ إلا كان"، رواه الترمذي.

أخي المبارك: أيها أفضل أن تُترف في الدنيا، وتعصي الله بأناقتك وشياكتك بلبس ما حرم الله عليك، أو تتمتع بما سمعت في الجنة، اللهم إنا نسألك أن لا تعجّل لنا طيباتنا في الدنيا، اللهم اجعلها لنا في جنات النعيم.

ولأهل النار كذلك ثلاث حليّ، عافنا الله وإياكم من النار وحليّها، قال ربي: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} السلاسل والأغلال، والثالث: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا}؛ الأنكال، وهذه الثلاث بينها فرق، ليست هذه مثل هذه، كيف، إذًا اسمع: يقول الله: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ} الأغلال في الأعناق، {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ}، تغل يداه في عنقه، ثم يطوق بالأغلال إلى ذقنه، يرفع رأسه لا يستطيع خفضه من شدة التقييد، (فهم مقمحون).

والسلاسل يقول الله عز وجل: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}، السلك هو الذي يدخل في الأشياء، فتدخل السلسلة بطول سبعين ذراعًا من دبره وتخرج من فمه، وتُلف عليه؛ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أين المفر؟ لا مفرّ أبدًا، ما يقدر يحرك رقبته، ولا يقدر يحرك إصبعه، فكيف يستطيع الهروب !.

وأما الأنكال – والله أعلم – فهي القيود التي تُقيد أيديهم وتُقيد أرجلهم، تهجم عليه النار فما يستطيع دفعها عن وجهه ولا عن صدره، فكيف يتقون النار؟ يتقي النار بوجهه، يدفعها بوجهه عن جسده، اللهم سلم سلم، بدلاً من أن يدفعها بيده عن وجهه صار يفعل العكس، (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة)، نسأل الله السلامة .

ولك أن تنظر لهذا الذي ألبسه الله خير لباس؛ من تاج وحلة وزوجة، من هو يا ترى؟ إنه الشهيد، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:"إن للشهيدِ عندَ الله سبعَ خصالٍ: أن يُغفر له في أول دُفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حُلَّة الإيمان،

ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاجُ الوقار؛ الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين إنساناً من أَقاربه"، رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن، اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، وتقبلنا مع عبادك الصالحين .

(١٩) فُرش أهل الجنة وأهل النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، هل تريد أن تتعرف على فراشك في الجنة، فرش أهل الجنة ثلاثة أنواع: النوع الأول: الأسرّة، وسرر أهل الجنة كما قال ربي: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}، فإذا تمتع بزوجه أو حوريته صعدا فانغمسا في هذا السرير المرتفع، بل قال بعض أهل العلم: لا يصعده، بل ينزل له السرير فيحمله إلى جوفه، {عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ}، منسوجة بالذهب، فما أجملها، وما أجمل نقشها، وتأتيك هذه السرر على شكل الأرائك، والأريكة عادة تكون عليها قبة من ثياب، وهذه عادة المترفين المدللين في الدنيا، فيعطي الله سبحانه وتعالى أهل الجنة ما هو فوق ذلك وأعظم؛ سررًا عليها الحجال المزخرف بأنواع الأقمشة الفاخرة.

والنوع الثاني من الفرش: الوسائد التي يتكئون عليها، ويستندون إليها، وهذه سُمّيت في القرآن بالنمارق، {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}، وكذلك سماها الله الرفرف، {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ}، وسائد ومتاكي خضر، مصفوفة بطريقة هندسية بديعة جداً حتى منظرها نعيم فوق النعيم، أرأيت ما تصنع إذا جاءك ضيوف تحبهم! تهتم كثيرًا لوضعية المتاكي، وكيف تصفّها في مجلسك، وصفّ الوسائل في الجنة فيه من الجمال ما لا يتخيله ذوقك وعقلك .

والنوع الثالث: {وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} ما هي الزرابي ؟، الزرابي هي البسط الفاخرة، أهل الترف يفرش أحدهم فرشًا فخمًا، وفوق الفرش يضع قطعًا من التحف الغالية، ينثرها في المجلس، ثم إذا جلس مع نظرائه حدثهم عن تحفته هذه من أين اشتراها، والأخرى في أيّ مزاد سامها، وزايد الأثرياء حتى حصل عليها، وربك في الجنة يعطيك من البسط المبثوثة، والتحف المنسوجة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

بسط منثورة سماها الله:{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} من أنواع لا يعلمها إلا الله، أسكننا الله جنته، ورزقنا نعيمها ولذائذها .

ولا تتعجب إذا علمت أن أهل النار لهم فرش أيضًا، لكن من أيّ مادة خُلقت، يقول ربي متوعدًا من عصاه: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}، أعوذ بالله طبقات نارية من فوقهم، وطبقات أخرى من تحتهم: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} المهاد السرير، وبئس السرير والمهاد، فسريرهم من نار، والغواش اللحاف، وأغطيتهم كذلك من نار؛ أيّ راحة سيجدها بعد التعذيب والتنكيل، يضع ظهره على فراش

من نار، ويُغطى بلحاف من نار نسأل الله السلامة، (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا)، حصيرًا، قيل: إنه فراش يفرش لهم من جهنم، وقيل: بل أراد الله أنهم محاصرون في سجن جهنم، لا يرجون منه الخروج.

كان كل ما حدثتكم عنه إنما هو طعام وشراب ولباس وفرش أهل النار، فحدثني أنت كيف ستكون أنواع التعذيب والتنكيل وتحطيم الرؤوس وتهشيم العظام، اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلا أنفسنا طرفة أعين، يا رحمن.

أخي الكريم، إذا وضعت رأسك على فراشك في الدنيا، ثم استيقظت فتذكر فرش أهل الجنة، وقل هذه الكلمات المباركات، عن عبادة بنِ الصامتِ رضي الله عنه عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "مَن تعارَّ أي استيقظ من الليل فقال: (لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، لهُ الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله)، ثم قال: (اللهم اغفر لي)، أو دعا؛ استُجيب له، فإنْ توضأ ثم صلَّى؛ قُبلتْ صلاتُه".رواه البخاري.

فلا يفوتك هذا الذكر فستفوز بعده بدعوة مستجابة وصلاة مقبولة، جمعنا الله وإياكم في جنته، وأكرمنا وإياكم بطاعته .

(٢٠) صفة أهل الجنة وأهل النار:

فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة أدخلهم في خلقٍ آخر، ليس هذا الخلق بهذا الحجم الصغير، الأمر في الجنة مختلف، حتى يتنعم الإنسان غاية التنعم، يدخل الجنة على صورة أبيه آدم، وهي أجمل صورة؛ لأن أبانا آدم خلقه الله بيده، فما أجمل هذا الخلق، جرداً مرداً كأنهم متكحلون، أبناء ثلاثة وثلاثين، كلهم على سنّ واحدة، وأفضل ما يكون الإنسان في سنّ الشباب، طولهم ستون ذراعًا حتى يتلذذوا بالنعيم.

ينشئ الله سبحانه وتعالى أهل الجنة وما فيهم شيء من الآفات التي تصيب الناس في الدنيا، لدرجة أنهم لا يتمخطون ولا يبصقون ولا يتغوطون، أبدًا ليس فيهم شيء من القاذورات، ولا شيء من المنغصات أو القذر، هل ينامون ؟ قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "النوم أخ الموت، والجنة لا موت فيها"، ما ينامون، ولا يتعبون أصلاً، لا تحتاج أن تنام لترتاح، ولا أن تنام لتحلم؛ لأن كل ما تتمنى تجده أمامك حقيقة ليس خيال، ولا منام .

ويعطيهم الله من القوة "إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده، فإذا بطنه قد ضمر"، أخرجه الطبراني عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} وأما الكافر في النار والعياذ بالله، فليس خلقه كخلقه في الدنيا، بل خلق أعظم ليذوقوا العذاب، ذبح الله الموت بين الجنة والنار؛ ويُقال لأهل النار: خلود ولا موت؛ فيبكون دموعهم، فإذا انقضت بكوا الدم، من شدة الحرقة والألم، حتى لو سيّرت بدموعهم السفن لسارت، أعوذ بالله.

ولك أن تتأمل صورة الكافر في النار يوم القيامة، في صحيح مسلم يُخبرنا عليه الصلاة والسلام فيقول: "ما بين منكبي الكافر ثلاثة أيام بمسيرة الراكب المسرع"، أين سيصل الراكب المسرع بعد مشي ثلاثة أيام! وصل إلى المنكب الآخر للكافر المعذّب في النار، يُخبرنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ضرس الكافر، وضرسه في الدنيا صغير جداً، لكنه يوم القيامة سيكون له ضرس كجبل أحد، عدة كيلو مترات، هذا ضرسه، فما بالك ببقية أسنانه، ثم وجهه، وكم سيكون إذًا حجمه، اللهم سلّم سلّم .

أما جلد الكافر في النار فهذا أمر آخر، عند الترمذي أن جلد الكافر يوم القيامة اثنان وأربعون ذراعاً، انظر ذراعًا واحدة، واضربها في اثنين وأربعين، ولا تظن أن جلده السميك هذا إذا احترق انتهى، لا، بل يقول الله: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}، لماذا ؟ اسمع الله يقول: {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}؛ لأن هذا مقام الانتقام ممن تجرأ على الله، وتحدى الله، فعصى العظيم سبحانه.

ثم يُخبرنا عليه الصلاة والسلام أن مجلس الكافر في جهنم، مكانه المخصص لتعذيبه وسجنه والتنكيل به، كم يا ترى ؟ كما بين مكة والمدينة؛ أيّ أربعمائة كيلومتر تقريباً، هذا مجلس تعذيبه في جهنم، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما .

أخي الكريم أختي الكريمة، إن أردنا الخير لنا في الجنة فلنعمل اليوم في الدنيا، وأدلك على عمل يعلي مكانتك في الجنة، يا ترى هذه الليلة ستكتب مع من؟ مع القانتين أو المنقطرين، أو ستكتب مع الغافلين، أيّ عمل؛ إنه قيام الليل، عن عبد الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :"مَن قام بعشر آياتٍ لم يُكْتَبْ من الغافلين، ومَن قام بمئةِ آية كُتبَ من القانتين، ومَن قام بألف آيةٍ كُتِبَ من المقَنْطَرين"، رواه أبو داود، قال الحافظ:"مِن سورة {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} إلى آخر القرآن ألف آية".

وإن أردت شيئًا عظيمًا أيضًا فإذا قمت الليل اعمل هذا العمل اليسير؛ ما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم: "مَن استيقظ من الليل وأيقظ أهلَه، فصلَّيا ركعتين –زاد النسائي: جميعاً–؛ كُتِبا من {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ}"، فالله الله في قيام هذه الليلة .

(٢١) أزواج أهل الجنة وزبانية أهل النار:

وأما أهل الجنة {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، مشغولون، سبحان الله، يجلس أحدهم مشغولاً {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} شغل، لكن أيّ شغل، هل في الجنة شغل؟ {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} مشغول؛ يعالج نساءه وزوجاته، والزوجة الصالحة تلحق بزوجها يوم القيامة، وليس هذا فقط، بل {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}؛ بحسب المهر الذي جمعه من الأعمال الصالحة؛ حتى أن الشهيد يزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، وجاءتنا أوصاف الحور العين، ما ذكر الله لنا أوصاف نساء الدنيا، ولا شك أن المرأة المؤمنة التقيّة ستكون أجمل بكثير من الحوريّة، فكيف سيكون وصف هذه الحور! شيء بديع، سبحان الله، كأجمل ما يكون – أخي الكريم – من وصف، إذا جئت تلمس، يقول الله: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}، في قمة النعومة، وإذا جئت ترى اللون، يا الله أيّ لون؟ بيض، لكن أيّ بياض؟ كأنهن الياقوت والمرجان، الياقوتة تبرق وتلمع؛ من شدة صفائها، حتى ترى مخ ساقها من بين العظام، {كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}، مثل اللؤلؤ المكنون ما مسته الأيدي، وما أثرت فيه، ووُصفت لنا العيون؛ حور عين، وهذه صفة جمال عظيمة في العين؛ أن تكون شديدة البياض، وشديد السواد، وتكون واسعة، فهي عين واسعة، ثم تنتهي على ضيق، فحدِّث عن الرموش الساحرات، والغمزات التي تثير الأشجان، فكيف بها إذا غنت له، أم كيف بها إذا تمايلت بين يديها، يكفيك قول الله مما تحب وفوق ما تتمنى: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}، صنع ربك سبحانه، الذي أبدع كل خلق غايته، {فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا} دائمًا هي كذلك؛ لأن الجنة لا نقص فيها، بل جاء في حديث حسّنه ابن القيم أنه كلما فظّها ترجع بكراً مرة أخرى، في سنٍّ واحدة، لسانها مطهر، وجسدها من الآفات مطهر، {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}، ثم هي في قمة الحياء: {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ }؛ ما ترى غير زوجها، {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}؛ ما تخرج من خيمتها قط، وفوق هذا كله يتلذذ الرجل مع زوجه في الجنة، حتى قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "يُعطى الرجل في الجنة قوة مائة رجل في الجماع"، اللهم اشتقنا للجنة، فأكرمنا بها يا كريم .

{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وأما أهل النار فلهم الزبانية؛ إنهم الملائكة المتخصصون في تعذيب أهل النار؛ ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، متخصصون في تعذيب أهل النار بأنواع من التعذيب، لا يعلمها إلا الله، يطال التعذيب الجلود، ومن عذاب الجلود: النضج، سبحان الله، لما تضع لحم في التنور إلى أن ينضج، ولعذاب الآخرة أشق، ومن عذاب الجلود: الصهر، {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}، كيف هذا الصهر، أخبرنا عنه صلى الله عليه

وعلى آله وسلم كما عند الترمذي، فقال: "يُصب من فوق رأسه الحميم، فيخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه؛ حتى ينزلق من بين رجليه"، وهذا هو الصهر، ثم يعود كما كان، يُصهرون من الداخل، ويصهرون من الخارج، نسأل الله السلامة، والجلد مكان حساس جداً، يُعذب بأنواع من العذاب؛ بأنواع من المطارق والمقاريض جزاءاً وفاقًا ليذوقوا العذاب، وعذاب على القلوب، قال الله: {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}، وعذاب على الأمعاء، تقطّع أمعاءهم، وتندلق ويسحبها وراءه في النار، ورأى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عمرو بن لحي، وهو يسحب أقتابه معه، يجرّها في النار، يعالجون أصنافًا من العذاب، ويُقاسون الألم من الزبانية الشداد، ما بين الأنكال والجحيم، وطعامٍ ذي غصة وعذاب أليم، وزقّوم وغسلين ومطارق ومقامع من حديد، وأنواع من العذاب، وآلات للتعذيب؛ سلاسل وأغلال ومطارق، ولهم مقامع من حديد، إذا كانت المزربة التي ذكرت لنا لعذاب القبر فقط، يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "يُضرب بمزربة من حديد لو ضُرب بها جبل لصار تراباً"، الجبال العظيمة لو تُضرب بالمطرقة تصبح تراباً، قال: "فيُضرب ضربة؛ فيصير تراباً"، سبحان الله، يعود لمكوناته الأساسية؛ الإنسان خلق من تراب، ضربة واحدة، تعيده إلى مكوناته الأساسية، تعيده إلى التراب من جديد، قال: "فيصيح صيحة، لو سمع بها الجن والإنس لصعقوا"؛ ماتوا من الصيحة، فما بالك بالضربة! وهذه فقط المطرقة التي في القبر، فما بالك بالمقامع التي في النار!، شيء عظيم، شيء لا يمكن أن يُوصف من أنواع التنكيل والتعذيب والألم، فنعوذ بالله من عذاب النار، اللهم اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقراً ومقامًا.

توبة ودمعة ندم كفيلة بأنها تنقذك من النار، أتعلم أن دمعتك عند الله غالية، فلا ترقها في التوافه، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "لن يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع"، دمعتك هذه تساوي عند الله شيء كبير، يُميزك الله بها يوم القيامة من بين الخلائق، في ظله يوم لا ظل إلا ظله، لماذا؟ لأنك ذكرت الله خالياً فبكت ودمعت عيناك، وإن أردت أن تسابق لجمع مهر الحور العين، فاسمع لهذا العمل اليسير ذي الأجور العظيمة، عن أوسِ بنِ أوسٍ الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: "مَن غَسَّل يومَ الجمعة واغتَسل، وبَكَّر وابتكر، ومشى ولم يركبْ، ودنا مِن الإمام فاستمعَ، ولم يَلْغُ؛ كان له بكل خُطوة عَملُ سنةٍ، أجرُ صيامِها وقيامِها"، رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، والنسائي وابن ماجه.

فسابق إلى الجمعة والجماعات، جمعك الله بمن تحب في الدنيا والآخرة .

(٢٢) أحاديث أهل الجنة وأهل النار:

ويدخلهم الجنة عرّفها لهم، ومن جميل نعيم أهل الجنة أحاديث أهلها، يتحدثون فيما بينهم، {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، تسمع قصص قوم نوح، وقصص أقوام بعدهم، وقبلهم، وقصص تائبين، وقصص حسن خاتمة، وعلوم ومعارف، وتاريخ وأنت على الأرائك، حتى أن العلماء ليتناقشوا في مسائلهم العملية ويظهر لهم الحق كان مع من !؛ كما ذكر بعض أهل العلم، يا الله، ويقصُّ الله علينا قصة من هذه القصص التي ستسمعها في الجنة، في سورة الصافات؛ قصة تائب كاد يرديه صاحب سوء، لكنه نجا منه، {قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ . فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، يناديه، {تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}، ، ثم يلتفت لأصحابه في الجنة: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إن هذا لهو الفوز العظيم}، وفي آخر القصة هذه، يقول لك الله: {لمثل هذا فليعمل العاملون}. وينادي: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ}، أما أهل الجنة فحديثهم تسبيح لله وحمد؛ يلهمونه كما نتنفس، {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ويجيبهم ربهم: "يا أهل الجنة أتريدون شيئاً أزيدكم، أما رضيتم، فيقولون: بلى، يا ربنا قد رضينا، وكيف لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك"، فيقول الله سبحانه: "أعطيكم أعظم مما أعطيتكم، فيقولون: ربنا، وما أعظم مما أعطيتنا، فيقول الله: أُحلّ لكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا"، هذا أعظم من نعيم الجنة، رضوان الله، بعد ما ذكر الله الجنة في سورة التوبة قال الله: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}، فبينما هم كذلك "إذ يكشف الله سبحانه وتعالى حجاب النور عن وجهه، فما أُعطوا شيئاً من النعيم أعظم من النظر لوجه الله الكريم، إقرؤوا إن شئتم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}"، زيادة على الجنة أن الله يرزقك ويكرمك بأن تنظر لوجهه سبحانه؛ لأنك عملت لوجه الله، صمت لوجه الله، قمت لوجه الله، يكرمك الله يوم القيامة، فيكشف حجاب النور عن وجهه، لتنظر لوجه الله سبحانه، وهذه عقيدة ثابتة عند أهل السنة والجماعة، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}، اللهم وقفنا ببابك سائلين، ولذنا بجنابك راجين، اللهم فأعطنا ما نرجو، ونجنا مما نخاف، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة .

وأما أهل النار، فمن زقومها يأكلون، ومن حميمها يشربون، وفي جحيمها يتقلبون، يعالجون سلاسلها وأغلالها وزقومها وجحيمها، وهنا تمتلئ قلوبهم بالحسرة، يقول سبحانه وتعالى: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}،

لأحدهم من الحسرة زفير وشهيق، يدعو على نفسه بالويل والثبور، وربه يقول له: (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورًا كثيرا)، نعوذ بالله من هذا الحال .

صراخ وبكاء، وندم وعويل؛ من شدة الندم يبكون الدمع الذي يُجري السفن، ثم يبكون الدم، ندم عظيم، وتبدأ أحاديثهم تخبرك عن هذا، يرى أحدهم قرينه في الإجرام قُرن معه في سلسلة واحدة، فيتمنى بعده، بعد أن كان في الدنيا يطيعه في معصية الله، كلما جاءهم فوجٌ من أصحابهم لعنوهم، لا مرحبًا بكم، يتوسلون لكبرائهم في المعصية فيقولون لهم: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} ، فيتبرأون منهم، يقولون لهم: {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} فينكرون ذلك: {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} يعضون أيديهم من الندم، حسرة حسرة، {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}.

وينادي أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ {أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}، فيأتيهم الجواب، ولا شيء ولا قطرة، فييئسون تماماً، {قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}.

يترجون خزنة النار:{ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ}، فترد عليهم خزنة النار: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}، فيندمون أنهم لم يطيعوا أهل الطاعة والاستقامة، ينادون رئيس خزنة النار: يا مالك، قل لله يهلكنا، ويخلصنا من هذا العذاب، فيرد عليهم مالك، قيل: بعد أربعين سنة، {قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} حسرة حسرة، {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ}.

يترجون الله: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا}، {ربناَ اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا}، {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}، {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}، فيجيبهم الله، قال بعض المفسرين: مثل قدر الدنيا مرتين، بعد سنين طويلة، لكن ما الجواب؟ الجواب: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}، حسرة حسرة، {رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، {لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}، تنقطع في وجوههم السبل، وتغلق عليهم جميع الأبواب؛ عذاب الحسرة والندم من أشدّ أنواع العذاب، فكيف بعذاب جهنم، اللهم سلّمنا سلّمنا .

أخي الكريم، إن أردت النجاة من النار، والفوز بالجنة اسمع لهذا التوجيه من رسولنا صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"، لنفعل الخير، ابحث عمن ضاقت حاله لفقر، لدين، لمرض، واسع في التنفيس عنه وسينفس الله عنك عذاب الآخرة، وإن أردت الجنة

فتابع معنا هذا التوجيه النبوي: "ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده"، رواه مسلم.

ابحث عن رفقة الخير وصاحبهم في حلق القرآن والعلم والمساجد، وأبشر فأنت على طريق الجنة، والله تعالى يذكرك بخير عند ملائكته، أسعدكم الله في الدارين .

ثم احرص على الدعاء، ألح على الله: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ}، اللهم سمعنا ما وصفت به الجنة وما وصفها به رسولك صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اللهم واشتاقت نفوسنا إليها، اللهم آمنا وصدقنا وأيقنا، اللهم فلا تحرمنا جناتك جنات النعيم، اللهم اجعلنا على الأرائك متكئين، اللهم اجعلنا في نعيم الجنة متقلبين، وفي أنهارها منغمسين، اللهم يا الله برحمتك التي وسعت كل شيء، ورحمتك وعافيتك أوسع لنا، يا الله قصرت أعمالنا، وكثرت ذنوبنا، اللهم لا تخيب رجاءنا، ولا تبطل سعينا، اللهم تقبلنا على ضعفنا، تقبلنا على قلة أعمالنا، اللهم يا الله إنا نسألك غمسة في الجنة لا نشقى بعدها أبدًا، اللهم يا الله إنا نسألك شربة في الجنة لا نظمأ بعدها أبدًا، اللهم آمين .

تمّ بحمد الله وتوفيقه،،

الخطب الرمضانية للداعية في رمضان لعام ١٤٤٠هـ

خطبة : عن ماذا نبحث في رمضان ؟

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

معاشر المؤمنين، يقول رسولكم صلى الله عليه وآله وسلم: " افعلوا الخير دهركم"؛ أي طوال السنة، "وتعرضوا لنفحات رحمة الله؛ فإن لله نفحات يصيب بها من يشاء من عباده، من أصابته نفحة من نفحات الله لم يشقَ بعدها أبداً"، حديث حسّنه بعض أهل العلم، اللهم فاستر عوراتنا وآمن روعاتنا، اللهم وامنّا علينا بنفحاتك يارب العالمين، اللهم بلغنا رمضان اللهم بلغنا صيامه وقيامه، اللهم سلمنا إلى رمضان، وسلِّم لنا رمضان، وتسلّمه منا متقبلا، اللهم أهله علينا بالأمن الإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه وترضى يارب العالمين .

أخوة الإيمان، ومع قرب نفحات رمضان يبدأ السباق الى الله الملك الخلاق، والكل متجهز والكل مستعد، وينطلق السباق ويتسابقون، فإلى أيّ شيء يتسابقون؟، وعن أيّ شيء يبحثون عن ماذا نبحث؟، إذا وفقنا الله بمنه وفضله وأدركنا رمضان، عن ماذا نبحث اذا بلغنا رمضان ؟، إلى أيّ شيء نتسابق يا عباد الله؟، ألا إذا أدركتم رمضان فشدوا العزم للسباق، للبحث عن مغفرة الله الملك الخلاق، تعرضوا لنفحات الله في رمضان، ابحثوا عن مغفرة الله، وتسابقوا إليها، يقول جبريل: "يا محمد، من أدرك شهر رمضان، فمات، فلم يغفر له فأدخله الله النار، أبعده الله قل: آمين"، وامرأة من الأنصار توفاها الله، فقال المسلمون: قد استراحت من نكد الدنيا، فغضب صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: "إنما يستريح من غُفر له"، إنه السباق إلى المغفرة، أين تجد مغفرة الله في رمضان؟ ابحث عنها في رمضان وغير رمضان في الصلوات الخمس المكتوبات، فهن من أعظم الفرائض التي افترضها الله عليك، "وما تقرب عبدي إليّ بشيء أحب إليّ مما افترضه عليه"، سابق إلى المساجد، صلها في أول وقتها، احرص على أن تؤدى صلواتك المفروضات في أتمّ ركوع وفي أتم خشوع وأتم سجود، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "خمس صلوات افترضهن الله في اليوم والليلة، من أحسن وضوؤهن، وصلهن في وقتهن، وأتم ركوعهن سجودهن وخشوعهن كان له من الله

عهد ألا يعذبه"، ابحثوا عن هذا العهد، واحرصوا عليه – يا عباد الله – في صومكم لرمضان؛ صوموه، وأنتم تؤمنون بالله، وتخلصون الصيام لوجه الله، استقبلوا صيام شهر رمضان، وأنتم تحتسبون الأجر والمثوبة من الله الواحد الملك الديان، وأبشروا "من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم له من ذنبه"، رواه البخاري ومسلم، سابقوا إلى المغفرة، وابحثوا عنها في هذا الوقت، أيّ وقت؟ مع ظلمة الليل، وسكون الصوت وهدأة الرجل، إذا بقي ثلث الليل الآخر، إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه، ما الذي يحدث؟، أخبرنا يا رسول الله، ما الذي يحدث إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه، (ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)، رواه الإمام مسلم، ابحث عن مغفرة الله في هذه الساعة التي ينزل ربك فيها سبحانه وتعالى نزولاً يليق بجلاله، وينادي عباده، فأين أنت؟ يا طالب المغفرة، وأين أنت؟ يا سائل الرحمة، فكن أنت السبّاق يا عبد الله .

أيها الإخوة، إن من الناس أناسًا سيسابقون معنا إلى مغفرة الله، وهم محرمون من مغفرة الله سبحانه!، حجب الله عنهم المغفرة، أتدرون ماذا فعلوا؟، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك ومشاحن"، أناس أشركوا بالله سبحانه، ودعوا غيره، أناس أشركوا بالله سبحانه وتعالى، ولجأوا إلى السحرة والمشعوذين، يطلبون منهم جلب النفع أو دفع الضر، وآخرون بينهم وبين إخوانهم شحناء، مرت عليهم ليلة النصف من شعبان فغفر الله لجميع الناس إلا لهم، فاتقوا الله أن يدخل رمضان وأنتم كذلك، وفي قلوبنا الشحناء والبغضاء على بعضنا البعض، ألا فاستقبل رمضان بمغفرة الله، تستقبل رمضان بأن تطلب من إخوانك المسلمين السماح والمغفرة، ليغفر الله سبحانه وتعالى لك، لا يدخل عليك هذا الشهر كما دخلت عليك النصف من شعبان، مازال في قلبك شحناء وبغضاء، أو في قلوب الناس شحناء وبغضاء عليك .

أيها المؤمنون عباد الله، دعونا نتحاسب قبل أن نحاسب، من كان في قلبه شيء من ذلك على إخوانه، أو كان في قلوبهم عليه، فليستسمح منهم اليوم قبل أن يحجب من عفو الله سبحانه وتعالى ومغفرته.

إذا جاء رمضان بدأ السباق، وبعض الناس مستوفز مستعد، ينتظر ساعة الصفر، لينطلق، لكن إلى أيّ شيء يتسابق؟، وعن أيّ شيء نبحث في رمضان؟ عن نفحات دخول الجنة، تعرضوا لنفحات الله، إن أول ليلة من ليالي رمضان تفتح فيها أبواب الجنة، فما يغلق منها باب، فسابقوا وسارعوا وابحثوا عن الجنة، يا عباد الله، فقد قربتم من نفحات أبوابها، وصبي صغير من الأنصار يموت، ويُدعى صلى الله عليه وآله وسلم لشهود جنازته، فتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: هنيئاً له عصفور من عصافير الجنة، لم يفعل سوءًا ولم يدركه، وسمعها صلى الله عليه وآله وسلم، فأنكر عليها ما قالت، فقال: يا عائشة، ما يدريك ؟، أيها الإخوة، ما يدرينا أننا من أهل الجنة، وقد فعلنا من السوء ما فعلنا، لكنها أبواب الجنة عن أيام قريبة ستفتح، فسابقوا إليها، وسارعوا لها، (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)، أين تبحث عن الجنة في رمضان وفي غير رمضان ؟، اجعل لسانك يكثر من ذكر الله سبحانه، أطلق هذا اللسان ، أطلق هذا اللسان ليسابق لذكر الله تعالى، عليك بأذكار الصباح والمساء، ومن قال حين يصبح أو حين يمسي: "اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت ربي، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي؛ فأغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمات من يومه أو من ليلته دخل الجنة"، رواه الإمام أحمد .

أيها الإخوة، سابقوا إلى الجنة بحفظ هذا اللسان، احفظوا ألسنتكم أن تقع في أعراض المسلمين، فتغتبون هذا، وتكذبون على هذا، وتنشرون البهتان في وسائل التواصل الاجتماعي على الآخر، اتقوا الله سبحانه أن تقولوا كلمة من غير بيّنة، فيحبسكم الله في ردغة الخبال، اتقوا الله سبحانه، "من حفظ ما بين لحييه وما بين فخذيه دخل الجنة"، فسارعوا إلى الجنة بحفظ ألسنتكم عما حرم الله، وبإطلاق ألسنتكم فيما أمركم الله، واعلموا أن من أعظم ما تدخلون به الجنة في رمضان: أن تصوموا شهره، أن تصوم يوماً اشتد حره، أن تصوم يوماً طال وقته، أن تصوم يوماً وأنت تجد فيه من الشدة، والعمل أو الأذى ما

تجد، و"من ختم له بصيام يوم دخل الجنة"، قاله صلى الله عليه وآله وسلم، سارعوا إلى الجنة، وابحثوا عنها في رمضان، فإنكم بلغتم شهراً تفتح فيه أبواب الجنة، واعلموا أن منا أناس قد يسارعون معنا إلى الجنة، لكن الله حرّمها عليهم، ماذا فعلوا يا ترى ؟، ماذا كانوا يصنعون؟ يخبرنا عنهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: "من مات يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"، ذاك رجل ولاه الله مسؤولية فغش الناس، يا ويله من رب الناس، فقد جعل الله عليه الجنة حرام، وأيّ رعية ؟، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من أحد منكم يسترعيه الله عشرة من الولد فما فوق إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة في عنقه، أوبقه إثمه، أو أعتقه بره"، فالله الله في أولادك، الله الله في ذريتك، يا من تريد الجنة، وتسابق الناس إليها ربهم على تقوى الله، حذّرهم من معصية الله، امنعهم من أذية الخلق، انظر إلى من كان منهم صغيراً العام الماضي وها هو الآن قد بلغ؛ فأمره بالصيام وبالصلاة .

أيها المؤمنون – عباد الله –، وقربت نفحات رمضان، فسابقوا إلى العتق من النار، "ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة"، هنيئاً لمن وصل، هنيئاً لمن سبقنا، هنيئاً لمن أُعتق من ثاني ليلة، أو من ثالث ليلة، أو من أول ليلة، هنيئاً لهؤلاء عتقاء الله من النار، قالوا: يا رسول الله، إن فلانة، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتتصدق وتعتق، لكنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا خير فيها، هي من أهل النار"، الفوز أن تعتق من النار، قال تعالى: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)، فأين نذهب لنعتق من النار في رمضان؟، كيف نتسابق الناس إليه؟، أدلك أخي الكريم، فمثلك يحرص على الخير ويبحث عنه، إذا أردت العتق من النار، فأعظم ما تعتق به من النار، أن تلخص توحيدك لله الملك الغفار، تعظم الله، ولا تعظم أحدًا مع الله، وتدعو الله، ولا تدعو أحداً مع الله، وترجو ما عند الله، ولا ترجو الناس فيما عند الله، وتخاف مما عند الله، ولا تخاف من الناس في ترك معصية الله، عظّم توحيدك، لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار"، رواه البخاري، ابحث عن العتق من النار، وأنت تعتق من الرقاب لوجه الله سبحانه، "من اعتق رقبة إلا اعتقه الله من النار، حتى يعتق الله بكل عضو منها عضواً منه"، رواه البخاري ومسلم، كان بعض السلف

يجهز جارية حسناء لآخر رمضان، فيعتقها؛ لعل الله سبحانه أن يعتق منه كل عضو من النار.

ومما ترجى بركته، من جنس هذا العمل: أن تسعى في عتق المسجونين، أو تعتق من وجب عليه القصاص، فتسعى في إعتاق رقبته؛ فتكون بإذن الله ممن تعتق رقبته من النار، فعليكم بالعفو والسماحة والرحمة ألا تحبون أن يغفر الله لكم، "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"، فكونوا فمفاتيح خير مغاليق شر، إذا أردت العتق من النار، أدلك على عمل عظيم، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لئن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب من ولد اسماعيل"؛ يعني من خير الرقاب، "ولئن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة"، رواه أبو داود، إنها مجالس الذكر مع أقوام يذكرون الله سبحانه، تتنافس معهم، وتتسابق على البقاء إلى أن تطلع الشمس بعد صلاة الفجر، أو أن تغرب الشمس بعد صلاة العصر، فهل سنراك من المزاحمين معهم على العتق من النار .

أيها الإخوة، أيها المؤمنون، أيها المستقبلون لرمضان: ومن الناس من سيزاحمون على العتق من النار، لكن الله تعالى أوجبها عليهم، يالله هي عليهم واجبة، ماذا فعلوا يا ترى؟ أماذا كانوا يصنعون؟ يقول رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم: "من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة، وأوجب عليه النار"، قالوا : يا رسول الله، وإن كان شيئاً يسيراً، قال: "وإن كان قضيب أراك!"، رواه البخاري ومسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، عن أيّ شيء تبحث! والنار لك واجبة!، والجنة عليك حرام! يوم أن أكلت أموال المسلمين بالباطل، تريد أن تدخل الجنة طهِّر البطن وماحوى من أموال الناس، طهِّر نفسك من مظالم الناس، استقبل رمضان وقد رددت لكل صاحب حقٍ حقه، ثم أقبل على مغفرة الله ورضوان، ورحمة من الله وجنان، {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}، اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، ووفقنا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، استغفرُ الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي إلى رضوانه، وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المؤمنون عباد الله، فرض الله سبحانه على كل مسلم، مكلف قادر غبر مريض ولا مسافر، ولا حائض ولا نفساء ولا حامل ولا مرضع؛ فرض الله الصيام، (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، واعلموا أن الله تعالى أمركم بالصيام ودعاكم لتحقيق حقيقته، فناداكم الله بأفضل أوصافكم، فقال: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)، فأعظمنا صومًا أعظمنا تقوى لله تعالى في صومه، فمن الذي سيتق الله منا في رمضان؟، فأقبلوا على فعل الخيرات، والمنافسة على فعل الطاعات، فإنما التقوى فعل الخيرات وترك المنكرات، أكثروا من الطاعة تسابقوا إليها، تنافسوا في مجالسها، واعلموا أن من أعظم طاعتكم في رمضان، الصيام والقيام، "إن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة، يقول الصيام: يا رب، منعته الطعام والشراب والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل؛ فشفعني فيه، فيشفعان".

أخي الكريم، احرص في نهارك على الصيام، على الابتعاد عن الطعام والشراب وعن الشهوة، أو مقاربة أسبابها، واحرص في الليل على القيام، خذ حظك من الليل ادخاراً لحظك يوم القيامة، ألا فاعلموا يا عباد الله، أنه ليس الشأن أن يترك الإنسان ما أحله الله في ليل رمضان؛ من الطعام والشراب والجماع، فيتركه في النهار، ثم هو يقع فيما حرّمه الله في النهار والليل، ثم يقع فيما حرّمه الله في رمضان وفي غير رمضان، إذا تركت الطعام والجماع في نهار رمضان فلا تقع فيما حرّمه الله عليك في عمرك كله، اتقوا المحرمات والموبقات، اتقوا السهرات الماجنة والأغاني المائعة، واتقوا المسلسلات الساقطة، اتقوا قول الزور والعمل به، أو أن تقطعوا الرحم أو أن تقعوا في الكذب والبهتان، اتقوا الله سبحانه وتعالى في رمضان، ورجل وقع في هذا وترك الطعام والشراب ما أبقى له من الأجر، ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول: "من لم يدع قول الزور، والعمل به، والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه"،

رواه البخاري وأبو داود، فاتقوا الله وابحثوا عن التقوى، ابحثوا عن أعمال تزدادون فيها من الخير، وتتركون فيها الشر، واعلموا أن هذا الصيام الذي أمرتم به؛ لعلكم تتقون، اللهم بلغنا رضاك وارزقنا تقواك، اللهم بلغنا رمضان، الله بلغنا صيامه وقيامه على الوجه الذي ترضاه عنا ...

خطبة : صور من صلة الأرحام

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ،،

أيها المؤمنون عباد الله، إن ديننا الإسلامي العظيم قد حثّنا وأمرنا ورغبنا في ما فيه اجتماع وتآخي المسلمين، وفيما يؤكد على سبل التواد والمحبة بين المسلمين بعضهم بعضا؛ حتى يصير المسلمون كلبنة مرصوصة إلى لبنة أخرى في بنيان الأمة المرصوص، أو قل: كلحمة بجوار أختها في جسدٍ واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، هكذا أُمرنا – يا عباد الله – أن نكون لحمة واحدة كجسد واحد، إذا شبع منه عضو شبعت له الأعضاء، وإذا تألم منه عضو تألم الجسد، وسهر عليه بالسهر والحمى .

معاشر المؤمنين، اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بشعائر ودلنا على سبل تهدينا إلى هذا الأمر، وتدلنا عليه، وتأخذ بأيدينا إليه، يقول الله سبحانه وتعالى في حق من هذه الحقوق؛ في آية

سمّاها أهل العلم بآية الحقوق العشرة، قال الله عز وجل: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: ٣٦].

معاشر المؤمنين، هكذا يأمر الله سبحانه وتعالى بهذا الحق، بل ما اكتفى سبحانه أن يجعله حقًا واحدًا حتى جعله في هذه الآية ثلاثة حقوق، بل أربعة يا عباد الله: الصورة الأولى من صور هذا الحق، أعظم صورة له صورة بر الوالدين، والصورة الثانية صورة الجار القريب، والصورة الثالثة صورة ذوي القرابة، والصورة الرابعة صورة الزوجة القريبة إلى الإنسان، أرأيتم – يا عباد الله – كيف أكدّ سبحانه وتعالى على هذا الحق؛ حق صلة الأرحام، وأيّ حق هذا الحق! كم غُيّب في دنيا الناس؛ ضاعت ملامحه، وغابت مفاهيمه، وتخلخلت صوره، وأصبح كثير من الناس يجهل فضاءله وآثاره.

معاشر المؤمنين، كم أمر الله سبحانه وتعالى بصلة الأرحام، وكم أثنى الله عز وجل على القائمين على هذا الأمر، على العاضين به والمتمسكين به، يقول الله: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} [الرعد: ٢١]، هكذا يثني الله عليهم وهكذا يصفهم الله.

عباد الله، إننا يوم أن نصل أرحامنا إننا نصل ما أمر الله به أن يوصل، إننا – أيها المؤمنون – يوم أن نقطع الأرحام نقطع أمر الله، وصلة الله، وما فرضه الله علينا؛ فاعتبروا يا أولي الألباب، معاشر المؤمنين، يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر)، وكأني بالذين يؤمنون بالله واليوم الآخر قد رفعوا رؤوسهم، وتحفّزت نفوسهم؛ لما سيأمر به عليه الصلاة والسلام، وكأني بالذي يرجون الله والدار الآخرة قد اشرأبّت هممهم؛ لما سيذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبماذا أوصى عليه الصلاة والسلام؟ أوصى بوصية الله: (من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) يا عبد الله، إن كنت قد آمنتَ بالله رباً، واتبعت دينه الإسلام، وقمت على أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فصل رحمك، واعلم أن رجلاً جاء إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام، رجلٌ يسعى إلى طاعة الله، ويرغب فيما عند الله أراد أن يقصّر عليه المسافات، وأن يقطع المفازات؛ ليصل إلى مستقر الجنات، أراد أن يختصر المشوار ليفر من النار، فجاء بمسألته فعرضها على النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال عليه الصلاة والسلام لما رأى هذه الهمة، وعظم هذا السؤال، قال: (تُقيم الصلاة وتؤتي

الزكاة وتصل الرحم)، هكذا يأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل مشمر إلى الجنة، كل فار من النار، لا تنسَ – يا عبد الله – وأنت تطرق أبواب الجنة، وأنت تفر من سبل النار، لا تنسَ أن تصل الرحم؛ كما أمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أيها المؤمنون عباد الله، جاء هذا الدين العظيم ليؤكد، ومن أول انطلاقته على هذا الأمر، بل هذا الأصل من أصول الإسلام؛ صلة الأرحام، أو ما سمعت كيف لخّص النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا الدين العظيم في كلمتين، في صحيح مسلم أن عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه جاء للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يقول عمرو: كنتُ في الجاهلية أعلم أن أهل الجاهلية ليسوا على شيء، وأنهم يعبدون الأصنام؛ حتى خرج رجل في مكة يزعم أنه نبي، فجئته، فقلت له: من أنت؟، قال: "أنا نبي"، قلت: وما نبي؟، قال: "أرسلني الله"، قلت: فبأيّ شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُعبد الله لا يُشرك معه شيء"، أو سمعت بماذا أُرسل عليه الصلاة والسلام؟ بتوحيد الله، وبصلة الأرحام، يا الله، قبل أن يفرض الله الصلاة، وقبل أن يأمر سبحانه بالزكاة، وقبل أن يأمر بصوم رمضان وبحج البيت الحرام، جاء الدين بصلة الأرحام؛ هكذا فهم هذا الرجل من رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهكذا فهم النصراني من دعوة الإسلام لما دخل أبو سفيان وكان يومها مشركاً على هرقل عظيم النصارى، سأله عن الدين؛ كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن هرقل قال لأبي سفيان: وبأي شيء يدعوكم؟ فقال أبو سفيان – وكان على الشرك – يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يعبدوا آباؤكم، ويأمرنا بالصدق والصلاة والعفاف والصلة، فقال له هرقل: وسألتك ماذا يدعوكم؟، فقلت: يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يعبدوا آباؤكم، ويأمركم بالعفاف والصدق والصلاة والصلة، لئن كان ما قلتَ حقاً ليملكنّ موضع قدمي هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه سيخرج ما كنتُ أظن أنه منكم، ولو أعلم أني أصل إليه لغسلتُ عن قدميه، أوَ سمعتم علِم هذا النصراني أن دعوة كهذه ستحكم العالم، علم هذا الرجل أن ملكه كله لا يُساوي أبداً أن يتّبع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولو أن يترك ملكه، ويكون غاسلاً لقدميه عليه الصلاة والسلام، دينٌ عظيم، أمر بمكارم الأخلاق، وأمر بصلة الأرحام.

أيها المؤمنون عباد الله، ألا سألتم أنفسكم أين أنتم وهذا الأمر العظيم من أمور الدين؟ ألا نظرت في اسمك، ثم في تسلسل نسبك من جهة أبيك أو من جهة أمك، ثم فكّرت كم من قرابة وصلتهم؟ وكم من قرابة قطعتهم؟ عباد الله، إننا والله سنُسأل عن قراباتنا، فانظروا في أعمامكم وأخوالكم وأبنائهم، بل انظروا في إخوانكم وأصهاركم، بل انظرو – يا عباد الله – في والديكم، ثم لينظر كل منا وصل أم قطع؟ فإن المقام بين يدي الله عظيم، جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال: قال عليه الصلاة والسلام: "لما خلق الله الخلق، فلما فرغ منهم قامت الرحم، فتعلقت بالله، قالت: يا رب، فقال الله: مه، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة"، أوَ سمعتم لما خلق الله الخلائق، وخلق لهم أعماماً وأخوالاً وإخواناً وقرابة قامت أرحامهم، فتعلقت بالله جل جلاله تُناشده: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال الله: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك، قالت: بلى، رضيت.

أيها المؤمن عبد الله، إنك يوم أن تصل رحمك لا تصلهم قبل أن تصل الله، وإنك يوم أن تقطع رحمك لا تقطعهم قبل أن تقطع ما بينك وبين الله، فاتقوا الله – يا عباد الله –، والله ما قطعت خالك ولا عمك ولا خالتك ولا عمتك ولا أبناءهم؛ حتى قطعت ما بينك وبين الله الرحيم، يقول عليه الصلاة والسلام: (قال الرحمن: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، واشتققتُ لها من اسمي –هي الرحم وهو الرحمان– فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته).

عباد الله أيها المؤمنون، هذا ما بينكم وبين الله تصلون الله، أو تقطعون ما بينكم وبين الله سبحانه وتعالى، فإن وصلتم أرحامكم فأبشروا برحمة الرحمن، وإلا فاقرؤوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: ٢٢، ٢٣]، فنعوذ بالله من الخذلان، ونعوذ بالله أن نكون من أولئك الصنف الذين قطعوا ما بينهم وبين رحمة الله سبحانه وتعالى.

عباد الله، اعلموا أن أسباب القطيعة كثيرة، لكن أكثر ما نشر القطيعة بين الناس سببان: السبب الأول: تولي المناصب والاشتغال بالدنيا والتكاثر والتفاخر بالأموال والأولاد؛ حتى شُغل الواحد منا بدكانه، ومتجره عن صلة رحمه؛ حتى أصبح الواحد منا إذا قيل له: يا عبد الله، لماذا ما تصل رحمك؟ يقول: مشغول، يا الله أشُغلت عما أمرك الله تعالى به، يلتقي الرجل بالرجل، والقريب بالقريب، وبينهم مدّة طويلة من التهاجر، فيقول له: أنا مشغول، وأنت مشغول،

والقلوب محفوظة، والخواطر محفوظة، سبحان الله، ومن أخبرك أن هذا يسقط عليك الحق الذي أمرك الله سبحانه وتعالى به، اعلموا أن لكم قرابات صغاراً وكباراً ما سامحوا في حقهم، اعلموا أن لكم نساء وعجائز تتمنى الواحدة لو أنك بررتها بمعروف، أو كلمة طيبة، أو زيارة، أوهاتف، فاتقوا الله أن تقطعوا أرحامكم، لا، والله ما هي بعادة يسقطها الناس، بل عبادة فرضها رب الناس سبحانه وتعالى، لا يسقطها أحد من خلقه.

إن كثيراً من الناس ظنوا أنهم لو ذهبوا يصلون أرحامهم نقصت أرزاقهم، وذهبت أعمارهم، لا، والله والذي أرسل إلينا رسولاً مبيناً فقال: (من أحب منكم ان يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه)، سمعت ماذا يقول عليه الصلاة والسلام؟ إن أردتَ أن يزيد الله لك في رزقك رزقًا، وفي عمرك عمرًا فصل رحمك يا عبد الله، قال علماؤنا رحمهم الله جميعاً: إن الله كتب في صحف الملائكة فلان ابن فلان رزقه كذا إن وصل رحمه، وينقص كذا وكذا إن قطع رحمه، فلان ابن فلان عمره كذا وكذا إن وصل رحمه، وينقص كذا وكذا إن قطع رحمه، فاختر لنفسك أيّ الرزقين؟ وأيّ العمرين؟ جاء رجل إلى نبينا عليه الصلاة والسلام يتصدق بحديقة كبيرة عظيمة، ماؤها طيب، وثمرها طيب، قريبة المسجد، فقال له عليه الصلاة والسلام: (اجعلها في قرابتك)، وميمونة زوج النبي عليه الصلاة والسلام أعتقت وليدة، فقال لها عليه الصلاة والسلام: (لو جعلتيها في أخوالك لكان أعظم لأجرك)، فانظروا كيف تتعاملون مع الله؟ والرزق بيد الله، وانظروا كيف تتنافسون في حياتكم؟ والأعمار بيد الله.

إن من الأسباب التي نشرت القطيعة في دنيا الناس؛ دنيا الدينار والدرهم، دنيا المتاع والتكاثر، دنيا نفسي؛ نفسي، دنيا لا يصل الإنسان إلا من يريد منه معروفًا، ولا يبر الإنسان إلا من له معه مصلحة – والعياذ بالله –، إن مما نشر القطيعة – يا عباد الله – في دنيا الناس أن كثيراً من الناس ظنوا أن الصلة بالصلة، وأن الإحسان بالإحسان، ومن ما جاء عنده ما زاره، ولا ذهب إليه، إن كثيراً من الناس ظنوا أنهم لا يصلون إلا من يصلهم، ولا يحسنون إلا لمن أحسن إليهم، لا، والله ليست هذه بالصلة أبداً، بل سايروا الناس في دنيا الناس، ومن منّ الله عليه فتزوج من بنت عمه أو من بنت خاله، ثم حدث بينهم شجار، فطلقها، فماذا يصير؟ وإذا بالقرابة تقطع القرابة الأخرى، وإذا بهم يكيلونهم من اللعنات والشتائم، مالكم تقطعون أرحامكم؟ قالوا: طلقوا بنتنا، وقطعوا رحمنا، سبحان الله، وهل نصل الأرحام من أجل الناس؛ حتى نقطعها لأجل الناس؟

إذا منّ الله سبحانه وتعالى على بني العمومة، فخلّف لهم أبوهم أرضاً، ثم جاءوا يقتسمونها، فاختلفوا في عذق نخلة، أو في شبر بئر، وإذا بهم يتحاسدون ويتباغضون، بل يتقاتلون، ويطيش القريب بدم قريبه، ما هذا يا عباد الله؟ أبهذا أُمرتم أن تقطعوا أرحامكم، لا، والله اسمع لرسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يصحح هذا المفهوم، يقول عليه الصلاة والسلام – كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه –: (ليس الواصل بالمكافئ)، أتدري من المكافئ؟ الذي يقول: وصلوني وأصلهم، الذي يقول: أحسنوا لي وأحسن إليهم، الذي يقول: ما زاروني، وما سأذهب إليهم، هذا هو المكافئ؛ لا، ليس هذا بالواصل؛ إن كنت تفعل هذا، فليست بصلة، يقول عليه الصلاة والسلام: (ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها)، هذا هو الواصل، تُقطع الرحم؛ فيصلها فيسمى واصلاً؛ لأنه وصل ما أمر الله به أن يوصل، فهل أنتم من الواصلين يا عباد الله أم من المكافئين ؟ اتقوا الله سبحانه وتعالى، جاء رجل لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضارباً مثلاً عظيماً في صلة الأرحام، اسمع لحالك وحاله، قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم، ويقطعونني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فماذا قال بأبي وأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ أقال: هؤلاء لا خير فيهم ولا صلة لهم، وقد فعلتَ الذي عليك؟ لا، قال عليه الصلاة والسلام: (إن كنت كما قلت) يعني إذا ثبتَ على هذا، وداومت عليه، (لكأنّما تسفهم الملّ الحار، ولا يزال معك من الله نصير ما دمتَ على ذلك) تصل مع القطيعة، وتحسن مع الإساءة، فكأنما يأثمون من الإثم ما يجده الذي يتألم من سفّ الرماد الحار، فانظرو إلى أنفسكم يا عباد الله، إن أردتم أن تسفوا رماداً، فاقطعوا أرحامكم، احذروا من ذلك أن تقطعوهم وإن قطعوكم، فالله الله، اعلموا ما معنى صلة الأرحام؟ وكيف توصل الأرحام؟ وما الحق العظيم الذي سيقوم به الواحد بين يدي الله سبحانه وتعالى؟

عبد الله، يقول عليه الصلاة والسلام: "الرحم معلقة بالعرش"، أين الرحم يا عبد الله؟ هناك عند العرش، عند مليك مقتدر، (تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)، فإذا جاء يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم أن يأتي الحساب، وتتقطع الأنساب والأحساب، هناك على الصراط الدحض، المزلّة، عليه كلاليب، وحوله ظلمات، ومن كُردس منه كردس في النار، هناك حيث دعاء الأنبياء: اللهم سلّم سلّم، يقول عليه الصلاة والسلام: (تقوم الرحم والأمانة

على جنبتي الصراط)، يا الله، من ذا الذي ستبطش به رحمه، فيهوي به في قعر جهنم، ومن ذا وصلها فتوصله في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، واعلموا أن رسولكم عليه الصلاة والسلام يقول: (لا يدخل الجنة قاطع)؛ أي قاطع رحم، استغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي المتقين، رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأولين والآخرين، والمبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين.

عباد الله، إنا لنعلم أن في الزوايا خفايا، وأن في الرجال بقايا، وأن منكم قلوب مؤمنة رقيقة لا يتجرأ الواحد أن يظلم بعيداً، فكيف يظلم قريبًا، جعلني الله وإياكم من هذه القلوب؛ التي ترجو من الله مغنماً وجوارًا، وإلى أصحاب هذه القلوب الرقيقة، وإلى الواصلين أرحامهم، ها كم – يا عباد الله – صوراً نادرة من صلة الأرحام؛ حتى تعلموا أن هذا الباب بابٌ عظيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

من الصور النادرة لصلة الأرحام: ما جاء في الصحيحين من حديث أسماء رضي الله تعالى عنها، قالت: جاءتني أمي مشركة، وهي راغبة في أن أصلها، فأتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أستفتيه؛ أأصل أمي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (نعم، صلي أمك"، قد تعجبون – يا عباد الله – إذا وقفتم على ما تعجبتُ منه، أتدرون ما أعجب ما في هذا الحديث، أن هذه المرأة رضي الله تعالى عنها ما وصلت أمها؛ حتى تستفتي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لتعلمنا جميعاً أن صلة الأرحام عبادة، وليست عادة أبداً، فجاءت تسأل النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن تصل أمها، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تصل أمها، ولو كانت مشركة؛ لأن الأمر عظيم، فالله الله في صلة الأرحام، ولو كان بعض الأرحام من الفسقة الفجرة فله الحق، فأدّوا لأرحامكم حقوقهم يا عباد الله.

صورة نادرة من صور البر، ومن صور صلة الأرحام: ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن ابن عمر رضي الله عنهما كان له حمار، يتراوح عليه، وعمامة يعصبها على رأسه، فبينما هو يمشي في الطريق، إذ به يجد رجلاً أعرابياً، فما كان منه رضي تعالى عنه إلا أن نزل عن

حماره، وقال للأعرابي: اركب، وخلع عمامته، وقال للأعرابي: البسها، فتعجب الناس، يُعطي الأعرابي مركبه، ويُعطي الأعرابي عمامته، ما بالك يا عبد الله فعلت هذا؟ وهم أعراب يرضون باليسير، تدري ماذا قال؟ قال رضي الله تعالى عنه: إني سمعتُ رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه)، وإن هذا كان صاحباً لعمر، يا ألله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، أرأيتم الآن لدنيا الناس، والواحد منا أول ما يظلم يوم أن يموت أبوه؛ يظلم زوجة الأب، فيمنعها من حقها من الميراث، وإن أعطها حقها ظلمها وأساء إليها وقطعها، لماذا يقول: لأنها ضرة لأمي، وقد نسي المسكين أنها كانت وداً لأبيه، وإن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه .

وصورة ثالثة نادرة من صور صلة الأرحام: يضربها لنا رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، جاء في الصحيح أن نبيكم عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه يوماً: (إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط، وفي رواية أنه قال: إنكم ستفتحون مصرًا؛ فاستوصوا بأهلها خيرًا)، لماذا يا رسول الله؟ لماذا توصينا بأهل مصر خيرًا؟ قال: (فإن لهم رحماً وصهرًا)؛ أي رحم لأهل مصر مع نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما أبوه ولا عمه ولا خاله من مصر؟ وأي مصاهرة بين رسولنا وبين أهل مصر، وما تزوج منهم! انظروا يا عباد الله، إن هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام، وإسماعيل جدٌ لنبينا عليه الصلاة والسلام، فيأمر النبي عليه الصلاة والسلام بهذا النسب البعيد خيراً وبراً وصلة، إن رسولنا عليه الصلاة والسلام ما تزوج من أهل مصر، ولكن أرسلت له جارية من مصر، فتسرّى بها بملك اليمين، فقال: (استوصوا بهم خيراً؛ فإن لهم صهرًا)، هكذا يأمر رسولك صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنسب بعيد، وبصهر قليل، يوصي أصحابه إذا فتحوا يوماً من الأيام بلاداً بعيدة أن يستوصوا بها خيرًا؛ لأنه أرحام وأصهار رسول الله عليه الصلاة والسلام، فمن ذا الذي قطّع نسبه القريب؟ ومن ذا الذي هجر أصهاره؟ ينظر في فعل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وصورة رابعة نادرة – يا عباد الله – من صور البر، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون: تقول عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام ما غِرت على امرأة ما غرت على خديجة، وما رأيتها، لكن من كثرة ما كان يذكرها عليه الصلاة والسلام، قالت: كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ليذبح الشاة، ثم يقول: أرسلوا لصويحبات خديجة، أرسلوا لصديقات خديجة، خديجة زوجة ماتت ما

نساها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ما نسى أصهارها، بل ما نسى صديقاتها من الصلة؛ أداءً لحقها عليه رضي الله عنها، يذكر عليه الصلاة والسلام ودّها وبرّها، وكل ما ذبح شاة أرسل إلى أهلها، وأرسل إلى صديقاتها.

فالله الله في صلة الأرحام، والله الله في صلة الأنساب، والله الله أن نعلم معنى القطيعة، فليس الواصل بالمكافئ، فالله الله أن نتنافس في هذا الأمر العظيم من أبواب صلة الرحم، فصلة الرحم لا تعني كلمة بهاتف، ولا رسالة في عيد، ولا كلمة من بعيد، بل تعني أعظم من هذا إحسان، ومال، ومنافع، تُقدمها لأهلك وقرابتك، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من الواصلين لأرحامهم، والساعين لمرضات ربهم، اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم ألهمنا رشدنا، اللهم اخلفنا في أهلنا في خير، اللهم يا الله يا ذا الجلال والإكرام إنا نسألك أن تغفر لنا جميعاً، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات؛ إنك قريب مجيب الدعوات ..

خطبة : عبادة القلب في رمضان

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي منّ على عباده بمواسم الخيرات، وخصّ شهر رمضان بالفضل والتشريف والبركات، وحثّ فيه على عمل الطاعات والإكثار من القربات، أحمده ربي سبحانه على نعمه المتكاثرة، وأشكره عز وجل على آلائه المتوافرة، وأصلي وأسلم وأبارك على خير من صلى وصام، وأشرف من تهجد لله وقام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرام، وعلى من تبعهم بإحسان، ما تعاقب النور والظلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران/١٠٢].

أما بعد عباد الله، الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله، هكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إذا هلّ الهلال، إذا أهل هلال رمضان، دعا عليه الصلاة والسلام بأن يعيده الله بالأمن والسلامة؛ أن تسلم أيدي الناس من الحرام، وأن تسلم ألسنة الناس من الحرام، وأن تسلم قلوب الناس عن الحرام، أن يأمن الناس بعضهم بعضاً؛ في أعراضهم، وأموالهم، ودمائهم، كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون في هذا الشهر زيادة في الإسلام والإيمان والتوفيق للعمل الصالح؛ الذي يُحبه الله ويرضاه، فما أجمل – أيها المؤمن – ما أجمل أن تزداد في عمرك من خير إلى خير، وما أسعد تلك اللحظات التي تتقرب فيها إلى الله بالهدى والسداد، والتي تزداد فيها في سعيك إلى ربك بالتوفيق والرشاد.

جاءكم – أيها المؤمنون – شهر عظيم، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتغلّق فيه أبواب الجحيم، ويُنادي فيه منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة، هكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يُبشّر أصحابه إذا قدم عليهم رمضان، يُبشّرهم بأنه شهر عظيم، شهر مبارك، إن من ملامح البركة في هذا الشهر الكريم، والتي تزيدنا – أيها المؤمنون – شوقاً وحنيناً لاستقباله بالطاعات والقربات أن نعلم أن من بركة الله في هذا الشهر ما يحدث من البركة في المشاعر الإيمانية؛ فتجد المؤمن الصائم قوي الإيمان، حيّ القلب، دائم التفكر، سريع التذكر، لا غروا– أيها الإخوة – ولا عجب، فما منا من أحد صام رمضان إلا ووجد شيئاً في قلبه لم يجده إلا في هذا الشهر العظيم؛ إنها البركة في القوى الجسمانية، بالرغم من الامتناع عن الأكل وعن الشراب، لكنك تجد الصائم قوياً في عمله، يتحمل الشدائد؛ لأن الصيام علّمه الصبر والتضحية، بل أعظم من ذلك – أيها الكرام – أن تجد الجسد المبارك جسد الصائم قد استنفد طاقته في المحافظة على فرائض الله؛ حيث يُنادى بها في المساجد، في المداومة على الرواتب والنوافل، يستغل المؤمن الصائم قواه الجسمية في الإكثار من قراءة القرآن، والقيام، وفي الإكثار من الصدقة وصلة الأرحام؛ إنه رمضان بركة في الأوقات، كم من عبد فعل من الطاعة في اليوم أو في الليلة ما يعجز في غير رمضان أن يفعله في أسبوع أو أكثر ؟ هكذا كان عليه الصلاة والسلام يُبشر أصحابه إذا قدم رمضان، يبشرهم بخصائص هذا الشهر

الكريم، إننا إذا تذكرنا خصائص رمضان زادنا هذا شوقاً وحنيناً للإكثار من الصالحات، ومداومة القُربات.

إن من خصائص هذا الشهر – أيها الكرام – أن تُفتح فيه أبواب الجنة، فليس منها باب يُغلّق، وأن تُغلّق فيه أبواب النيران، فليس فيه باب منها يُفتح، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم، لله عتقاء من النار وذاك في كل ليلة، يُعتق الله من يشاء من عباده، جعلنا الله وإياكم من المعتقين من عذابه وناره.

إن من أعظم خصائص هذا الشهر الذي يُقبل عليكم معاشر المسلمين أن خصه الله بفريضة الصيام، أتدرون ما الصيام؟ وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، أتدرون ما الصيام؟ وللصائم دعوة مستجابة لا شك فيها، لا يردها الله، لا يردها الله، إن الصيام – أيها الإخوة – ليس بالذي يُوصف، وليس أجره بالذي يحسب، اسمعوا ماذا يقول ربكم جلّ وتقدّس وتعالى: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به)، فأعظم أعظم بأجر الصيام، وأكرم برحمة الله الكريم ذي الجلال والإكرام، نسأل الله من منه، نسأل الله من فضله، نسأل الله من بركات رمضان.

وأهلاً وسهلاً بالصيام * يا حبيباً زارنا في كل عام
قد لقيناك بحب مفعم * كل حب في سوى المولى حرام
فاقبل اللهم ربي صومنا * وامنن علينا بعطاياك الجسام
ولا تعاقبنا فقد عاقبنا * قلقل أسهرنا جُنح الظلام

أيها المؤمنون عباد الله، أتدرون ما رمضان؟ أو تعرفون ما شهر رمضان؟ إن العبد طوال العام تحل به الأزمات، وتنزل على قلبه الآفات، ويغفل عن مقصده ومبتغاه، فكان لا بدّ له من زمان يقوي فيه عزيمته وهمّته، ويُجدد فيه نشاطه وطاقته، ويتصل برب الأرض والسماء؛ إنه رمضان، الفترة الروحية، يجد فيه الفرد، وتجد فيه الأمة فرصة لإعادة حساباتها، وإصلاح أوضاعها، إنه الزمن الذي نجدد فيه معالم الإيمان، ونصلح فيه ما فسد من الأحوال، ونعالج فيه ما عرض على قلوبنا من الأدواء والأسقام، إنها محطة لتعبئة الروح والجسد والخلق تعبئة؛ تُهذب النفس، وتقوّم الأخلاق، وتجدد الإيمان، وتضبط الغرائز، وتكبح الشهوات، هو الصيام، وما أدراكم ما الصيام؟ تحقيق لمعنى التقوى، وامتثال لأمر الله، ومخالفة الهوى، تعزيز

لمعاني الإرادة، وتأكيد لمعالم الجسد الواحد؛ في التضحية والبذل والشهادة، إنه الصيام تتحقق فيه الوحدة والألفة والمودة والإخاء، يستشعر فيها الصائم حاجات المحتاجين، ويتلمس فيها جوع الجائعين؛ فإذا بالأمة – معاشر الكرام – أمة واحدة، المؤمن للمؤمن كمثل الجسد الواحد، يسهر بعضه على بعض، مدرسة البذل والإخاء والتعاون وتكاثف المسلمين، إن من صام حقاً صفت روحه، ورقت نفسه، وهذّبت أخلاقه، وهاجت مشاعره، وأرهفت أحاسيسه، ولانت عريكته، وتهذّبت أخلاقه، فأين أين هم الصائمون؟ وأين أين هم المتقون؟.

أيها المؤمنون عباد الله، كيف نستقبل هذا الشهر الكريم؟ حُق لنا وربي أن نستقبله، ونحن نستشعر ثواب الله العظيم، وأيّ ثواب أعظم؟ وربك يقول: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي)، (من صام يومًا في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)، فكيف بالذي صام الشهر كله؟، (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)، إن الصيام يأتي يوم القيامة يشفع لصاحبه حتى يُدخله الجنة، (إن في الجنة بابًا، يُقال له: باب الريان يدخل منه الصائمون، فإذا دخلوا أُغلق هذا الباب).

أيها المؤمنون، كيف تستقبلون شهر رمضان؟ حُق لنا أن نستقبل هذا الشهر الكريم بصفحة بيضاء مشرقة؛ لنفتح صفحة جديدة مع الله تعالى، بالتوبة الصادقة، بالإقلاع عن الذنوب، بالعزم على مداومة الأعمال الصالحة على مر الأعمار؛ لنفتح صفحة جديدة مع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم بامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، والتخلق بأخلاقه، والاهتداء بهديه، ونشر سنته، وتحكيم شريعته عليه الصلاة والسلام؛ لنفتح صفحة جديدة مع الوالدين والأولاد والزوجة والأقارب والأرحام؛ بالصلة والمعروف والبر والإحسان والمعاشرة، كما أمر الله سبحانه وتعالى؛ لنفتح صفحة جديدة مع المجتمع الذي نحن فيه، فيكن كل واحدٍ منا صالحاً في نفسه، نافعاً لغيره، قال عليه الصلاة والسلام: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال عند الله سرور تدخله على قلب مسلم؛ تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخٍ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد –أي مسجد المدينة– شهرًا، ومن مشى مع أخيه في حاجة،

فقضاها له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام)، فالله الله أيّ شيء أنت يا رمضان! أيّ شيء أنت يا شهر الصيام!.

ما أنت إلا رحمة علوية * خصّ الإله بها الورى فترفقا

رمضان يا عرس الهداية مرحباً * يا نبع خيرٍ في الوجود تدفقا

فأقبلوا على الله بالصالحات، وأكثروا من الاستغفار من كثرة الزلات، واسألوا رباً كريماً رب الأرض والسماوات؛ فإنه مجيب الداعين، وقابل التائبين، وقاضي حاجات المحتاجين، قلت: ما سمعتم، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيماً لشأنه، وأصلي وأسلم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، دعا إلى الله، وذكّرنا بأمر الله، ووعدنا عليه الصلاة والسلام رحمة الله، يقول صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الطبراني من حديث محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إن لله تعالى في أيام الدهر نفحات، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة لا يشقى بعدها أبدا)، فدونك نفحة من نفحات الله كريمة، تعرّض لها، وسارع إليها، لعلك لا تشقى بعدها أبدا .

فهيا هلا إن كنتَ ذا همة فقد * حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحلا

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعدٍ * ودعه فإن العزم يكفيك حاملا

أيها المؤمن عبد الله، لنتذوق طعم وحلاوة العبادة، أُنس القرب من الله، حلاوة الاتصال بالله، مناجاة الخالق، رحمة الله الكريم، عفو الله وإحسانه، لنكن جميعاً – أيها الإخوة – ممن يُعتق في هذا الشهر من النار، ويفوز برحمة الله الغفار، ويُحشر في زمرة الأبرار، لنذق طعم العبادة في شهر العبادة شهر رمضان، لنتذوق في صيامنا معاني الصبر؛ الصبر على ترك المفطّرات، الصبر على كف البصر والسمع واللسان والقلب والفرج والبطن عن الحرام، الصبر على ترك العادات السيئة، الصبر على هجر رفقاء السوء، الصبر على تهذيب النفس، على تزكية الأخلاق، على قطع الخواطر التي تصرفنا عن الله، ليُصابر كلٌ منا نفسه في شهر الصوم والصبر، يقول عليه الصلاة والسلام: (الصوم جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخط، وإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم) متفق عليه.

اعلموا رحمكم الله، أن صيام الناس على ثلاثة أقسام، فاختاروا لأنفسكم؛ من الناس من يصوم صوم العموم، فيكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، ومن الناس من يصوم صوم الخصوص، فيكف السمع والبصر واللسان واليد والجوارح وسائر هذه الأركان عما حرّم الله، ومن الناس من يصوم صوم خصوص الخصوص، فيكف القلب عن الأفكار الدنيئة والخواطر الدنيوية، ويكف القلب عن التعلق بغير الله تعالى، هكذا فليكن الصيام: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة/١٨٣]،

لنتذوق طعم العبادات في رمضان، عبدنا الله صمنا، قرأنا القرآن، لكن لنجعل من رمضان هذا رمضان آخر، نتذوق في قراءة القرآن، نتفهّم كلام الله، ونتدبر آيات الله، ونعتبر بمواعظ الله، قُرئت على رسولكم صلى الله عليه وآله وسلم آيات من سورة النساء، فلما بلغ القارئ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء/٤١]، قال: (حسبك)، قال: فنظرت فإذا بعيني رسول الله تذرفان، دموع الشوق إلى طاعة الله الرحمن، والخوف من مقام الله الديان.

عباد الله، إذا أردنا أن نتأثر مع كلام ربنا في رمضان، فلنتمثّل هذه الآية: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق/٣٧]، إن تمام التأثر بالقرآن متوقف على ثلاث: أولاها: وجود المحل القابل، وهو القلب الحيّ، ثانيها: توجيه السمع والإصغاء إلى كلام الله، وعدم الانصراف إلى غيره، وثالثها: حضور القلب وشهوده، لماذا لا نجعل من رمضان هذا رمضان آخر؟ فتذوق فيه طعم العبادة، طعم القيام، ليس القيام بالسهر، ليس القيام بالتعب، القيام تهذيب للنفس على الإخلاص، فذوقوا طعم الإخلاص إذا ركعتم وإذا سجدتم، فأخلصوا لله، وإذا دعوتم واتجهتم فأسلموا الوجه إلى الله، وإذا صليتم فأخفوا صلاتكم، فلا ينظر إليها إلا الله، وأبشروا وأمّلوا، (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)، هذا هو رمضان.

صيام العار فينَ له رنينٌ * إلى الرحمن رب العالمين

تصوم قلوبهم في كل حينٍ * وبالأسحار هم يستغفرونا

أخي الكريم، إن تصدقت فاطعم طعم الإيثار، اطعم طعم البذل وتنقية النفس من الشح والبخل والحسد، اطعم هذا الطعم كان السلف الصالح يتصدقون على الناس، يُطعِمون الناس، يُقدمون لهم الإفطار وهم صائمون، لكن (من فطّر صائماً كتب الله له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء).

عبد الله، أُذكر الله، أُدعُ الله، توجه إلى الله، قف في مقامات المراقبة، فإن للمراقبة ستة مقامات: شارط نفسك من بداية رمضان، شارطها على طاعة الله، شارطها على ترك معصية الله، ثم راقبها خلال هذا الشهر، خلال نهاره وليله، ثم حاسبها، ثم عاتبها، ثم

جاهدها، ثم عاقبها؛ حتى تُسلّم لك، وتُروّض لك على عبادة الله، نعم قوموا على مقامات النفس الستة:

شارط النفس وراقب * ولا تكن مثل البهائم
ثم حاسبها وعاتب * هكذا فعل الأكارم
ثم جاهدها وعاقب * وعلى هذا فداوم
لم يزالوا في سجال * للنفوس محاربين
فاز من قام الليالي * بصلاة الخاشعين

جعلنا الله وإياكم من الفائزين، بلّغنا الله وإياكم صيام رمضان وقيامه، اللهم تقبله منا، اللهم ارزقنا حسن صيامه، اللهم وأعنا على حسن قيامه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم اجعلنا من عتقاء شهرك من النار، اللهم اجعلنا من الفائزين بدار القرار، اللهم يا ربنا يا رحيم يا كريم يا عظيم أعد علينا رمضان وعلى الأمة الإسلامية جمعاء، ونحن في أمن وإيمان وسلامة وإسلام وتوفيق لما تحب وترضى، اللهم اجمع قلوبنا على طاعتك، ووحّد صفوفنا بشريعتك، وألّف بين قلوبنا، واجمع ذات بيننا، وانصرنا على عدونا.

أيها المؤمنون دفنتم عشرات الجنائز، بل مئات الجنائز؛ ممن حضروا رمضان الماضي، ولم يُكتب لهم رمضان الآتي، وأنتم لا تعلمون أتُدركون أيامه، أتستكملون لياليه، فاتقوا الله سبحانه فيما بقي، وأحسنوا لله عز وجل يغفر لكم ما مضى، وفقنا الله وإياكم للطاعات، وجنبنا وإياكم الكبائر والموبقات، ومنّ علينا وعليكم بواسع الرحمات، وغفر الله لنا وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه رب الأرض والسماوات .

خطبة : المتحايون على الزكاة

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، أما بعد عباد الله : فإن خير الحديث كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

إن حديثي وإياكم في هذه الخطبة من هذا اليوم المبارك حديثٌ عن ركن عظيم من أركان الإسلام، قرنه الله سبحانه وتعالى بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا، وقيل: أكثر من ذلك، إن حديث خطبتنا – أيها الكرام – سيحمل عنوان: " المتحايلون على الزكاة "، قد حرّم الله الحيل، وحرّمها رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، يقول بأبي وأمي رسول الله: "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود؛ فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل"، أولئك هم اليهود، قال لهم الله عز وجل ادخلوا الباب، وقولوا حطة، فقالوا: حنطة؛ يستهزئون بأمر الله عز وجل، فغضب الله عليهم، ولعنهم، حرّم الله عليهم صيد يوم السبت، فمكروا واحتالوا، فمقتهم الله ومسخهم، ولذلك جاءت هذه الشريعة العظيمة بتحريم الحيل، وسدّ الباب على وجه المحتال، فلم تورّث الشريعة الكريمة القاتل الذي أراد أن يستعجل ميراث مقتوله، وورّثت الشريعة المرأة المطلقة التي طُلّقت في مرض الموت المخوف؛ سداً على الزوج لباب منعها من الميراث؛ حيلة على الشريعة.

وكلامنا عن ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد جاءت النصوص الكثيرة في بيان أهميته، وكثيراً ما قُرن في الآيات وفي الأحاديث بالصلاة؛ فطيّبوا أنفسكم – يا عباد الله – بإخراج

الزكاة؛ فإنما هي مرة في العام، وإن الله عز وجل يختبر إيماننا جميعاً، ومن اختباره لصدق إسلامنا أن يختبر طاعتنا له في إنفاق المال لوجهه، فالمال مال الله، وأنتم مستخلفون على ما ولاكم الله عليه، فاتقوا الله عز وجل أن تخفقوا في هذا الامتحان؛ فتبوءوا يوم القيامة بالهوان.

الزكاة ركن من أركان الدين، وبعض الناس مع أنها وجبت عليه لا يؤديها، وبعضهم يتحايل عليها، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، كما أنك تصلي، كما أنك تصوم، فإنه يجب عليك أن تُخرج زكاة مالك بمقاديرها الشرعية، فطيّبوا أنفسكم بإخراج الزكاة، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (خمس من فعلهن مع إيمان دخل بهن الجنة؛ وذكر منهن، قال: وأعطى زكاة ماله؛ طيبة بها نفسه)، وعند الترمذي من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (اتقوا الله، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم؛ طيبة بها نفوسكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم)، وعند أبي داود يقول بأبي وأمي رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ثلاث من فعلهن طعم بهن طعم الإيمان: من عبد الله وحده لا إله إلا هو، ومن أعطى زكاة ماله؛ طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة، ولكن من أوسط أموالكم؛ فإن الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه، وزكى نفسه)، أيها المسلم – عبد الله– زكِّ نفسك لإخراج زكاة مالك؛ طيبة بها نفسك، فإنما هي مغنم لك في الدنيا وفي الآخرة، ثم هي فريضة لازمة عليك، ويا ويل من تركها بخلاً، ويا ويل من احتال على إسقاطها مكراً، فأين تذهبون من الله! أين تذهبون من الله القائل: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: ٣٥]، فسّر لنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم معنى هذه الآية الكريمة يا تاركي الزكاة، فأخبرنا عن أحوالكم، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤتي حقها إلا صُفّحت له يوم القيامة صفائح من نار، ثم أُحميت في نار جهنم، ثم يكوى بها جنبه وظهره وجبينه"، وتخيلوا مشهد هذا يوم القيامة، والصفائح تُكوى بنار جهنم، وما أدراكم ما نار جهنم! ثم يُكوى بها جنبه وظهره وجبينه، "كلما بردت أُعيدت عليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، ثم يرى سبيله؛ إما إلى جنة وإما

إلى نار، وما من صاحب إبل لا يؤدي حقها إلا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر، فجاءته أوفر ما كانت فوطئته بأخفافها"، إبل – أيه الأخوة – وطريق سيرها من فوق هذا الرجل، الذي حبس زكاتها ومنع حقها، فتطأه بأخفافها، وتعضه بأسنانها، كلما مرّ أولها أُعيد آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ حتى يقضي الله بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار، "وما من صاحب غنم ولا بقر لا يؤدي حقها إلا بطح لها بقاع قرقر، فجاءته أوفر ما كانت فوطئته بأظلافها، ونطحته بقرونها، كلما مر أولها عاد آخرها؛ حتى يقضي الله بين العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار".

أيها الإخوة، كيف يحل لنا أن نتحايل على الزكاة، وهي ركن عظيم من أركان الإسلام، قد هدد الله وتوعد من تركه {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: ١٨٠]، تحتال على من على الحكيم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، اتقِ الله، ومرة ثانية يُفسر لنا رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الآية عند الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان – أي ثعبان سقط شعر رأسه من شدة سمّه – إلا مثّل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، فيؤخذه أو يطوّقه، فيقول: أنا كنزك، أنا كنزك)، نعوذ بالله من العذاب أن ترى رجل يوم القيامة طوّقه هذا الثعبان العظيم، وهو يقول له: أنا كنزك أنا كنزك، الذي كنت تدّخر، فيا ويح هؤلاء يطوّقون بهذا العذاب، ويُطوّقون به من النار، مرّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم على امرأة، وعندها بنت، ولها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال: "أتؤدين زكاتهما؟"، قالت: لا، قال: "أيسرك أن يُبدلك الله بهما سوارين من نار"، فقذفتهما، وقالت: هما لله ولرسوله، فاتقوا النار ولو بشق تمرة يا عباد الله.

أخي الكريم، إن منع الزكاة خطر على الفرد وعلى المجتمع، وما من قوم منعوا زكاة أموالهم إلا منعهم الله القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، رواه الطبراني بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو شر أيضاً على الفرد؛ فإن المال فيه شر – يا عباد

الله – إن أموالكم التي بأيديكم فيها شر، وفيها آفات، فمن قرب من المال قرب من شره ومن آفاته، فإذا أردت النجاة من شر المال؛ فاسمع، روى الطبراني من حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: أتى رجل لرسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: يا رسول الله، الرجل يؤدي زكاة ماله، فما يكون له؟ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من أدّى زكاة ماله ذهب عنه شرّه"، فإذا أردت أن تنجو من آفات المال فزكه؛ يُبارك ويُحفظ لك، يا عبد الله.

أيها المؤمنون – عباد الله – لست بحاجة أن أطيل الكلام، وأذكر لكم قصص أناس ما أدّوا زكاته ماذا حدث فيهم، وفي أموالهم؟ قص الله علينا قصة أصحاب الجنة لما أرادوا أن يصرموها مصبحين؛ لما أرادوا منع المساكين من الدخول عليهم، فماذا فعل الله عز وجل في جنتهم ؟ أرسل الله عليها صاعقة من السماء، فأصبحت كالصريم، عندها تلاوموا ولم ينفعهم اللوم، وندموا حيث لا ينفع الندم، قصّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لنا قصة الأقرع والأبرص والأعمى؛ فأما ذاك الأعمى الذين أدى صدقة ماله فقد فاز بدعوة الملك، وأما الأقرع والأبرص الذين احتالوا ومكروا، وشحوا وبخلوا، وقالوا: ورثناه كابرًا من كابر، والحقوق كثيرة، باءوا بدعوة الملك عليهم أن يردّهم الله كما كانوا – والعياذ بالله — فإياكم، ثم إياكم من التحايل على الزكاة، طيّبوا أنفسكم بها، أخرجوها على ما أمر الله به، اسألوا أهل العلم بينكم، وأخرجها – يا عبد الله — بالأحوط وبطيبة نفس؛ لتبرأ ذمتك بين يدي ربك يوم القيامة، إياك أن تظن أن الزكاة مغرماً، لا والله، بل هي مغنم لك في الدنيا والآخرة؛ فطيّب نفسك، فإنك إنما تقرض الله، إنما تتعامل مع الله، والله بيده خزائن السماوات والأرض، يقول ربي وربك عن طائفتين من الناس: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ٩٨]، سيُحيط بهم مكرهم هذا، وخبث نيتهم، وقال وعن طائفة أخرى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٩٩]، فطيّب نفسك بالزكاة؛ فمن الناس من منع الزكاة جحوداً لوجوبها فهذا كافر يا عباد الله؛ بإجماع أهل العلم، قد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مانعي الزكاة، وقال: والله، لأقاتلن من فرّق بين الصلاة

والزكاة، ثم استدل بقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صحيح مسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم وحسابهم على الله"، ومن الناس – أيها الكرام – من يترك أداء الزكاة شحاً وبخلاً، أتدرون هذا ماذا عليه ؟ يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (من أعطاها مؤتجراً فله أجره، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله؛ عزمةً من عزمات ربنا عز وجل، ليس لمحمد ولا لآل محمد منها شيء)، تؤخذ منه الزكاة، ويؤخذ نصف ماله عقوبة له؛ أن منع حق الله سبحانه وتعالى.

وممن يتحايل في إخراج الزكاة – أيها الإخوة – من يظن أن الزكاة لا تجب في الأوراق النقدية، وكأنه يحصرها في الذهب والفضة؛ فلا يرى أن هذه الأوراق النقدية كالريالات والدولارات ونحوها فيها ربا أو زكاة، فليتق الله هؤلاء، وليعلموا أن الزكاة فيها حالّة، والربا فيها يجري، وهذه فتوى جماهير أهل العلم ومجامع الفقه الإسلامي في العالم .

أيها المؤمنون – عباد الله – ما أكثر صور المتحايلين على الزكاة، ولعلي أكمل معكم في الخطبة الثانية هذا، قلت ما سمعتم، واستغفروا الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على عبده الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه وخلفائه أهل الوفاء، أيها المؤمن عبد الله، طيّب نفسك بإخراج الزكاة، يقول الله سبحانه وتعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣]، في إخراج الزكاة تطهير لك ولمالك، وتزكية لنفسك، كان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا أخذ الزكاة من رجل صلى عليه، وقال: "اللهم صلِ على آل فلان"، فيصلي عليه وعلى آله، فطيّب نفسك بالزكاة، وأخرجها كما أمر الله سبحانه، ومن التحايل على الزكاة التحايل في إسقاط الزكاة، فبعضهم يتحايل فيحوّل الجنس الزكوي إلى جنس آخر قبل تمام الحول؛ كأن يكون عنده ذهب، وقبل تمام الحول يحوله إلى فضة، أو

يكون له غنم حلّت عليها الزكاة، وقبل تمام الحول يحولها إلى نصاب آخر؛ لئلا تجب فيه الزكاة، وهذا يمكر لكن على من!.

إن من التحايل على الزكاة تحويل النية قبل تمام الحول، والله يعلم ما تخفي الصدور، فيكون له أرض يريدها للبيع، وقبل تمام الحول يُغيّر نيته، وينوي بها البناء أو السكن، أو يكون له أغنام يعلفها يُريد بها التجارة، وقبل تمام الحول يغيّر نيته، وينوي بها القنية والاستعمال، ولا ينفعه هذا، فاتقوا الله واتقوا الحيل.

ومنهم من يغيّر المالك حيلة على مالك الملك سبحانه، {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ٩]، كامرأة يكون عليها زكاة في حليّها فتهبه قبل تمام الحول لابنتها، ثم بعد ذلك تستردّه منها مرة أخرى، ولا يغني عنها ذلك شيء، وهي باقية في ذمتها، دينٌ عليها لله.

ومن التحايل على هذا الركن العظيم من أركان الإسلام: أن يكون لرجل غنم خلطها مع رجل آخر، فهي أكثر العام في خلطةٍ؛ في المرعى والمسرح والراعي والفحل، وقبل الزكاة يُفرقونها حتى تسقط، أو تقل، أو يجمعونها، وهي ما كانت مجتمعة؛ فيجمعونها لتقل الزكاة، وهذه حيلة، ولا تنفعهم بشيء، وعليهم أداء ما وجب عليهم قبل ذلك، يقول عليه الصلاة والسلام: (ولا يجمع بين مفترق، ولا يفرّق بين مجتمعٍ؛ خشية الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسويّة) رواه البخاري من حديث أبي بكر رضي الله عنه، ويسأل كثير من الناس عن مالٍ عنده، قد بلغ النصاب، وحال عليه الحول، لكنه يُبقيه لدينٍ أو يُبقيه لزواجٍ أو يُبقيه لحاجةٍ؛ فهل فيه الزكاة ؟ والجواب: أن الزكاة فيه واجبة، ما دام حال عليه الحول، وبلغ النصاب.

ومن التحايل – يا عباد الله – تحايل بعض الناس على احتساب الزكاة؛ إن كان من سبقه قد تحايلوا على إسقاطها فهذا يتحايل على احتسابها؛ لينقصها، فمن ذلك خصم الديون من عروض التجارة في البيع، ولا تُخصم السلع المشتراة بالدين على الصحيح؛ لأن المال مالك، تتصرف به كيف شئت، وتبيع كيف شئت، وعلى المالك أن يُزكّي ماله، وإن أردتَ فلك أن تخرج الدَّين، ثم تخرج الزكاة بعد ذلك، أما إذا حلّت الزكاة، ولم ترد أن تخرج الدَّين

فأخرج دَين الله، يقول عثمان رضي الله تعالى عنه: أيها الناس، قد جاء شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤدّه؛ حتى تُخرجوا زكاة أموالكم، رواه مالك والبيهقي وغيره بسند صحيح.

ومن ذلك التحايل: أن يخصم ديناً له عند رجل مفلس، فيحتسبه من الزكاة، وقد أفتى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى بعدم جواز ذلك؛ لأنه إن عجز عن أخذ دينه، سعى ليحرز ماله فيقول: احتسبه من الزكاة، ولا بدّ في الزكاة من أخذ وإعطاء، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تؤخذ من أغنيائهم، وتُرد على فقراءهم".

ومن ذلك أن يشترط على هذا الرجل، فيقول له: أُعطيك الزكاة، وتردّها بالدَّين الذي لي عليك، وهذا لا يجوز، بل يقول ابن القيم: هي حيلة باطلة، ومن ذلك أن يقول له: اقترض من غيري، فسدد ديني، وأنا أُسدد لك دين الغير، يقول الإمام أحمد: إن أراد إحياء ماله فلا يجوز.

ومن الاحتيال على الزكاة: أن يُعطيها لمن تجب عليه نفقته؛ كأن يُعطيها لأبيه المعسر، أو لأمه، أو لزوجه، أو لأولاده، فإن هذا لا يحل؛ فإن كان على هؤلاء دَين، فالجواب فيه تفصيل: إن كان سبب الدَّين أنك أنت قصرت في نفقتهم، فلا يجوز أن تعطيهم، أما إذا كان على الوالد مثلاً، أو الابن دين ليس سببه عدم إنفاقك عليهم جاز لك أن تعطيهم من زكاة مالك؛ لسداد الدَّين فقط.

ومن التحايل في احتساب الزكاة: إذا كان لرجل أنواع من الثمار، بعضها طيّب وبعضها ردئ وجب عليه أن يُخرج من الأوسط، قال الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: ٢٦٧]، لو أُعطيت لك هدية، لو أردتَ أن تشتري ما اشتريته، فكيف تعطيه لله الغني الحميد؟! وإذا كان لامرأة ذهب من عيار عالٍ، ومن عيار نازل؛ فإنها تُخرج الأوسط أيضاً.

ومن التحايل على الزكاة: أن يأكل تمر نخله رُطباً، ولا يُزكّيه؛ فإن أردت أن تأكله أو تبيعه رطباً فاخرصه أولاً، وقدّر زكاته، ثم كُل ما شئتَ، ثم أخرج إذا حلّ وقت الزكاة زكاة مقدار ذاك الخرص.

ومن التحايل على الزكاة عند كثير من التجار: عدم تقوى الله في احتساب عروض التجارة، فكيف تُحتسب؟ الجواب: تُحتسب بمثل ما يبيع؛ إن كنت تبيعها جملة احتسبها بسعر الجملة، وإن كنت تبيعها مفرّقة احتسبها بسعر المفرّق، وتقدّرها بسعر البيع لا بسعر الشراء.

يا عبد الله، بكم تبيع الآن؟؛ إن كنت تبيع بخسارة زكِّ بسعر ما تبيع، ولا عليك شيء غيره، وإن كنت تبيع بربح زكِّ، ويجب عليك تزكية الربح؛ أما أن تزكّي رأس المال، وتترك الأرباح فلا يحل لك ذلك، فاتقِ الله سبحانه وتعالى، وطيّب نفسك؛ فإنما هو ركن من أركان الدين.

ومن التحايل على الزكاة: أن يخصم أجرة النقل لنقل الزكاة، وأجرة النقل إن وجب فإنما هو وجوب آخر، فلا تخصم شيئًا من حق الله عز وجل لأجله، ولا تحتسب من الزكاة أجرة عمل العمال الذين جردوا الزكاة، فيقول لعماله: اشتغلوا عملاً إضافياً، فإذا جاء يُحاسبهم يُعطيهم من الزكاة، وهذا واجب آخر غير قدر الزكاة وجب عليك، فاتقِ الله في ذلك.

وهل تُخصم الضريبة التي تأخذها الدولة من الزكاة ؟ أفتى كبار أهل العلم في هذا العصر أنها لا تُخصم، فالوعاء الضريبي يختلف تماماً عن الزكاة في أجناسه وفي مقاديره وفي شروطه، فأخرج زكاة الله سبحانه وتعالى كاملةً غير منقوصة.

ويسأل كثير من الناس عن زكاة الفطر التي تُخصم مع الراتب، فالأحوط للمسلم أن يُخرجها، ولا يحتسب ما يُخصم؛ لأنه يُخصم قيمة، والصحيح وهو قول جمهور العلماء، أن زكاة الفطر لا بد أن تُخرج قوتاً من أقوات البلد فإن كان يرى الجواز فعليه أن ينظر كم خصموا؟ فإن كانوا خصموا زكاة ثلاثة أشخاص، فعليه أن يُكمل بإخراج زكاة البقية.

أيها المؤمنون – عباد الله – إن من الناس من يتحايل في دفع الزكاة، وكأنها له، ليست لله، فيُعطيها لقريب يُجامله بزيادة، وقد يكون لا يستحقها، أو يُعطيها لعادة جرى من قبل عليها، لا يريد أن يقطعها!، إن كانوا فقراء فاغتنوا فلا يجوز أن تُعطيهم من مال الله، وبعضهم يُعطي زكاة الفطر للجيران، وقد يكون هذا مشروع من قبل؛ لأن الناس كانوا فقراء في الماضي، فيُعطي الجار زكاته لجاره، ويأخذها من جاره، أما اليوم فكثير من الناس أصبحوا

أغنياء، فلا يحل أن تُعطى لجارٍ غني، وقد يُعطيها لرجل ليس له مال، لكنه قوي، ويجد عملاً مناسباً، يستطيع أن يكتسب منه، فلا يحل إعطاؤها لغني ولا لقوي مكتسب.

أيها الإخوة – عباد الله – وأما إعطاء الزكاة للعمال الذين يعملون عند الرجل؛ فاعلموا أنه لا يجوز بإخراج الزكاة إسقاط واجب أو الاستفادة منها؛ لأنها حق لله، فلا يجوز أن يُعطيه الزكاة، ويخصم عليه من راتبه، فيوفر بها ماله، أو يُعطيه الزكاة بنيّة أن يستفيد من ذلك في تشجيعهم للعمل، لكن يجوز له أن يُعطي عماله إذا كانوا فقراء؛ لأجل فقرهم، ويريد بذلك الأجر من الله عز وجل.

ويسأل كثير من الناس عن أمر الوكيل، فيُرسل إليه مال زكوي، ويُقال له: أعطي فلان وفلان من الزكاة، وهو يعلم أنهم لا يستحقون، فماذا يصنع الجواب؟ يجب عليك أن تُخبر هذا المزكّي بأمرهم، ثم تصرفها بإذنه لمن يستحق، فإن أبى إلا إعطاء الزكاة لفلان وفلان، وأنت تعلم أنه لا يستحق فلا يجوز لك، ورُدّ المال إليه.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفقهنا في الدين، وأن يعلمنا التأويل، وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إلى جنات النعيم، وأن يعيننا وإياكم على طاعته، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات، اللهم خذ بأيدينا للتقوى، اللهم وألزمنا كلمة العروة الوثقى، اللهم وحرّم أجسادنا على النار؛ فإن أجسادنا غداً على النار لا تقوى، اللهم إنا نسألك أن تنصر الإسلام والمسلمين، وأن تذل الشرك والمشركين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، لا إله إلا أنت سبحانك، إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

خطبة: حتى تكون تفاطيرنا نافعة

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ، إن خير الحديث كلام الله، وإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أعتقنا الله وإياكم في هذا الشهر الكريم من النار.

لقد تعددت وتنوعت، وأصبحت كالأزمة عند كثير من الناس، أصبحت متكررة، وبنفس الوجوه والأشخاص تقريباً، مما أورثها طابع السآمة والملل، واحتاجت إلى وقفة تجديد وترشيد، لقد أخذت أوقات طويلة من ليالٍ شريفة، كان يُفترض أن تُستغل الاستغلال الأمثل في عبادة الله، سببت الإحراج لبعض المعسرين، الذين يأبون إلا أن يفعلوا كما فعلوا عام أول، أو كما صنع فلان وفلان.

إن وقفتنا في هذه الخطبة أيها الكرام، بعنوان: (حتى تكون تفاطيرنا نافعة)، كم كثرت واتسعت وامتدت وطالت، واحتاجت منا إلى وقفة جادة؛ لأنها باتت ثم أصبحت من الأمور الاجتماعية التي قد لا يكون لها مندوحة عند كثير من الناس، إخوة الإيمان، وقفات نتلمّس هذا الأمر، نكتشف بعض مقاصده المشروعة، ونوجهه التوجيه الصحيح، ثم نقف لنتعرف على بعض أخطاء الناس فيه، وكيف يمكن أن نجتنبها أو أن نتركها ؟.

أيها المؤمن عبد الله، إن اجتماعك بأهل القرابة والأرحام، إن إطعامك الطعام لهم، إن جلوسك للتعارف والتآلف معهم، كل هذا من الأمور المحببة إلى الشريعة، لكننا أيها الإخوة، قد نخسر كثيراً من المال، ونفقد عظيماً من الوقت، غير أننا نتناسى أن نستدرك ذلك بالنية الصالحة التي تضاعف لنا الأجور، وتُعظم لنا الثواب من ربنا سبحانه الغفور، إذا أقمت – أخي في الله – مثل هذه التفاطير؛ فلتنوِ نية طيبة، (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)، لا يعزب عن ذهنك أنك ما قمت بهذا التفطير إلا طمعاً في أجر تفطير الصائمين، أخي المبارك، روى الإمام أحمد والترمذي من حديث زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم: (من فطّر صائماً فله مثل أجره؛ غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا)، فكم هم الذين دعوتهم لهذا المجلس؟ وكم هم الذين قمت بتفطيرهم؟؛ ستون، سبعون، يزيدون على المائة، انظر كم لك من الأجر العظيم إذا نويت واستحضرت هذه النية الطيبة؟، أخي المبارك، لا تنسَ أن تنوي صلة الأرحام بمثل هذه التفاطير، فكم فيها من جمع الأقارب؟ ولمٍّ شعاث شملٍ لم يجتمع على مدار العام، كم فيها من ابتسامة صادقة، وكلمة طيبة، ونصيحة مؤثرة، ومجلس أخوي رحمي بين الأرحام والأقارب بعضهم بعضا، كم فيها من إدخال السرور على الصغار وعلى النساء، كم فيها من تقديم الطعام والتوسيع على الأقارب والأرحام، أبشر بمثل هذه النية الطيبة بجنة عرضها

السماوات والأرض، قال عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)، رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، إذاً هي أربع؛ أن تفشي السلام، وخصوصاً على أرحامك وأقاربك، وأن تطعم الطعام؛ وخصوصاً لأرحامك وأقاربك، ثم تكون بهذا قد وصلت رحمك، ثم تصلي بالليل لربك؛ فتدخل جنة عرضها السماوات والأرض.

أيها المؤمنون عباد الله، إن عِظم الأجر ليس بعظم الفعل، ولكنه بعظم استحضار النية، فانوِ في مثل هذا ما تنوي بالهدية من تأليف القلوب، وتقارب الأرواح، وإزالة وحل الصدور، وتنوي بهذا ما تنوي بالصدقة من إطعام جائع، ونفع محتاج، وشفاء مريض، ألم نسمع ماذا قال عليه الصلاة والسلام! قد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: (داووا مرضاكم بالصدقة).

عباد الله، إن المؤمن لهو الذي يستثمر أيامه وأعماله استثماراً أمثل؛ فيما يرضي الله عز وجل، فلنحرص ولننوِ أن تكون هذه المجالس مجالس خير وهدى ونفع لكل من حضرها، وهذا ما يجعلني أتكلم عن الفقرة الثانية، كيف نفعّل مجالس التفطير؛ لتكون مجالساً هادفة، ولتكون مجالساً نافعة لكل من حضر من رجال ونساء أو صبيان وكبار؟.

أيها المؤمنون عباد الله، إن المسلم ليس عنده وقت ليضيعه، ليس عنده وقت ليجعله سدى، وخصوصاً إذا كان هذا الوقت من ليالي شهر رمضان المباركة، فاحرص – أخي في الله – ياصاحب التفطير أن تنفع الناس إن حضروا؛ بما ينفعهم من أمر دينهم وأمر دنياهم، فكّر تفكيراً طويلاً كما كنت تفكّر، بل أعظم ماذا تُقدّم من الطعام؟، ومن تدعو من الناس؟ ومتى يكون وأين يكون؟ فكّر – بارك الله فيك – كيف تنفع هؤلاء الحاضرين بما ينفعهم من أمور دينهم؟ فيتعلمون أمراً من أمور الدين، ويتفقهون في أحكام الشريعة، ويتأثرون بالكلمة الجادة والنصيحة الصادقة، لماذا لا تفكّر – أخي في الله – أن تدعو داعية؛ ليلقي كلمة مؤثرة مناسبة للمجلس؟ وبأسلوب وعظي جذّاب ونافع، لماذا ما تفكّر – أخي في الله – أن تزيّن أرجاء وطاولات المجلس ببعض المطويات الجميلة، والكتيبات الملونة النافعة؛ حتى إذا خلا بعضهم ما وجد أمامه إلا الخير، فقرأ فيه، فأُجرت بإذن الله سبحانه.

أيها الإخوة، كم زادنا غثاءً هذا التكرار الممل، مما يُقدّم في المجالس؛ من أكل وطعام وشراب وماء، ونُمُد طعاماً فوق الطعام، وشراباً فوق الشراب؛ حتى نُتخَم بتغذية الأجساد، وقد افتقرنا من تغذية الأرواح، لماذا لاتجعل هذا العام مختلفاً، أخي في الله؟ لماذا لا تفكّر أن تُقدّم في سلّة الفاكهة بدلاً من بعض الفواكه أن تقدّم سيديهات جميلة، أو مطويات نافعة، أو نشرات فيها شيء من الوعظ، وأعمال الخير والبر في رمضان وفي غيره، أخي في الله، لتكن هذه همتك، ولتكن هذه عزيمتك، وليكن رمضانك آخر، {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت/٣٣].

أيها المؤمنون عباد الله، حتى نفعّل مجالس التفطير فلنحرص على أن نناقش الأمور الجادة التي ينبغي للأسرة أن تناقشها؛ فيما ينفعهم في أمور دينهم أو دنياهم، لماذا لا نطرح مثل هذه الأمور؟ لماذا لا نناقشها؟ وقد اجتمع أبناء الأسرة الواحدة، لماذا لا نناقش مسألة تزويج بعض الشبّان أو بعض الفتيات؟ لماذا لا نحل فيما بيننا – وقد اجتمعنا – بعض الخلافات؟ لماذا لا نفكّر ونبحث في فرص لدراسة، أو عمل لبعض أبنائنا، هكذا فلتكن مجالسنا؛ مجالس خير، تنفعنا في الآخرة، وتنفعنا في أمور الدنيا.

عباد الله، إننا إذا جلسنا هذه المجالس علينا أن نحرص على زرع الخير فيها، إنني لأدعو كبار الحاضرين والعقلاء منهم أن يأخذوا بزمام الحديث في مثل هذه المجالس، فيبدءوا هم بطرح المواضيع الجادة النافعة، فإذا تكلّم فيها الحاضرون أخذت زمناً طويلاً من زمن المجلس، فكان زمناً نافعاً، ثم ليبدعوا ويبتكروا طرح موضوع بعد موضوع، بعد آخر، يتناقش فيه الحاضرون، ونخرج جميعاً بالمنفعة، ويخرجون هم بالأجر، إن لم تكونوا أنتم يا عقلاءنا من يطرح هذا الكلام، إن لم تكونوا أنتم – أيها المؤمنون المتقون – من يستلم زكام المبادرة للمعالي في هذه المجالس، ويستفتح هذه المواضيع، فإن غيركم ممن حضر سيجعل الكلام فيما لا ينفع، بل فيما يضر.

إخوة الإيمان، لنجنّب مجالس تفطيرنا ما لا ينفع من الكلام التافه، فلماذا الحديث يطول كثيراً عن أخبار المسلسلات، وعن أسعار الجوالات، عن نتائج المباريات، وغير ذلك من فضول هموم الدنيا التافهة، إخوة الإيمان، اتقوا الله عز وجل، ولنحذر أن تكون فاكهة مجالسنا الحديث المحرّم؛ بغيبة المسلمين، أو بلمز الدعاة الصالحين، أو بالفتاوى المنكرة،

والتقدّم بين يدي أهل العلم دون علم محقق أو خبر مصدّق، اتق الله عز وجل؛ فإنك مسؤول عما تتكلم فيه، وتنشره بين الناس، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق/١٦-١٨].

عباد الله، لا تنسوا سنن الولائم، لا تنسوا سنن وآداب الطعام، إن من سنن الطعام التي نسيها كثير من الناس للأسف، لقد نسوا أن يدعوا المحتاجين والمساكين إلى هذه الولائم، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (شر الطعام طعام الوليمة؛ يُدعى لها الأغنياء، ويُترك لها الفقراء)، أخي في الله، عظّم أجرك بدعوة هؤلاء، ولو بعدوا عنك في النسب، فقد قربوا منك في الإسلام، ما أجمل أن تتزيّن مجالسنا بحضور بعض الأيتام الصغار، وبوجود بعض المساكين، وبتوصيل الطعام إلى بيوت المحتاجين.

أيها الإخوة الكرام، إن من سنن الولائم وسنن العزائم ألا نُسرف فيها، فاتقوا الله عز وجل مدت سُفر لم يطعمها أحد، وُضعت صحون لم يقرب منها أحد، لماذا – يا أخي في الله – لماذا تفعل هذا؟ أليس هذا من بطر نعمة الله سبحانه! إن بعض المطابخ والمطاعم تعمل في رمضان أكثر مما تعمل في غيره، وكأننا فتحنا أبواب المطابخ، وأغلقنا على أنفسنا أبواب الطاعات، إن بعض الناس للأسف تفطيره كصبيحة عرس، يدعو لها المئات، ويُرسل لهم الدعوات، ويكتب فيها أعداد المدعوّين، من وسّع الله عليه فلا حرج، لكن أن تتخذ هذه سنة وطريقة وعادة متّبعة فليس هذا أبداً بصحيح، فاتقوا الله عز وجل، واسمعوا ماذا يقول إلهي وإلهكم، وربي وربكم: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف/٣١].

أخي في الله، اتقي الله عز وجل، جمعتني وإياك أخوة الإيمان فنصحتك بنصيحة الإيمان، فإياك أن تكون من إخوان الشياطين: {إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء/٢٧]، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم وارزقنا التقوى، اللهم وحرّم أجسادنا على النار؛ فإن أجسادنا غداً على النار لا تقوى، لنا حديث نواصله إن شاء الله في خطبتنا الثانية، فاستغفروا الله، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيماً لشأنه، وأصلي وأُسلم على نبينا محمد الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.

أيها المؤمنون عباد الله، إن المؤمن لا تسلك به عادة إلى الخطأ، ولا يجاري الناس في أخطائهم، إن المؤمن لا ينبغي له أن يكون كالإمعة؛ إن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء، بل إن المؤمن الحقيقي هو الذي يُحسن إن أحسن الناس، ويجتنب إساءتهم إن أساءوا، فمن الأخطاء التي تنتشر في مثل هذه المجالس؛ أعني مجالس التفطير في رمضان: كثرة التفاطير عند بعض الناس، فتتعجّب وأنت ترى الواحد كل يوم في حي، وكل يوم في تفطير، يقول أحدهم: إني والله مفطّر من أول يوم من رمضان، بل يقول: والله، إني لا أستطيع أن أفطر ليلة واحدة في بيتي غير يوم تفطيرنا للناس، فأيّ شيء هذا إخوة الإيمان!! يخبرني أحدهم، يقول: إني مفطّر ستة وثلاثين يوماً، ثلاثين من رمضان، وستة من الست من شوال.

إخوة الإيمان، إن كثرة هذه الأمور يؤدي ولا شك إلى الإسراف، وإلى خروج الأمر عن حدّه، للأرحام حق، لكن لا تنسَ أن ثمة أمور كثيرة لها حقوق عليك، فأدِ لكل ذي حق حقه، ولا تكن من الغالين المعتدين المتنطعين.

أيها المؤمنون عباد الله، إن تأخير الطعام عند كثير من الناس إلى قُرب صلاة العشاء، بل بعضهم للأسف يحبس الناس بسبب طعامه عن حضور الفريضة، ويؤخرهم عن صلاة التراويح، فاتقِ الله عز وجل، لماذا لا يُقدّم الطعام سريعاً؟، لماذا لا نأكل أكلاً خفيفاً حتى نقوم بعد ذلك لله إلى صلاتنا خاشعين، ولله سبحانه وتعالى في ركوعنا وسجودنا خاضعين، أيها المؤمن – عبد الله – إياك أن يمنعك كثرة التجشؤ من دموع القيام بين يدي الله الملك العلام، يقول أبو جحيفة رضي الله تعالى عنه: أكلتُ ثريدة من لحم وخبز، ثم أتيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأكثرت من التجشؤ، فقال عليه الصلاة والسلام: (يا هذا، كف عنا جُشاءك؛ إني رأيت أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة)، وهو حديث صحيح، رواه الحاكم رحمه الله تعالى، فاتقِ الله عز وجل، متى ستخشع في صلاة قيام الليل،

إذا كنت – أخي في الله – تأتي ببطن متخمة، وحواس مفرّغة لهضم الطعام، فلا تعِ كلام الله سبحانه وتعالى العلّام.

أيها المؤمنون عباد الله، إن من أخطاء بعض الناس أن يتجنّب صلة أرحامٍ أمر الله سبحانه وتعالى بصلتهم؛ بحجة أنهم ما زاروني، فلن أذهب إليهم، ما حضروا تفطيري، فلن أحضر تفطيرهم، أهذه صلة؟ لا، هذا الذي قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الواصل بالمكافئ، إنما الواصل الذي إذا قطعته رحمه وصلها)، فاذهب وإن لم يأتوا، وادعهم وإن لم يعزموا، فإنك بهذا تصل ما بينك وبين الله عز وجل؛ بصلة هذه الرحم المقطوعة.

أيها المؤمنون عباد الله، اعلموا أنه لا يحق لنا أن نترك مثل هذه الأمور التي نصل فيها أرحامنا إلا إذا كان هذا الرجل ممن يحلّ هجره، فيُهجر تأليفاً لقلبه، ودعوةً له إلى الطاعة والاستقامة على دين الله عز وجل، فما أجمل أن نجتمع جميعاً على قرار واحد؛ أن نمتنع من حضور وليمة هذا الذي لا يصلي، أو غيره من الفسّاق، من أجل أن يفهموا الدرس؛ أن ما بيننا وبين الله أعظم مما بيننا وبينهم.

أيها الأخ الكريم، إنه لا يحل لك أن تجتنب مثل هذه المجالس التي ينفعك الله سبحانه وتعالى بصلة رحمك، إلا إذا كان مالهم مالاً حراماً، لم يختلط بشيء من الحلال، فاجتنبه عند ذلك، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، هذا الأورع لك من أقوال أهل العلم رحمهم الله تعالى، وعليك أن تجتنب هذه المجالس إذا خالطها الحرام في وقت جلوسك؛ كأن يكون فيها غناء، أو اختلاط بالنساء، أو تُعلّق بعض صور الأرواح المحرمة في البيوت والمجلس، فاجتنب هذه كما اجتنبه صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، بل كما امتنع عليه الصلاة والسلام أن يدخل بيت زوجه عائشة رضي الله عنها، لما كان فيه شيء من ذلك.

أيها المؤمنون عباد الله، إذا ازدحمت العزائم على الإنسان؛ فإنه يُقدّم الأقرب فالأقرب، الأقرب دعوةً له، وهو من دعاه الأول، والأقرب رحماً له، أو الأقرب جواراً له، فإن تساووا فليُقرع بينهم، ثم ليذهب وهو في هذه معذور عند الله سبحانه.

أيها المؤمنون عباد الله، إن خُلقاً سيئاً انتشر بين أبنائنا في مثل هذه المناسبات، يجب التنبيه عليه، وهو كثرة استعمالهم لهذه المتفجرات الصغيرة التي نسميها (القراطيس)، فآذوا أنفسهم

بسوء استعمالها، وآذوا الناس وأزعجوهم، إن الرجل القوي منا لما يكون على غفلة، فيسمع مثل هذا يقلق ويضطرب، فحدّثوني عن هؤلاء المرضى، وحدّثوني عن أولئك الذين رمى بهم الكبر أو المرض في الفراش؛ كيف يكون أثرها عليهم؟ وكم تسببت في أضرار كثيرة جسيمة على الأرواح والأبدان والممتلكات؟ فاتقوا الله سبحانه وتعالى، وجنبوها أبناءكم.

إنني أيها الإخوة، أعرض لكم بيانًا جاءنا من جهة رسمية مسؤولة، تُحذّر فيه بأن كل من روّج أو باع مثل هذه القراطيس، فإنه سيُعرّض نفسه للمساءلة القانونية، وقبل ذلك لا تنسوا أن تربية أبنائنا على هذه الأمور التي قد تضرهم، ليس من القيام الحقيقي على الأبناء وعلى تربيتهم.

أيها الكرام، إن من أخطاء هذه التفاطير – للأسف – أنها جاءت في ليالٍ وترية، وأنتم تعلمون أن الليالي الوترية، وخصوصاً في العشر الأواخر من رمضان ينبغي تفريغ النفس قدر الاستطاعة فيها للعبادة والطاعة، كان عليه الصلاة والسلام إذا دخلت العشر الأواخر شدّ المئزر، وترك النوم، واجتهد عليه الصلاة والسلام في العبادة، أيها المؤمنون عباد الله، لماذا لا نُغيّر هذه الليالي؟ لماذا لا نقدّمها ليلة أو نؤخرها ليلة؛ حتى لا تكون في الأوتار؟، من الذي أذن لنا أن نخصص أياماً معينة بمناسبات خاصة، إن مثل هذا الأمر لا ينبغي على هذه الجهة، فاتقوا الله سبحانه وتعالى، إن ربط مثل هذه المناسبات ببعض البدع والمحدثات أمرٌ قد عفا الزمان عليه، فلا ينبغي لنا وقد أكرمنا الله بالعلم النافع الموروث عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ أن نتعاطى مثل هذه الأمور، فنُربط مثل هذه التفاطير ببعض الموالد المبتدعة في المساجد، أو ببعض الطبل والزمر في بيوت الله عز وجل، أو بزيارة غير شرعية إلى القبور، أو كما يفعل بعض الناس توزيع بعض الحلوى على الأطفال الصغار بمناسبة المولود الصغير أو المولود الجديد .

أيها الإخوة، إن اتخاذ يوماً محدداً دائماً متكرراً عيداً نفرح فيه، أو يفرح فيه الصغار هذا لابد أن يكون له دليل شرعي؛ لأن أعيادنا — معاشر أهل الإسلام – عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الجمعة، فاتقوا الله عز وجل فيها، أما كونك توزّع بغير تخصيص ليومٍ معين، وتقسّم مثل هذه الحلوى أو مثلها بغير تكرار، فإن مثل هذا الأمر لا حرج فيه إن شاء الله، فلنجتنب الابتداع في الدين، وتخصيص ما لم يخصه الله عز وجل، أو يخصه رسوله صلى الله

عليه وآله وسلم بأمر من الأمور الشرعية أو العبادية؛ لأنه إن كان من الأمور الشرعية وخصصناه فقد أحدثنا في دين الله، وإن كان من الأمور العادية، وخصصناه فقد جعلنا عيداً لم ينزل الله سبحانه وتعالى به من سلطان.

اللهم يارحمن يا رحيم يا قريب يا مجيب يا رب العالمين، يا إله الأولين والآخرين، اللهم اجعلنا ممن تقبلت صيامه وقيامه، ووفقته للخير فاستعد لما أمامه، وغفرت له ذنوبه وإجرامه، اللهم يا مولانا يا ربنا إن نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا يا رحمن يا رحيم، وإذا أردت فتنة قوم فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اجعلنا ممن يُبشر عند الموت بالجنان، وبرب راضٍ غير غضبان، اللهم لا تصرف وجهك الكريم عنا، اللهم لا تُخزنا يوم يُبعثون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، اللهم إنا نسألك يا رحمن السماوات والأرض ومن فيهما ورحيمهما؛ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُعتقنا في هذا الشهر الكريم من النار، اللهم حرّم أجسادنا، وأجساد والدينا على النار، اللهم حرّم وجوهنا، ووجوه والدينا على النار، اللهم إنا نسألك أن تغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات، اللهم وانصر الإسلام والمسلمين، اللهم وانصر وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل أعداءك أعداء الدين، لا إله إلا أنت سبحانك؛ إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

خطبة : " أبشر أيها الداعي"

د. طالب بن عمر الكثيري

خطيب جامع الريان

talebkh.net

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**، **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**،**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}**، إن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلاله في النار، أجارنا الله من البدع ومن الضلالات والنار، اللهم أرنا الحق حقاً ورزقنا أتباعه، اللهم وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أيها المؤمنون – عباد الله– ها قد دخلت علينا العشر الأواخر من شهر رمضان، لطالما فرطّنا في هذا الشهر الكريم، كم من مرة ختمنا كتاب الله؟، كم من مرة تهجدنا لله سبحانه وتعالى في ليلها حتى أطلنا القيام ؟، كم من مرة تضرعنا لله في أسحارها حتى أكثرنا من الاستغفار والتوبة والدعاء؟، كم من صدقة تصدقنا بها؟، وكم من صالحة لله قربناها، –أيها المؤمنون عباد الله– مضى من شهركم أكثره، وبقي لكم أفضله، فاستقبلوا هذه العشر الأواخر، استقبلوها بالطاعة لله سبحانه والإنابة، استقبلوها بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والإكثار من طاعته عز وجل، كفانا دنيا، كفانا ملذات، وشهوات، وسهرات، وقنوات، وجلسات في القيل و القال، كفانا –أيها الأخوة– لنقبل على الله سبحانه وتعالى في أعظم ليالي العام، لنقبل على الله سبحانه وتعالى فإن فيها ليلة، من حُرِم خيرها فقد حُرِم، ليلةٌ خير من ألف شهر، فأقبلوا على الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وأروا الله سبحانه وتعالى منكم ما تستطيعون من الأعمال الصالحة، وذروا قطّاع الطريق، الذين يقطعون القلوب عن طاعة الله سبحانه.

معاشر المؤمنين، إن حديثنا في هذه الخطبة المباركة، مازال موصولاً عن طاعات الله سبحانه وتعالى، وعن أخبار الطائعين، وكيف نكون ونحشر معهم يوم الدين؟، كان حديثنا في جُمع

رمضان، عن رمضان والصيام، ثم عن رمضان والقيام، وكانت خطبتنا الأخيرة، عن رمضان وصلة الأرحام، بيّنا وضبطنا فيها مسائل، اجتماع الناس في تفطير رمضان مع أرحامهم وأقاربهم، وأما هذه الجمعة، فحديثي وإياكم عن أعظم أنواع العبادة التي نتقرب بها إلى الله، حديثي وإياكم –أيها الإخوة– عن الدعاء، والاعتصام لله سبحانه بواسع الرجاء، عن انطراح القلب بين يدي الله، عن الأُنس بمناجاة الله تعالى وسؤاله، إنه الدعاء –أيها الكرام– أيّ شيء هذا الدعاء؟!، عرّف الله عباده بنفسه فقال: **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}**، هذا هو الرب سبحانه، سامع كل نجوى، كاشف كل بلوى، مجيب كل دعوى، ألكم ربٌ تدعونه إلا الرؤوف الرحيم؟!، ألنا رب نسترحمه إلا القريب المجيب.

أيها المؤمنون –عباد الله– إنه أعظم أنواع العبادة، أعظم أنواع العبادة الدعاء، لأن الدعاء يدل على تواضع القلب وافتقاره إلى الله، لأن الدعاء يدل على الرغبة والطمع فيما عند الله، لأن الدعاء يظهر فيه الوجل، وترتعد فيه اليد من الخوف، وتترقرق فيه الكلمات، وتصدق فيه العبارات، لذلك –أيها الأخوة– كان سبباً في دخول أهل الجنة الجنة، اسمعوا لله يقول، يخبرنا ماذا يقولون يوم صاروا في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟، قال عز من قائل: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}**، إن ترك الدعاء –عباد الله– يدل على قسوة القلب، وغفلته وإعراضه عن أوامر ربه، لذلك كان سبباً لدخول النار، نعم، ناراً تلظى، أوقد عليها حتى اسودت، قال الله سبحانه وتعالى: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**، فادفعوا عنكم حرّ النار، وادفعوا عنكم عذاب أهل النار، برفع أكفكم إلى الله، وبابتغاء ما عنده بعظيم الدعاء، وكريم الرجاء، فإن كل الخير بيد الله، وليس بينكم وبين الخير، إلا أن تسألوا الله فيعطيكم مما في يديه.

عباد الله، ألكم غناء عن الله؟!!، ألأحدنا غناء عن خلق الله ورزقه؟!، وعن عافية الله وكفايته؟!، وعن هداية الله ورحمته؟!، اسمعوا لله يناديكم، والله هو الغني وأنتم الفقراء، اسمعوا لله يناديكم وأنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، يقول ربنا سبحانه: "يا عبادي،

كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهديكم، يا عبادي، كلكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا اغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم"، ما أجمل هذا النداء!، وما أعظم إن رفعنا أيدينا لله بالدعاء!، عندها، تُفتّح أبواب السماء، ويُمطرنا الله بالإجابة، أفيكم ضالّ؟!، أفيكم ضالّ!، أما أنه لن يهتدي إلا إن هداه الله، أمنكم جائع عاري؟، أما إنه لن تسد عورته، ولن تسد خلته، حتى يتوجه إلى الله.

أيها المؤمنون –عباد الله– إن القلب عند الشدة إذا أعرض عن دعاء الله بشروا صاحبه بموات القلب، إن الشدائد من الابتلاءات التي يبتلي الله بها عبده؛ لكي يفتح الله له مغاليق قلبه، إن رأيت عبداً نزلت به البأساء والضراء ولا يتضرع، فاعلم أنه طبع الله على قلبه، **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**، لا تكونوا كأمثال هؤلاء، اكسروا قلوبكم بدعاء الله، وليّنوا قلوبكم بترطيب ألسنتكم برجاء الله، وأبشر أخي الداعي، أبشر، فإن الدعاء، يورث القلب الراحة والاستقرار، إن الدعاء يشعر الداعي بالثقة والاطمئنان، إن الداعي إذا دعا الله أنس بقرب الله، وتلذذ بمناجاة الله، فوثق بنصر الله سبحانه وبإجابته، اسمعوا هذه الآية، آية من كلام ربنا سبحانه، وهو الكريم الرحيم، وهو الودود الرؤوف، يقول ربي وربك، وإلهي وإلهك: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**، آية والله كريمة، وأسرارٌ فيها عظيمة، آيةٌ تبعث في القلب الرضا لوعد الله عز وجل، أعلمت ماذا قال الله؟، أضاف الداعين إلى نفسه، ولم يضفهم إلى أحدٍ من خلقه، وإذا سالك عبادي عني فإني قريب، فهؤلاء هم عباد الله، ثم إن الله عز وجل لم يجعل بينه وبينهم واسطة، فلم يقل فقل إني قريب، بل قال هو سبحانه: **{فَإِنِّي قَرِيبٌ}**، لم يؤخر دعاءهم، فلم يقل: إني أسمع شكواهم، إني أعلم حالهم، بل قال عز وجل: **{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**، فادعُ الله عز وجل واستشعر العبودية له سبحانه، ادعُ الله عز وجل واستأنس بقربك من الله، ادعُ الله سبحانه، وأيقن أن الله عز وجل يجيب دعائك، ويسمع بُكائك، ويُقبل الله عز وجل على شكواك.

أخي في الله، أين أنت من هذه اللحظات؟، وأين كنت في هذه الساعات؟، في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم: "ينزل الله تبارك تعالى إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول الله: من يدعوني فأجيبه؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟"، هذا ربكم سبحانه، نزل نزولاً يليق بجلاله، يعرض عليكم رحمته؛ فمن الذي يشتري رحمة الله بالاستغفار، يعرض عليكم قضاء حاجاتكم؛ فمن الذي يقدم طلبه بالدعاء؟.

أيها الأخوة الكرام، أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الله من عبده في ثلث الليل الآخر، فأقبلوا على الله واستقبلوا رحمته، وأقبلوا على الله واستقبلوا عطيته، فإنه الرحيم الكريم لمن سأل ودعا واستغفر وأناب.

عباد الله، قد يقول القائل منكم: وهل ينفع الدعاء؟، هل ينفع الدعاء، وقد أمر الله عز وجل وحكم بالقضاء؟، والجواب من رسولك اسمع، يقول بأبي وأمي رسول الله: "الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل"، الدعاء ينفع من كل بلاء نزل بك، ومن كل ضراء مستك، ومن كل بأساء أصابتك، أين أنت من أيوب!، أيوب عليه السلام وقد أصابه الضر، وامتد به ثمانية عشر سنة، أصابه الضر، فمرض في كل عضو من جسمه، وما بقي له إلا لسانه يذكر به الله، أصابه الضر؛ ففقد أهله، أصابه الضر؛ ففقد ماله، أصابه الضر؛ فلم يبقى معه إلا زوجة، تقوم على شؤونه وترعاه، وبعد هذه الأمراض، وعظيم هذه المصائب، لما دعا الله: **{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}**، قال الله، **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}**، توجهوا يا أهل الحاجات إلى الله، توجهوا يا أهل الأمراض والآفات مهما طال بكم البلاء إلى الله، وأبشروا –معاشر المؤمنين– إن الدعاء ينفع من كل ما لم ينزل، فاعتصموا بالدعاء، فإنه سلاحكم .

أيها المؤمن –عبد الله– أين أنت من قوم يونس!، قوم يونس، أرسل الله إليهم رسولهم يونس عليه السلام، فأعرضوا عنه، وكذبوه، فخرج وتركهم وهو مغاضب، فلمّا ذهب عنهم، ورحل من عندهم، أيقنوا أنهم سينزل عليهم العذاب، عرفوا أن الله سيعاجلهم بالعقاب، تذكروا ما فعل الله بقوم عاد وثمود والأحزاب، لما أعرضوا عن رسلهم، واستنكفوا أن يتبعوا الكتاب،

فماذا فعلوا أخوة الإيمان؟، ماذا فعل قوم يونس؟، تضرعوا إلى الله، وبكوا والتجئوا إلى الله، لما ذهب منهم يونس عليه السلام، خرجت المدينة كلها، برجالها ونسائها، وصبيانها وشيوخها، وأنعامهم ومواشيهم، خرجوا جميعاً إلى أعلى تل جبل، فجثوا على الركب، ودعوا الله سبحانه في السماء، وزادوا من الدعاء والبكاء، تأملوا، وتخيلوا اليوم، مشهد مدينة كاملة، خرج أهلها وتركوها، خرجوا يستمطرون الله رحمته، ويشكون إلى الله سبحانه، يسألونه ألا ينزل بهم نقمته، تخيلوا، كثرة هذه الأيدي التي ارتفعت إلى السماوات، وانظروا، إلى عظيم هذه الدعوات، فما الذي حدث؟ هل نزل عليهم البلاء، قال الله عز من قائل، {**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** } .

أيها الأحبة، هذه ليالي مباركة، فألحوا ألحوا على الله بالدعاء، أكثروا من سؤال الله، وسألوا الله من فضله، ليسأل أحدكم ربه كل حاجته، ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأل الملح، وحتى يسأل شسع نعليه إذا انقطع، أقبلوا على الله وأبشروا، {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**}، أقبلوا على الله لا يغضب الله عليكم، يقول صلى الله عليه وسلم: "من لا يسأل الله يغضب عليه".

لا تسألن بني آدم حاجةً *** وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله *** وبني آدم حين يسأل يغضب

فأقبلوا على الله، وادعوا وأنتم موقنون بالإجابة يستجب الله لكم، وتضرعوا وألحوا، وتذكروا هذه الآية، تذكروها: {**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**}،فادعوا الله واستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد الله على إحسانه، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، أحمده ربي سبحانه تعظيماً لشأنه، وأصلي وأسلم على رسوله محمدٍ الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المؤمن – عبد الله – بح شكواك إلى الله، واعتصم بالله، أشكوا إلى الله سبحانه من كثرة الخطايا والذنوب، أشكوا إلى الله عز وجل من طول المصائب والكروب، ادعوا ربك

سبحانه؛ فإنه الله الكريم علام الغيوب، وإذا أردت أن يتقبل الله منك دعاءك، فاعلم أن للدعاء المقبول آدابًا، كم دعونا الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الشهر الكريم؟، لكن من منا استجيب دعاؤه؟، فلنسمع لهذه الآداب، ولنسعى في تحقيقها كلها ما استطعنا.

فأما الأول، أن يتخير الأوقات الشريفة للدعاء، رمضان، ويوم عرفة، ويوم الجمعة، فأما رمضان، ف "للصائم دعوة مستجابة لا ترد"، وأما عرفة "فخير الدعاء دعاء يوم عرفة"، وأما يوم الجمعة "فإن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يدعو الله إلا أعطاه الله ذلك".

أيه المؤمنون –عباد الله– تخيروا الأحوال الشريفة؛ لكي تتوجهوا إلى الله بالدعاء، تخيروا بدعائكم حال الأذان والإقامة، فإن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، تخيروا لدعائكم حال السجود؛ "فأن اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فأكثروا أكثروا من الدعاء، إذا أردت يا عبد الله أن يستجيب الله دعاءك، فقدِم بين يدي الدعاء توبةً واستغفارًا وإنابة، ثم استقبل القبلة، ثم ارفع يديك، فإن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع عبده يديه إليه أن يردهما صفراً، لا يضع فيها شيء، فارفع يديك إلى الله، ولا تدعُ، حتى تبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، لقد دعا رجلٌ ورسولكم يسمع، فلم يحمد لله ولم يصلِ على رسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: "عجّل هذا، ثم قال: إذا صلى أحدكم – أي إذا دعا – فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه، ثم ليصلِ على نبيه، ثم ليدعُ بما شاء".

أخي المؤمن، إذا أردت أن يستجيب الله دعاءك، فتوسل على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قل: يا رزّاق ارزقني، يا غفور اغفر لي، يا عزيز يا نصير انصرني، توسل إلى الله بأسمائه الحسنى، دعا رجل، فقال: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال عليه الصلاة والسلام: "لقد دعا باسم الله الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب"، إذا أردت أن يتقبل الله دعائك، فتوسل إلى الله بالصالح من أعمالك، أنسيتم قصة أصحاب الغار، وقد سدت عليهم صخرة، فما وجدوا من ينقذهم، إلا أن دعوا الله بصالح أعمالهم، فشفعت لهم ونجّاهم الله، إذا أردت أن يتقبل الله دعاءك، فعليك عليك بدعاء التضرع

والخوف، عليك بدعاء الرغبة والأمل، هذا هو دعاء النبيين، {**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**}، إذا أردت أن يتقبل الله مسألتك، فألح ألح بالدعاء، كان عليه الصلاة والسلام إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل الله، سأل الله ثلاثاً، إذا أردت أن يقبل الله سبحانه وتعالى شكواك، فاجزم المسألة، ولا تعلقها على المشيئة، إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه، إذا سألتم، فسألوا الله الفردوس، فإنه أوسط أبواب الجنة، ومنه تتفجر أنهار الجنة.

أخي في الله، لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له، إذا أردت أن يتقبل الله دعاءك، فادعُ وأنت موقن بالإجابة، ادعُ الله عز وجل، وأنت ترى بين يديك الإجابة، يقول عليه الصلاة والسلام: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"، يقول الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه: والله إني لا أحمل همّ الإجابة، لكني أحمل همّ الدعاء، فحققوا دعاءكم على هذه الآداب، وألزموا هذه السنن، ليستجب الله لكم كما وعدكم.

يا عبد الله، وأعلم أخي في الله، إن الدعاء لن يستجاب حتى يبرأ من آفاته وموانع إجابته، لن يستجاب الدعاء، حتى نسعى –يا عباد الله– في البعد عن موانع إجابة الدعاء، إن من موانع إجابة الدعاء –معاشر الكرام– غفلة الداعي عن دعائه حين يدعو، وعدم إقباله على ربه، إذا دعوت فاجمع قلبك، وفرّغ نفسك، واشتغل بدعاء ربك، "ادعُوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاهي"، هكذا قال صلى الله عليه وسلم، إذا أردت أن يستجب الله دعاءك، فاترك المعاصي، اترك المعاصي –يا عبد الله–، اترك معصية الله عز وجل، واترك أكل الحرام، "أطب مطعمك تجب دعوتك"، "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا"، حدثونا عن رجل، أشعث أغبر، يطيل السفر، يرفع يديه يا رب، يا رب، قد اجتمعت فيه أسباب الإجابة، و لكن ما الذي حدث؟ يقول عليه الصلاة والسلام: "ومشربه حرام، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب له!".

إذا أردت أن يستجيب الله دعاءك، فلا تستعجل، ولا تستبطئ الإجابة، فتستحسر وتترك الدعاء، "يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله،

ما الاستعجال؟ قال: "يقول: قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي؛ فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء"، رواه مسلم .

أيها الكرام –معاشر المؤمنين–إن إجابة الدعاء مرهونة، بالقيام بأوامر الله سبحانه وتعالى، فحكّموا شريعة الله بينكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، يقول صلى الله عليه وسلم ويقسم على ذلك، وهو الصادق المصدوق: "والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقاب؛ فتدعونه فلا يستجاب لكم".

أيها المؤمنون، إن الله لن يستجيب الله لدعاء من أشرك به، فاتقوا الشرك، لا تجعلوا بينكم وبين الله واسطة، لا تدعوا من دون الله؛ جانًا، ولا إنسًا، ولا صاحب قبر، ولا ولي، إن الله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بالإجابة لكم إذا أخلصتم الدعاء، فادعوا الله مخلصين له الدين.

معاشر الكرام، إياكم والبدع والإحداث في الدعاء، فإن من الناس من يعتدي في الدعاء والطهور، كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فالزموا أدعية الكتاب والسنة، فهي خير الأدعية، ادعوا الله بدعاء الأنبياء في القرآن، ادعوا الله بدعاء سيد ولد عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإن كنت أردت أن يُيسَر لك ذلك، فإني أنصحك بما أنصح نفسي، بكتاب لطيف جميل، اسمه "الدعاء من الكتاب والسنة"، فادعُ الله بدعاء الكتاب، وادعُ الله بدعاء السنة، واحذر بارك الله فيك من الأدعية المبتدعة.

معاشر المؤمنين، أعظم – والله – ما نرجو المغفرة في هذه الليالي العشر الأواخر، أعظم – والله – ما نستمطر رحمة الله سبحانه وتعالى في هذه الليالي الكريمة، فلنقبل على طاعة الله سبحانه، ثم لنرفع أيدينا إلى الله، ونسأله عز وجل، وهو الغفور الرحيم، اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا، اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامه وقيامه، وتجاوزت له عن خطاياه وعن آثامه، فأقبل عليك وأستعد لما أمامه، اللهم يا ربنا يا مولانا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به يبننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون علينا مصائب الدنيا، اللهم متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا، أبداً ما أبقيتنا، اللهم وأجعله الوارث منا، اللهم وانصرنا على من ظلمنا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، اللهم ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، ربنا من لنا غيرك ندعوه، ومن لنا غيرك نرجوه، من

نسترحم وأنت الغفور الودود، ومن نرجو وأنت ذو الكرم والجود، سبحانك أصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأصلح لنا دنيانا، التي فيها معاشنا، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمه أمرنا، واجعل لنا الحياة زيادةً في كل خير، واجعل الممات راحة لنا من كل شر، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، اعتق رقابنا من نار الجحيم، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، تقبل صيامنا وقيامنا يا كريم، يا سيدنا وإلهنا ومولانا، ارزقنا النظر إلى وجهك، في جنات نعيم، يا سامع الصوت، يا سابق الفوت، يا كاسي العظام لحماً بعد الموت، آنس وحشتنا في ظلمة القبور، وارحمنا يوم النفخ في الصور، إذا قمنا على الصراط، يا غفور يا شكور، ربنا لا تصرف وجهك الكريم عنا، ربنا إنك عفو تحب العف فاعفُ عنا، ربنا إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا، إلهنا لا تخزنا يوم يبعثون، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، اللهم لا تدع لنا في هذا المقام ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسّرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا فقيراً إلا أغنيته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا ولداً إلا أصلحته، ولا والداً إلا وفقته، ولا حيرانًا إلا دللته، ولا منحرفاً إلا هديته، ولا تائباً إلا قبلته، ولا داعيةً إلا سددته، ولا مجاهداً في سبيلك إلا نصرته، ولا جباراً إلا قصمته، ولا ساحراً إلا فضحته، ولا منافقاً إلا أخرسته، يا الله، يا سمع الدعاء، يا واسع الرجاء، يا رب الأرض والسماء، لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور، وعمل صالح متقبل مبرور، وسعيٍّ يا ربنا إليك تجازينا به، وأنت الغفور الشكور، أيها المؤمنون عباد الله، استقبلوا هذه الليالي بالدعاء، وألحوا ألحوا ألحوا على الله بالرجاء، فإن في كل ليلةٍ منها لله عتقاء، فسألوا الله، أن يعتقنا وإياكم من نار الجحيم، ثم قوموا إلى صلاتكم مرحومين.